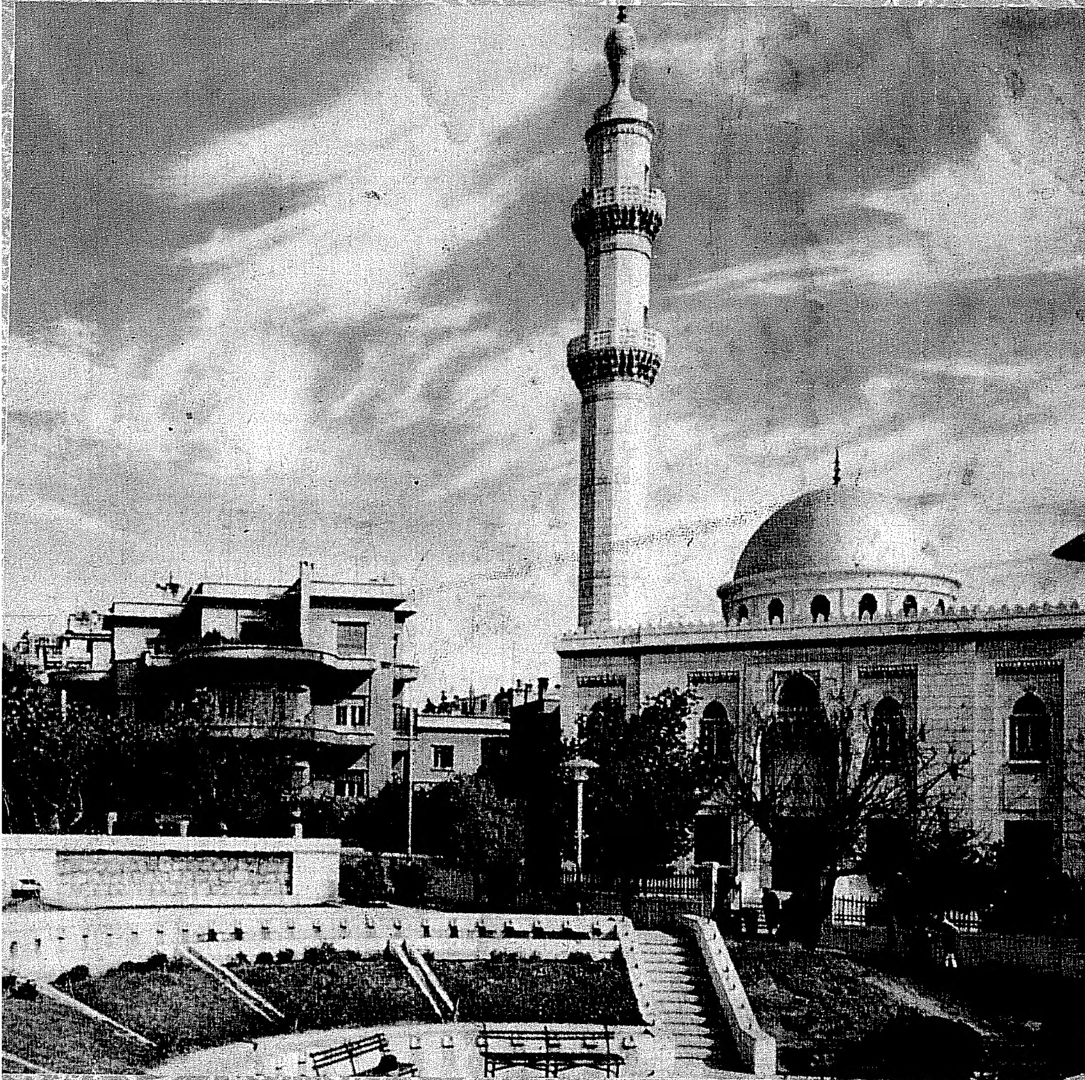
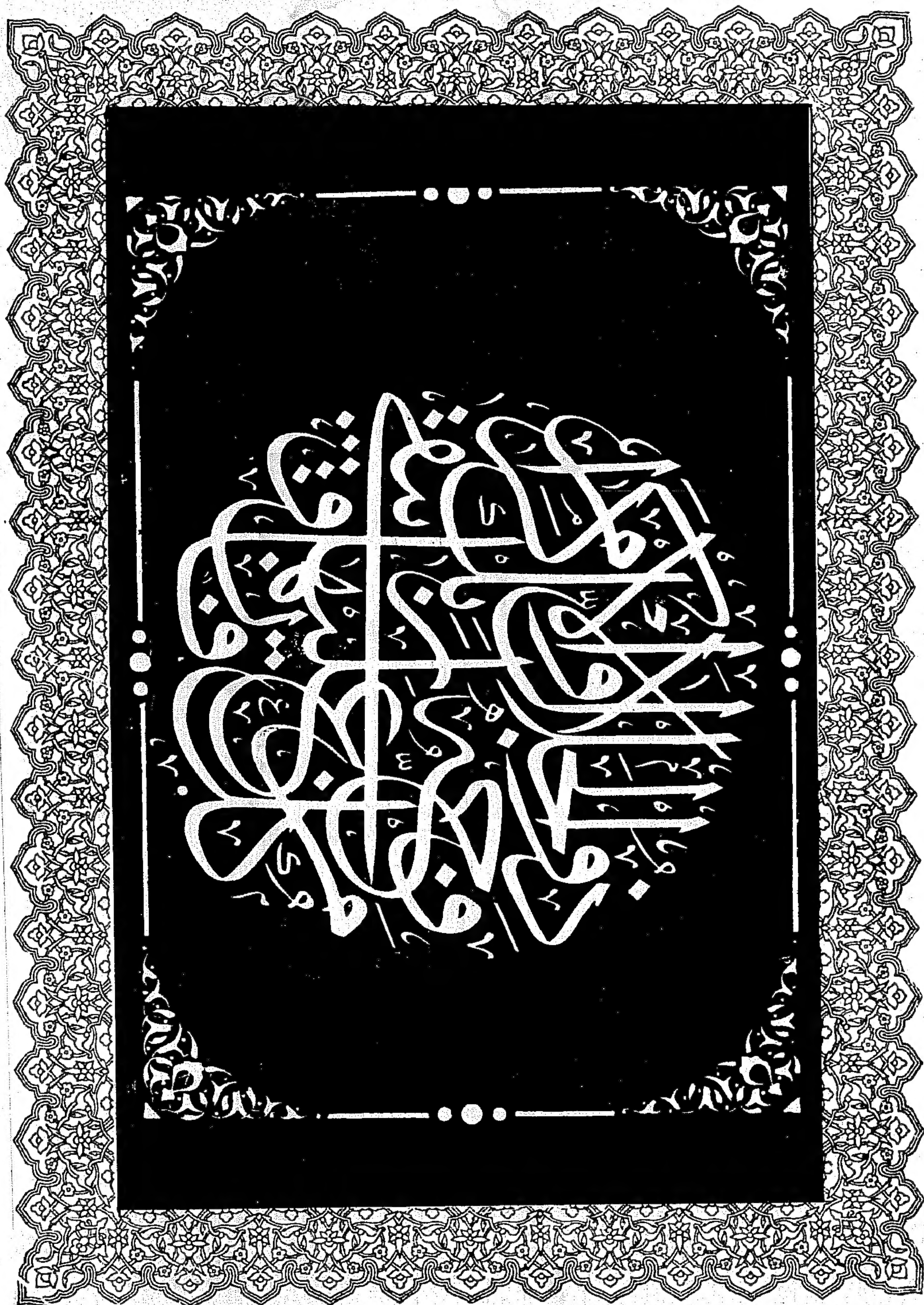
الوعي الإسلامي

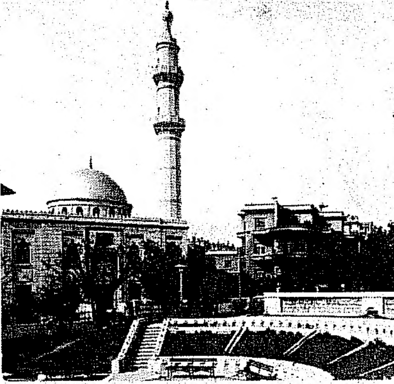
إسلامية ثقافية شهرية



السنة العاشرة ـ العدد ١١٤ ـ جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ ـ يونيو ١٩٧٤ م



مسجد الروضـــة



أحد المساجد الفخمة بمدينـــــة دمشق .. ويقـــع فى حى من أرقى أحيائها وهو مشيد على الطـــــراز العربى الجميل وجمع بين روعة الفن وجمال الموقع .

الوعي الاسلامي

اسلامية ثقافية شهرية

AL WAIE AL ISLAMI

Kuwait P.O.B. 13

السنة العـــاشرة

العدد ١١٤

جمادى الآخر ١٣٩٤ هـ

يونيو (حزيران) ١٩٧٤ م

هدفها : المزيد من الوعى ، وايقاظ الروح ، بعيدا عن الخلافات المذهبية والســـــياسية

تصدرها وزارة الأوقاف والشئون الاسلامية بالـــكويت فى غـــرة كل شــــهر عـــربى

الاشتراك السنوى للهيآت فقط

اما الأفراد فيشـــتركون رأسا مع متعهد التوزيع كل فى قطره

الثمـــن :

الـــكويت	٥٠ فلسا
السعودية	١ ريـــال
العـــراق	٧٥ فلسا
الأردن	٥٠ فلسا
ليبيـــا	١٠ قروش
تونس	١٢٥ مليما
الجـــزائر	دينار وربع
المغـــرب	درهم وربع
الخليج العربى	٧٥ فلسا
اليمن وعـــدن	٧٥ فلسا
لبنان وسوريا	٥٠ قرشا
مصر والسودان	٤٠ مليما

عنـــوان المراســـلات :

مجـــلة الوعى الاسلامى ــ وزارة الأوقاف والشـــئون الاســــلامية

صـــندوق بريد : ١٣ ــ كـــويت ــ هـــاتف : ٤٢٨٩٣٤ ــ ٤٢٢٠٨٨

آية الكرسي

لعـــــالم كبير

« الله لا اله الا هو الحى القيوم لا تأخذه سنة ولا نوم ، له ما فى السموات وما فى الأرض ، من ذا الذى يشــــفع عنده الا باذنه ؟ يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء ، وسع كرسيه السموات والأرض ، ولا يئوده حفظهما ، وهو العلى العظيم » .

هذه الآية تعرف بين المسلمين بآية الكرسى ، وقد نوهت الســـنة النبوية بفضلها ومكانتها ، وتتكون من عشر جمل متصلة المعنى فى الحـــديث عن ذات الله وصفاته .

(١) **« الله لا اله الا هو .. »** ليس فى الوجود أحد يتجاوز مرتبة العبودية ، فكل ما عدا الله عبد له ، وهو وحده المتفرد بالألوهية فى الســـموات والأرض .

من قال عن نفسه انه اله فهو كاذب ، ومن قال عنه الناس ذلك فهم عليه كذبة ، وقد تمر بالناس أعصار يتخذون فيها بعض الجمادات والدواب آلهة ، وهذه أعصار الانحطاط الذهني والنفسي التي نرجو أن يتم خلاص البشر جميعا منها .

ولكن الضلال الشائع الى اليوم اتخاذ بعض البشر الطيبين آلهة مع الله بحجة أنهم انبثقوا منه أو أنه حال فيهم .

وقد حارب الاسلام هذه الضلة حربا شديدة ، واكد أن البشر مستحيل أن يرتفعوا الى مصاف الآلهة ، وان الله العلى الكبير لا يمكن أن يهبط الى منازل البشر .

انه الاله الذى خلق غيره ، ومنحه الحياة ، وقام على أمره من المهد الى اللحد : « **واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شـــيئا وهم يخلقون . ولا يملكون لانفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة ولا نشورا** » .

ورسول الاســـلام — وهو قمة البشرية — عنـــدما يدعو الله يؤكد هذه الحقيقة : « اللهم انا عبدك وابن عبدك وابن أمتك وفى قبضـــتك . ناصيتى بيدك ماض فى حكمك ، عدل فى قضاؤك » .

(٢) « **الحي القيوم ..** » والأحياء من الخلق ليس لهم من أنفســـهم ما يوجب الحياة ، ان الحياة عرض مفاض عليهم من خارج أنفسهم .

وهو عرض يفارقهم يوما ولا يعود اليهم الا وفق مشيئة مفيضه جل شأنه ، الحي الذى لا بداية لحياته ولا نهاية ، فحياته وصف ملازم له أزلا وأبدا ، وذلكم الفارق بين حياة الخالق والمخلوق .

ومن ثم يقول الله لنبيه : « **انك ميت وانهم ميتون** » أما المتفرد بالحيـــاة العظمى فهو الله .

ولما كانت هذه الحياة وضاحة نفاحة ناسب أن يجىء عقبها وصف القيوم اى الذى يمد الأكوان والخلائق كافة بحركاتها وسكناتها ، ويشرف اشراف احاطة وهيمنة على شـــئونها وأحوالها فهى أحوج ما تكون اليه وهو أغنى ما يـــكون عنها ..

وقد ورد فى الآيات والآثار أن الله قائم على كل نفس بما كســـبت وأنه القيم على السموات والأرض ومن فيهن .

والقائم على الشىء ، والقيم عليه أو القوام عليه ، الفاظ تتفاوت فى الكشف عن هذه الاحاطة الشاملة لفنون التصريف والوان السيطرة على العالم .

ولكن لفظ القيوم جاء على هذه الصيغة فى المبالغة ، اشارة الى ، من المستحيل أن يفلت زمام الامور من الخالق ، أو أن تسير فى وجهة غير ما قضى ، اذ كل شىء يســـتند فى وجوده وبقائه وتقلبه الى هذا الوجود الأعلى : « **ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا ان أمسكهما من أحد من بعده** » .

وهذه الجملة — الحى القيوم — أولى الجمل التسع التى ترادفت أشبه بالاستدلال على الوحدانية المتقررة فى الجملة الاولى من آية الكرسى .

اذ هذه الأوصاف تنفى الشركة نفيا حاسما ، وتشـــهد للبارى انه لا اله غيره .

(٣) « **لا تأخذه سنة ولا نوم** » السنة ما يخالط الاجفان من أوائل النعـــاس ، والنوم هو الاستغراق التام .

والمراد أننا نحن البشر تدركنا ساعات غفلة نفقد فيها الشعور بأنفسنا وما حولنا .

بل نحن فى ابان اليقظة يختلف انتباهنا ونشاطنا الذهنى نحو ما نفكر فيه وما يحيط بنا .

وعند الكلال يضعف هذا الانتباه ، وتهن العزيمة ، وتكثر الأخطاء .

لكن رب العالمين لا يشغله شأن عن شأن ، ولا يغفل عن أمر في السماء لاهتمامه بأمر في الأرض ، ولا تلحقه عوارض الوهن والاعياء ، ولا تنفك قبضته الواعية عن ذرة في العرش أوالفرش لسهو او اغفاء ..

(٤) **((له ما فى السموات وما فى الأرض))** الله واســع الملك . وما تقول فى غنى يشمل آفاق السموات وفجاج الأرض .. ؟

ان العالم كله ، علوه وسفله ، ملك لله وحده .

والذين يظنهم الجاهلون شركاء لله ، ليس لهم فى هذا العالم ذرة ، ان كانوا أصناما فما هى الأصنام .. ؟ تماثيل نحتها المصــــورون فهم فى الحقيقة يملكونها ولا تملكهم .

ان كانوا بشرا ، فهؤلاء البشر ملك لمن صـــــورهم فى الأرحام ، وجعل صدورهم تهبط وتعلو بالشهيق والزفير ، ولو شاء أن يقف دقات قلوبهم فى اية لحظة من ليل أو نهار ما رده راد ..

ان هناك ملاكا على المجاز يضــــعون أيديهم على بعض التراب ليرتفقوه حينا ، وربما طغوا بما يملكون ظاهرا ، ثم .. يجيئهم الموت فيدعون الحيــاة صفر الأيدى ، يدعونها لمالكها الحق الذى له ميراث الســموات والأرض **((ولقد جئتمونا فرادى كما خلقناكم أول مرة ، وتركتم ما خولناكم وراء ظهوركم))** .

(٥) **((من ذا الذى يشفع عنده الا باذنه ..))** القاعدة العامة فى الاســلام انه لا شفاعة لمشرك ، أو ملحد .

وانه لا حق لأحد من الملائكة أو المرسلين يذهب به الى الله ليقول له اعف عن فلان أو اترك فلانا .

وان الاساس الأول للنجاة هو الايمان والعمل الصالح .

ولذلك قال الله تعالى قبل هذه الآية مباشرة : **((يا أيها الذين آمنوا انفقوا مما رزقناكم من قبل ان ياتى يوم لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة والــكافرون هم الظالمون))** .

ويقول مخبرا عن مصاير المشركين والمجرمين **((انه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من انصار))** .

ويقول أيضــــا **((وان تدع مثقلة الى حملهـــا لا يحمل منه شىء ولو كان ذا قربى))** .

وقد يقع ـــ لمن ينجون بأعمالهم ـــ شىء من الفضل ترتفع به درجاتهم فوق ما يستحقون .

أو يقع ـــ لمن قاربوا ولم يصلوا ـــ شىء من العفو ينجحون به ولا يرسبون ويجعل الله السبب الظاهر فى ذلك شفاعة المرسلين أو الصالحين .

وهى شفاعة لا ترجع الى ان هؤلاء المرسلين أو الصالحين يجيرون على الله أو ينقذون منه من يريد عقوبته ، كلا ، فما يجرؤ ملك ولا نبى على أن يقف من الله هذا الموقف .

انهم لا يشفعون الا باذنه ، ولا يشفعون الا لمن ارتضى .

قال تعالى : ((**لا يسبقونه بالقول وهم بامره يعملون يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم ولا يشفعون الا لمن ارتضى وهم من خشيته مشفقون**)) .

((**يومئذ لا تنفع الشفاعة الا من اذن له الرحمن ورضى له قولا**)) .

وربما قال قائل : ولم هذه الشفاعة وما قيمتها ؟ والجواب انها لا تعدو لونا من اكرام الله فى الدار الآخرة لمن اهينوا بسببه فى الدنيا ، فيريد الله أن يصلح بالهم وأن يعلى قدرهم ، وأن يشعر عباده بما لهم عنده من مثوبة ومنزلة ، وأن يطوى قلوب المقصرين والمتأخرين على محبتهم واعزازهم لما سبق اليهم من فضل على أيديهم .

بيد أن الشفاعة المذكورة لا تهدم قواعد العدل ، ولا تعطل موازين الحساب ولا يحتاج اليها سابق بالخير ، ولا ينتفع بها مارق من الحق .

(٦) ((**يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم**)) ليس يخفى على الله شىء فى الأرض ولا فى السماء ، وعلم الأمس واليوم والغد عنده سواء . كأن العالم منذ خلق ، والى أن تبدل معالمه صفحة واحدة يستوى فيها القريب والبعيد والأول والآخر .

وذاك ـــ بداهة ـــ لأن الخالق يعلم ما خلق ، ولا يتصور أن أحدا صنع من ورائه شيئا فيكون هو ـــ سبحانه ـــ جاهلا به .

ان الابداع ـــ وهو ابراز شىء من العدم ـــ لا يقدر عليه الا الله .

والتغيرات التى تحدث فى المادة ـــ وهو محور الأعمال البشرية ـــ لا تتم الا باقدار الله ، ومن هنا كانت احاطة العلم .

ومن هنا كان معنى قولنا : ان الله لا يعلم هذا الشىء . ان هذا الشىء لا وجود له . اذ لو كان موجودا لعلمه حتما ، وهذا معنى الآيات الكريمة .

((**ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله قل اتنبئون الله بما لا يعلم فى السموات ولا فى الأرض سبحانه وتعالى عما يشركون**)) .

ولقد تجول الفكرة فى خاطرى ـــ وكم يحمل تيار الشعور السارى فى كيان المرء من خطرات ، وسوانح ـــ فأقول : ان الله يعلم هذه الخطرة المارة ، كما تمر السحب بالآفاق .

ثم أقول : وعلمه بها منذ أجيال !

واستتلى القول : وهو يعلم من غيرى مثل ما يعلم منى !

ومن غيرى ؟ ألوف مؤلفة تزحم أرجاء العالم .

وعلمه يسع هؤلاء فى عصرنا . وما قبل عصرنا وما بعد عصرنا !!

وما يملك المرء وهو يتابع هذا التصور الا أن يهتف بالآية .

((**ربنا وسعت كل شىء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم**)) .

(٧) ((**ولا يحيطون بشىء من علمه الا بما شاء**)) ينابيع المعرفة تنبجس ابتداء من مشيئة الخالق ، حتى العلم بما يقع فى مجال السمع والبصر ، انه لولا ما ركب فى الانسان من عقل مدرك لماح ، ما استطاع أن يفقه مما حوله شيئا .

والاطلاع على ما هو أعمق من ذلك موكول الى مراتب الذكاء الانسانى ، وأنصبتنا من هذا الذكاء مقسومة علينا ونحن أجنة فى بطون الأمهات .

ومن هنا كان فتح نوافذ قليلة يطل منها العقل البشرى على آفاق من العلم محدودا بما تهيىء المشيئة العليا من أسباب عادية أو غير عادية .

ومصادر المعرفة المعتادة مبثوثة فى كتاب الكون المفتوح ، وفى تجارب الناس مع الحياة العامة ، ويمكن بالوعى والتأمل والتجربة أن نبلغ آمادا بعيدة فى هذا المضمار دون حرج ودون قيد .

أما المعارف الغيبية التى مصدرها الوحي الاعلى ، فان الله قد اصطفى لها رسله الأولين وقد انتهى هذا المصدر بالرسالة الخاتمة .

ولن يحيط أحد بشيء من هذا العلم عن الاتصال بالله أو بملائكته ، ومن زعم ذلك فهو كاذب .

وقريب من ذلك الانباء بالغيوب ، فان هذا ليس من العلوم الميسرة ، للخلق حتى تتاح فرصها للبشر على سواء ، ولا مكان لوحى ينزل به بعد انقضاء النبوات .

ومن ثم فلا يقبل من أحد القول بأنه داخل ضمن الامكان العام فى قوله تعالى : ((**ولا يحيطون بشيء من علمه الا بما شاء**)) .

(٨) ((**وسع كرسيه السموات والأرض**)) .

المتبادر الى الأذهان أن السموات والأرض هما حدود الملك الالهى ، وهذا خطأ ، فانهما بعض آثار القدرة العليا فحسب ، وكذلك قال فى آية أخرى :

((**ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة**)) .

وقال : ((**ومن آياته أن تقوم السماء والأرض بأمره ..**)) .

هما من آيات الله ، وآيات الله الشاهدة بجلاله لا يحاط بها ، وكرسيه من الرحابة بحيث يسع السموات والارض وسائر ما لا نحصى من آيات .

ونحن لا ندرى ما الكرسى ؟ ولا نكلف باكتناه ذلك .

وكل ما ندركه من هذه الجملة هو ما توحى به من الاشراف الالهى العالى على سائر الخلق ، ما نرى منه وما لا نرى منه ، وأن السموات والأرض ما يستغرقان الا جزءا من الملكوت الواسع الذى اشتمل عليه هذا الكرسى ((**والله من ورائهم محيط**)) .

(٩) ((**ولا يئوده حفظهما**)) لا يتجشم أية مشقة في ضبط السموات والأرض وتدبير الأمر بينهما ، كما أنه لم يتجشم أية مشقة فى الخلق الأول ، وهذا ما ذكره فى قوله ((**والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون**)) .

أى أن ذلك البناء شيء هين الى جانب ما فى وسعنا ، كما ينفق صاحب القناطير المقنطرة من الذهب والفضة فلوسا قليلة ، فلا يرى أنه أعطى شيئا طائلا ، كذلك ــ ولله المثل الاعلى ــ بناء العالم وحفظه ، وما يتعب الخالق المدبر ، ولا يثقله ولا يرهقه ، لفرط عظمته .

والجملة السابقة فى وصف الكرسى تشير الى علو الذات . ولذلك جاءت الجملة الأخيرة .

(١٠) ((**وهو العلى العظيم**)) .

تذييلا يختم المعانى السابقة بذكر اسمين من أسماء الله الحسنى مناسبين للمقام ، مقام العلو والعظمة الواجبين لذى الجلال والاكرام .

القصص القرآنية

٢

للأستاذ محمد عزة دروزة

- ٦ -

يجنح بعض العلماء والمفسرين الى القول أو الظن بأن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعلم شيئا من القصص القرآنية التى كان يوحى اليه بها قبل نزولها . بل والى القول ان جميع معارف النبى صلى الله عليه وسلم ومكتسباته هى من الوحى وحسب .

ولسنا نرى هذا وجيها لا من وجهة نظر الوحى القرآنى ولا من وجهة نظر النبوة . ولا من وجهة نظر الوقائع والحقائق . فالنبى صلى الله عليه وسلم كان يعيش قبل نزول الوحى عليه فى بيئة فيها كتابيون يروون ما فى كتبهم من قصص ويتداولونها . وهناك روايات تذكر أن النبى صلى الله عليه وسلم كان يجلس اليهم ويسمع منهم . وفى القرآن اشارة ما الى ذلك حيث كان المشركون يعرفون اتصاله بهم فنسبوا ما يبلغه وحى الله له ويتلوه على الناس إلى تعليمهم . وقد تضمن ذلك آية سورة النحل هذه (**ولقد نعلم انهم يقولون انما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون اليه اعجمي وهذا لسان عربي مبين**) (١٠٣) وآية سورة الفرقان هذه (**وقال الذين كفروا أن هذا إلا افك افتراه واعانه عليه قوم آخرون**

فقد جاؤوا ظلما وزورا) والآيات تنفى التعليم والاعانة دون الاتصال . ولم يكن المشركون يقولون ذلك لو لم يروا اتصاله بهم . وهو ما أيدته روايات عديدة فى كتب السيرة والتفسير مع ذكر اسماء لأفراد من اهل الكتاب كانوا فى مكة . وكان أهل بيئة النبى صلى الله عليه وسلم يرحلون الى البلاد المجاورة للجزيرة العربية التى كانت بيئات متحضرة وكتابية على الأغلب مثل العراق والشام ومصر والحبشة وجنوب الجزيرة ويرون فيها مختلف المشاهد الحاضرة والغابرة . وقد أشير الى ذلك فى بعض آيات قرآنية اوردناها قبل . وكان النبى صلى الله عليه وسلم نفسه قد قام ببعض الرحلات فى شبابه الى هذه البلاد وسمع ورأى وشاهد . ورواة العرب يروون ما يتناقله الأجيال من أخبار وأحداث وقصص عربية . فليس من المعقول ولا من الطبيعي أن يقال ان النبى صلى الله عليه وسلم كان يجهل هذه القصص كليا أو جزئيا . وفى ما ذكرناه قبل فى صدد قصة يونس دليل بالنسبة للنبى صلى الله عليه وسلم خاصة . وبالنسبة لما كان يتداوله أهل الكتاب من أحداث أسفارهم وما فيها من أسماء وشخصيات . ومعرفة النبى لهذه القصص قبل نزول القرآن الكريم لا يمكن أن تتعارض مع وحى الله القرآنى بها ولا مع نبوة النبى صلى الله عليه وسلم . لأن الوحى القرآنى بالقصص قد استهدف كما قلنا التمثيل والتذكير والانذار والموعظة والتسلية والتثبيت ولم يستهدف التاريخ والأخبار والسرد والتعريف . ويتبادر لنا أن ذلك القول أتى من عدم النفوذ الى مرمى وهدف الوحى بهذه القصص عن حسن نية ، وليس من تعارض قط بين وحى ما اقتضت حكمة التنزيل ايحاءه منها بالأسلوب الذى أوحيت به وبين ما يمكن ويصح أن يكون النبى صلى الله عليه وسلم قد عرفه منها قبل نزول الوحى بما نزل منها . ولقد كان فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم تقاليد دينية واجتماعية متنوعة . وكان يجرى فيها أحداث متنوعة شاهد النبى بعضها وسمع بعضها . وعاش بعضها . ولقد ذكر القرآن كثيرا من ذلك . وليس من احد يدعى أو يصح أن يدعى أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يعرف ذلك قبل بعثته .

وهذا وذاك من باب واحد .

وواضح أن هذا ليس مخلا بقدر النبى صلى الله عليه وسلم وعظمته التى انما كانت تقوم فى الحقيقة على ما امتاز به من عظمة الخلق وقوة العقل وصفاء النفس وكبر القلب وعمق الايمان والاستغراق بالله . ولقد قرر القرآن طبيعة النبى البشرية في آيات عديدة وأمره الله أن يعلنها للناس كما جاء فى آية سورة الكهف هذه **(قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى الىّ انما إلهكم إله واحد)** . وآية سورة الأعراف هذه **(قل لا املك لنفسى نفعا ولا ضرا إلا ما شاء الله ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون)** وهذا متصل بهذه الطبيعة التى من البديهى جدا أن لا تتناقض مع معرفة النبى صلى الله عليه وسلم ما كان متداولا فى بيئته أو فى اى بيئة ونحلة تيسر له الاتصال بأهلها من اقوال وأفكار وأخبار وعقائد وتقليد وظروف واحداث حاضرة وغابرة . بل ان من البديهى جدا أن يكون عارفا ملما بكل ذلك غير غافل عنه . وان هذا هو المعقول الذى لا يصح فى العقل غيره . واننا لنشعر بالدهشة مما أبداه ويبديه بعض العلماء المسلمين من حرص على توكيد كون النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن له معارف مكتسبة . مما لا يتسق مع المنطق

والعقل والبداهة توهما بأن في هذا مأخذا ما على كون ما بلغه النبى من القرآن الذى فيه الاخبار والقصص السابقة اتى من هذه المعارف . ونرى فى هذا التوهم خطأ اصليا فى فهم معنى ومدى الرسالة النبوية التى هى هداية وارشاد ودعوة التى لا يعهد بمهمتها العظمى الا لمن يكون اهلا لها فى عقله وخلقه وروحه وإيمانه ووعيه ومعرفته بما يدور فى المجتمع الذى بعث اليه كما ذكرت آية الانعام (**الله أعلم حيث يجعل رسالته**) كما انه آت فيما يتبادر لنا من عدم ملاحظة كون القرآن نوعين متميزين اسسا ووسائل او محكمات ومتشابهات وكون الوحى القرآنى هو الأسلوب الذى يوحى به فى ما يجب على النبى وعلى الناس عمله والسير عليه والتذكير والتبشير والانذار به .

ومما يورده بعضهم آيات سورة العنكبوت هذه (**وما كنت تتلو من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك اذا لارتاب المبطلون . بل هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم وما يجحد بآياتنا الا الظالمون**) (٤٨ و ٤٩) التى فيها دلالة على أمية النبى صلى الله عليه وسلم حيث يظنون على ما يبدو أن اكتساب المعارف والاطلاع على ما عند الناس من أخبار وأفكار وكتب انما هو حصر على القارىء الكاتب . وليس هذا صحيحا دائما كما هو المتبادر . وهو ناشىء من قياس الغائب بالحاضر . وهو قياس مع الفارق أيضا . والآيات والله أعلم بسبيل تقرير كون الدعوة التى يدعو اليها النبى صلى الله عليه وسلم وما يبلغه فى صددها انما هو وحى ربانى غير مقتبس من كتاب . وبسبيل تنبيه المشركين الى أنه لا يصح أن يكون عندهم شك فى ذلك لأنهم يعرفون أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن يقرأ ويكتب . وانهم اذا جحدوا آيات الله التى يبلغهم اياها النبى الذى اختصه الله بمهمته وبيناته فيكونون ظالمين مكابرين . وأمية المرء لم تكن فى وقت من الأوقات مانعة من أن يختزن كثيرا من المعارف والصور والروايات والنصوص الطويلة سماعا ومشاهدة . وهناك من يفوق فى ذلك على غير الأميين . وهذا بالاضافة الى أن الأمية فى الزمن القديم وفى بيئة النبى كانت هى السائدة ولم يكن هذا ليمنع نبهاء هذه البيئة من اختزان المعارف والصور والروايات والنصوص المحلية والعالمية التى كانوا يشاهدونها ويسمعونها فى بيئتهم وخارج بيئتهم .

ومما يورد أيضا للتدليل على أن النبى صلى الله عليه وسلم لم يكن ذا نشاط وحركة وتطلع ما قبل نزول الوحى عليه هذه الآيات :

١ ــ **قل لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا ادراكم به فقد لبثت فيكم عمرا من قبله افلا تعقلون** .. (يونس ١٦) .

٢ ــ **وما كنت ترجو أن يلقى اليك الكتاب الا رحمة من ربك** . (القصص٨٦)

٣ ــ **قل ما اسالكم عليه من اجر وما أنا من المتكلفين** . (ص ٨٦) .

٤ ــ **وكذلك أوحينا اليك روحا من أمرنا ما كنت تدرى ما الكتاب ولا الإيمان** .. (الشورى ٥٢) .

والآيات قد تفيد شيئا من ذلك . ولكنها لا يمكن أن تفيد أن النبى صلى الله عليه وسلم كان غافلا عما يجرى ويروى ويتداول فى بيئته من أخبار وأحداث وصور ومشاهد حاضرة وغابرة .



ويغمز الملحدون والمبشرون الحاقدون النبى صلى الله عليه وسلم بسبب

ما بين القصص القرآنيــه والأسفار والكتب التي وصلت الينا والتي كانت على الأغلب متداولة في زمن النبي بين أيدي أهل العلم والكتاب من تطــابق ما . ويقولون انها مقتبسة منها . ولقد قال كفار العرب ذلك في مواجهة النبي صلى الله عليه وسلم وحكاه القرآن عنهم بدون أى حرج مؤكدا أن الله الحكيم الذي يعلم السر هو الذي أوحى به وانزله كمــا جاء في آيات سورة الفرقان هــذه (**وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا . قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفورا رحيما**) (٥ و ٦) .

ونقول ردا على الغامزين المحدثين أن ما بين القصص القرآنية والأسفار والكتب القديمة من تطابق ليس من شأنه أن يطعن بصحة وحيها الإلهي . لأنها لم تجيء للسرد التاريخي وانما للعظة والعبرة والتذكير . وليس من تعارض بين هذا وذاك بل ان ذلك من الحكمة المتبادرة من ايرادها في القرآن كذلك على ما شرحناه قبل من حيث أن السامعين يتأثرون بما يعرفون . فليس من محل ولا معنى للغمز والنقد كما هو واضح . بل ان في الغمز والنقد دليــلا على غفلة الغامزين والناقدين عن مدى وهــدف الوحي القرآني بالقصص . اى العظــة والعبرة والتذكير والانذار والتبشير وضرب المثل .

ولقد غمزوا النبي صلى الله عليه وسلم والقرآن من ناحية أخرى أي من ناحية ورود بعض القصص القرآنية متباينة أو زائدة أو ناقصة بالنسبة لما ورد في الأسفار . ومن ذلك مثلا تســخير الجن والريح والطير لسليمان والجبــال والطير والحديد لداود وقصص ابراهيم مع قومه ومع الملك . وجزئيات كثيرة في قصص آدم ونوح ويوسف وموسى وفرعون وبني اسرائيل ويونس وايوب الخ . وقالوا ان النبي صلى الله عليه وسلم خلط أو أخطأ فيها أو اخترع ما ليس واردا منها في الأسفار والكتب . وهذا القول متهافت . والمتمعن في ما جاء في الصيغ القرآنيــة لا يجد له ضرورة فنية ولا اسلوبية ــ ونقول ذلك من قبيــل المساجلة ــ حتى يخترعه النبي صلى الله عليه وسلم أو يزيد عليه أو ينقص منه ، ولا يستطيع أحد أن يدعي بصدق أن الأسفار والكتب المتداولة اليوم هي كل ما كان في أيدي أهل العلم والكتاب والأمم الأخرى في زمن النبي وقبله كما أن أحدا لا يستطيع أن يدعي بصدق انه لم يكن نسخ أخرى مما وصل الينا فيها ما ورد في القرآن مما لم يرد في النسخ التي وصلت الينا . فالكتب كانت تنسخ وكان النساخون وهذا ديدنهم في كل وقت ينسون ويخطئون ويزيدون وينقصون فتكون النسخ للكتاب الواحد متباينة وفي بعضها زيادة وفي بعضها نقص . وفي أسفار العهد القديم التي وصلت الينا أسماء أسفار كثيرة من جملتها ســـفر التوراة شريعة موسى لم تصل الينا . وفي الأناجيل المتداولة اليوم والأســفار الملحقة بالعهد الجديد ذكر لانجيل عيسى ولم يصـــل الينا . وهناك روايات عن اناجيل عديدة أخرى لم تصل إلينا وبين نصوص الأسفار التي وصلت إلينا من مجموعتي العهد القديم والعهد الجديد تضارب وتناقض وزيادة ونقص واختلاف مشاهد حيث يفيد هذا أن الذين كتبوها قد استقوها من مصادر مختلفة ضــاعت أو بادت . ولقد اكتشف في مغارة في جهة البحر الميت أوراق من ســفر اشعيا قال الدارسون : إن بينها وبين ما هو متداول معروف من هذا السفر تباينا . وفي القرآن آيات تذكر أن أهل الكتاب كانوا يخفون كثيرا مما في أيديهم منها هــذه الآيــات :

١ ــ يا أهل الكتاب قد جاءكم رسولنا يبين لكم كثيرا مما كنت تخفون من الكتاب ويعفو عن كثير قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين . (المائدة ١٥)
٢ ــ وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء قل من انزل الكتاب الذى جاء به موسى نورا وهدى للناس تجعلونه قراطيس تبدونها وتخفون كثيرا .. (الأنعام ١٦٠) .
وفى سورة النمل هذه الآيات : (ان هذا القرآن يقص على بنى اسرائيل اكثر الذى هم فيه يختلفون وانه لهدى ورحمة للمؤمنين) (٧٦ و ٧٧) حيث تفيد ان القرآن قد جاء بما هو الحق والصدق والصحيح .
وفى سورة المائدة هذه الآية (وأنزلنا اليك الكتاب بالحق مصدقا لما بين يديه من الكتاب ومهيمنا عليه ..) (٤٨) حيث تفيد أن القرآن متطابق فى الأسس والأهداف مع كتب الله السابقة وانه ضابط لما هو الصحيح من وحى الله . ومصحح لما يمكن أن يكون وقع فى هذه الكتب من تحريف ورقيب عليها .
ولقد كانت هذه الآيات والقصص القرآنية تتلى علنا . ويسمعها أهل الكتاب ولا يمكن أن يكون ما جاء فيها جزافا ، وغير وارد فى أسفار وقراطيس فى أيدى أناس أو غير مروى على ألسنة أناس ثم ضاع أو نسى . ولقد آمن كثيرون منهم قدروا على التغلب على أنانيتهم وأهوائهم . وأعلنوا صدق القرآن كما حكى ذلك عنهم فى آيات عديدة منها هذه الآيات :
١ ــ وان من أهل الكتاب لمن يؤمن بالله وما أنزل اليكم وما أنزل اليهم . (آل عمران ١٩٩) .
٢ ــ لكن الراسخون فى العلم منهم والمؤمنون يؤمنون بما أنزل اليك وما أنزل من قبلك . (النساء ١٦٢) .

٣ ــ ذلك بان منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون . واذا سمعوا ما أنزل الى الرسول ترى أعينهم تفيض من الدمع مما عرفوا من الحق .. (المائدة ٨٢ و ٨٣) .
٤ ــ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ان الذين أوتوا العلم من قبله اذا يتلى عليهم يخرون للأذقان سجدا ويقولون سبحان ربنا ان كان وعد ربنا لمفعولا . (الاسراء ١٠٨) .
وليس هناك اية رواية فيها انكار أهل الكتاب لشيء مما ورد فى قصص القرآن . ولقد حكى القرآن بدون حرج نسبة الكفار الى النبى صلى الله عليه وسلم بافتراء القرآن وكذبه ورد عليهم .
وقد حكى القرآن الكريم كثيرا من مواقف اليهود من النبى والاسلام ومحاولاتهم الدس والتفرقة والتشكيك . فلو كان صدر شيء من ذلك لحكاه ورده عليهم .
وفى كل هذا حجة لاقناع من يبغى الحق ، ولا يكون موقفه موقف المكابر العنيد الذى جعل إلهه هواه .



ونحن نعرف ان هناك ما يمكن ايراده بالنسبة للنقطة الاولى . اى كون

القصص مما كان معروفا من النبي صلى الله عليه وسلم والسامعين من قومه . حيث ورد في القرآن آيات قد تبدو انها تناقض ذلك وهي :

١ ــ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ يلقون اقلامهم ايهم يكفل مريم وما كنت لديهم اذ يختصمون** .. (آل عمران)

٢ ــ **تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين** .. (هود ٤٩) .

٣ ــ **ذلك من أنباء الغيب نوحيه اليك وما كنت لديهم اذ اجمعوا امرهم وهم يمكرون** .. (يوسف ١٠٢) .

ونقول في صدد ذلك : ان قصتي نوح ويوسف عليهما السلام قد وردتا في سفر التكوين أول أسفار العهد القديم المتداول اليوم والذى نعتقد أنه كان متداولا في بيئة النبي صلى الله عليه وسلم . واهل بيئته وهو نفسه كانوا متصلين بالكتابيين ويعرفون أخبارهم وما عندهم وما في كتبهم على ما تفيده آيات عديدة أوردناها قبل وعلى ما جاء في شرحنا السابق . فليس مما يصح فرضه أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم والعرب السامعون أو بعضهم جاهلين هاتين القصتين .

ولقد أشير الى نوح وموقف قومه منه اشارات خاطفة في سور مبكرة في التنزيل بأسلوب يلهم أن قصتهم مما كان معروفا متداولا مثل سورة النجم (الآية ٥٢) وسورة ق (الآية ١٢) وسورة القمر (الآيات ٩ ــ ١٥) وسورة ص (الآية ١٢) .

ولقد ذكر في سورة نوح أسماء أصنام قوم نوح (ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر) وذكرت الروايات أن بعض قبائل عربية في زمن النبي صلى الله عليه وسلم وقبله كانوا يعبدون هذه الأصنام ويعرفون ويقولون أنها أصنام قوم نوح . ولقد وردت قصة نوح مفصلة في سور ترتيبها سابق لسورة هود في النزول مثل سور الأعراف ويونس والقمر . وليس فيها تنبيه مثل التنبيه الذى احتوته آية سورة هود . ووردت مفصلة أيضا في سور الشعراء والصافات ونوح والأنبياء والمؤمنون والعنكبوت خالية من مثل هذا التنبيه .

ولقد جاء في مطلع قصة يوسف في سورة يوسف هذه الآية (**لقد كان في يوسف واخوته آيات للسائلين**) (الآية ٧) وهذا النص يفيد أن من السامعين من كان يسمع قصة يوسف وانهم قد يكونون طلبوا من النبي صلى الله عليه وسلم تفصيلا ذلك فأوحى الله بالقصة كما جاءت في سورة يوسف . ومتطابقة كثيرا مع ما جاء في سفر التكوين مع تباين في بعض الجزئيات . ولا نرى هذا يتناقض أو يتعارض مع احتمال أن يكون النبي صلى الله عليه وسلم يعرف تفصيل هذه القصة في سفر التكوين أن نسخه المختلفة التى يمكن أن يكون بينهما تباين ولم يصل الينا منها الا النص المتداول .

وقصة بشارة الملائكة لمريم بعيسى عليهما السلام واردة في الاصحاح الأول من انجيل لوقا المتداول اليوم بما يقرب لما ورد من ذلك في سورتي مريم وآل عمران . وفي الاصحاح خبر حبل امرأة زكريا بيحيى عليهما السلام وهي في شيخوختها بأمر الله وقدرته . ووصفت بأنها نسيبة مريم . وهذا يعني أن حياة مريم قبل ولادتها لعيسى ونذر أمها بما في بطنها وكفالة زكريا لها والاختلاف على كفالتها والاقتراع على ذلك بما عبر عنه القرآن بجملة (**يلقون اقلامهم ايهم يكفل**

مريم) كل كذلك مما يمكن أن يكون متداولا في أوساط النصارى في البيئة النبوية ومما يمكن أن يكون قد سمعه وعرفه كليا أو جزئيا النبي صلى الله عليه وسلم وقومه . وفي كتب تفسير الطبري وابن كثير بيانات في صدد ذلك معزوة الى علماء الاخبار من أصحاب رسول الله وتابعيهم مما يؤيد ذلك .

ولقد قال المفسر الخازن تعليقا على آية سورة هود : ان قصة نوح مشهورة وانه ليس مما يحتمل أن لا تكون معروفة وأنه يجب صرف الآية الى قصد عدم معرفة النبي وقومه جميع تفصيلاتها . وهذا قول وجيه مع اضافة شيء عليه وهو عدم معرفة النبي وقومه جميع التفصيلات التي جاءت في سورة هود بخاصة . لأن مثل هذا التنبيه لم يرد في سياق القصة في السور الأخرى ثم عدم نفي أن تكون التفصيلات التي لم يكن النبي وقومه يعرفونها قد وردت في أسفار وقراطيس كان الكتابيون يتداولونها . والله تعالى أعلم .

ويصح أن يشمل هذا القول ما جاء في سورة يوسف من تفصيلات في قصة يوسف واخوته . وما جاء في سورة آل عمران في قصة مريم أيضا حيث تكون حكمة التنزيل اقتضت الايحاء بما كان النبي صلى الله عليه وسلم وقومه لا يعرفونه من تفصيل القصص الثلاث مع عدم تعارض ذلك مع احتمال أن يكون ذلك واردا في أسفار وقراطيس أخرى .

وهناك آية أخرى تساق أيضا . وهي آية سورة يوسف هذه (**نحن نقص عليك احسن القصص بما اوحينا اليك هذا القرآن وان كنت من قبله لمن الغافلين** .. (الآية ٣) . وازاء ما ذكرناه وشرحناه من حقائق ووقائع لا مناص من تأويل الآية بتأويل لا يتناقض مع ذلك أيضا فيقال والله أعلم أن القصد هو التنبيه على أن النبي صلى الله عليه وسلم كان غافلا عن حقيقة تلقي وحي الله القرآني أو عن أمور كثيرة من هذه القصص .

— ٩ —

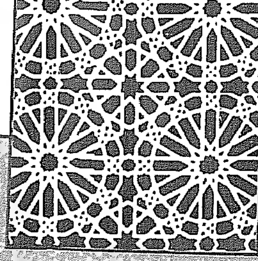
ويتظارف بعض الأدباء ومنهم مسلمون فيطلقون على أسلوب القصص القرآنية نعت (الفن القصصي) في القرآن . ولا ندري ماذا يقصدون من ذلك . فاذا كانوا يعبرون بهذا الوصف عن توهم كون القصص القرآنية حبكت بالخيال والتزويق والافتعال كما هو شأن القصص ففي ذلك تجوز وسوء أدب . لأن القصص القرآنية منزهة عن كل ذلك . فقد كانت كما قلنا معروفة مروية متداولة . فأوحى الله بها بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما لتحقيق هدف الموعظة والتذكير والمثل والعبرة والالزام والافحام والانذار والتبشير . وقد يكون من مقاصدهم بذلك النعت التنويه بروعة الاسلوب الفني الأدائي الذي جاءت عليه هذه القصص وما فيها من صور كلامية رائعة . وهذا خطأ بدوره . لأن روعة الاسلوب والصور الكلامية في القصص القرآنية ليست أمرا متميزا عن روعة الأسلوب والصور الكلامية في سائر مواضيع القرآن وآياته وفصوله . فكل هذا بارز في كل مواضيع القرآن الأخرى . سواء أكانت أمثالا أم آيات في مشاهد الكون والخلق أم في المشاهد الأخروية . أم في الجهاد . أم في الأخلاق والاجتماع . أم في الجدل والحجاج أم في الانذار والتبشير . ففي كل ذلك كما

فى فصول القصص من الصور الكلامية الرائعة والأسلوب الأخاذ ما هو نافذ الى أعماق القلوب والعقول . وكل ما جاء فى القرآن من ذلك قد هدف الى هدف وحقق الهدف الذى جاء من أجله .

— ١٠ —

هذا . وقد يسأل سائل عما اذا كانت القصص القرآنية حقائق ووقائع تاريخية فى جزئياتها وكلياتها . ومع أن بعض علماء المسلمين قالوا انه ليس فى قصص القرآن ما هو مستحيل عقلا أو ما يثبت قطعيا عدم وقوعه أو مما ليس محتملا أن يكون وقائع تاريخية حقيقية . ومع ما فى هذا القول من سداد فاننا نرى الأولى والأفضل أن نكتفى بالقول وأن يكتفى المسلم معنا بالقول ان كل ما فى القرآن وحى ربانى وانا (**آمنا به كل من عند ربنا**) مع القول أيضا أن هذه القصص لم يوح بها لتقرر وقائع تاريخية . وأن الوقائع المذكورة فيها كانت معروفة عند سامعى القرآن أو واردة فى كتب وقراطيس أو متداولة فى روايات شفوية فى بيئة النبى صلى الله عليه وسلم فاقتضت حكمة التنزيل بأن توحى قرآنا بالأسلوب والفحوى اللذين أوحيت بهما وبتكرارها فى سور متعددة وبصيغ متنوعة لتحقيق الأهداف المستهدفة منها التى ذكرناها قبل . وانها من الوسائل والمتشابهات التى لا ضرورة الى استقصاء حقائق جزئياتها ووقائع ما فيها من أحداث أو استنباط ذلك منها أو المجادلة أو النقاش والأخذ والرد فيها . وان من الواجب الدينى بل مقتضى الحق والعقل الوقوف عند ما ذكره القرآن منها دون تزيد وتكلف وتخمين .

ومن الجدير بالذكر والتذكير أن القرآن لا يحتوى استقصاء لحوادث القصص الواردة فيه . ولم يكن ما احتواه منها سردا تقريريا لوقائعها حيث اكتفى بذكر ما اقتضت الحكمة ذكره بالأسلوب والفحوى اللذين اقتضت هذه الحكمة ومناسبات السياق لتحقيق الهدف الذى جاءت من أجله من عظة وتذكير وتمثيل وانذار وتبشير وتوضيح وتلقين . وهذا واضح ملموح لكل من يمعن النظر فيها . ولو كان متوسط الثقافة . وهو ضابط مهم يجب على الناظر فى القرآن أن يلتزم به . وفى القرآن ظاهرة مهمة فيها توكيد لذلك واتساق معه . وهى أن أسلوب القرآن فى القصص وهدفه قد اتسقا مع ما ورد فيه من ذكر الوقائع الجهادية والمواقف القضائية والحجاجية وغيرها من أحداث السيرة النبوية بحيث أن الناظر فى القرآن يجد أن ما ورد فيه من ذلك انما ورد للعظة والتذكير والتنبيه والحث والتحذير والارشاد والتعليم والتسلية والتثبيت والتشريع . وهذا ظاهر من كون المذكور فى القرآن من ذلك لا يحتوى كل الصور والمشاهد والتفصيلات للمواقف والأحداث . وانما احتوى ما اقتضت الحكمة ذكره منها لتحقيق المقاصد المذكورة . وفى هذا دليل على الانسجام فى الأساليب القرآنية ومراميها . والخروج من هذا النطاق هو خروج عما يلهمه القرآن من نطاق مرسوم لقصصه وتعريف له كما قلنا للنقاش والجدل . واخراج له عن هدفه وهو الهدى والموعظة والذكرى . وهو بعد ليس كتاب تاريخ . ولا يجوز النظر اليه على هذا الاعتبار . والله أعلم . والحمد لله رب العالمين .



أضواء على حركة المنافقين في عهد النبوّة

للأستاذ عبد القادر طاش التركستاني

ما إن بزغت شمس الدعوة الاسلامية وعمت انوارها حتى التف الأعداء حولها يكيدون لها ،ويحاولون القضاء عليها بكل ضراوة واستماتة . وكان المنافقون ـ الذين اظهروا الاسلام بألسنتهم ولم تؤمن قلوبهم ـ أشد أولئك الأعداء وأخطرهم اثرا في حياة الدعوة . وذلك لأنهم كانوا يختلطون بالمجتمع المسلم ويندسون في الصف الاسلامي ويفعلون أفاعيلهم ـ النابعة من حقدهم على الاسلام ، وحسدهم للمؤمنين ـ وهم آمنون من أن يلومهم أحد .

وقد بدأت حركة المنافقين بدخول الاسلام الى المدينة المنورة واستمرت الى قرب انتقال الرسول صلى الله عليه وسلم الى الرفيق الاعلى .

ويصور ابن القيم خطورة تلك الحركة وأثرها السيء على الاسلام وأهله فيقول : (فلله كم من معقل للاسلام قد هدموه وكم من حصن له قد قلعوا أساسه وخربوه. وكم من علم له قد طمسوه ، وكم من لواء له مرفوع قد وضعوه وكم ضربوا بمعاول الشبه في أصول غراسه ليقلعوها وكم عموا عيون موارده بآرائهم

ليدنسوها ويقطعوها ، فلا يزال الاسلام واهله منهم في محنة وبليه ، ولايزال يطرقه من شبههم سرية بعد سرية ويزعمون انهم بذلك مصلحون **(الا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون)** (١) **(يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون)** (٢) .

وهذه صفحات عن صفات أولئك المنافقين وأسلحتهم في محاربة الدعوة وعن دورهم في المعارك التي خاضها الرسول أردت منها أن القي بعض اضواء على تلك الحركة الخطيرة عسى أن ننتفع بها في معرفة المنافقين الذين يعيشون بيننا اليوم وكشف حقيقتهم وفضح نواياهم لنعمل بعد ذلك على تصفية المجتمع المسلم والصف المسلم منهم حتى نستطيع مواصلة المسيرة الاسلامية بعزم وإيمان دون أن يخذلنا مخذل أو يعوقنا معوق .

● تعريف النفاق :

المعنى اللغوي : يقول علماء اللغة : ــ إن النفاق مشتق من نافقاء اليربوع ، ولليربوع جحران أحدهما النافقاء والثاني القاصعاء ، والنافقاء موضع يرققه بحيث اذا ضرب رأسه عليه ينشق وهو يكتمه ويظهر غيره فان ارتاب أو رأى الصائد آتيا اليه من قبل القاصعاء (وهو الجحر الظاهر) ضرب النافقاء برأسه فخرج .

وقيل : ان المنافق مأخوذ من النفق وهو السرب تحت الأرض ويراد بذلك أنه يستتر بالاسلام كما يستتر صاحب النفق فيه (٣) .

وقال الزرقاني في شرحه على المواهب : ــ ان النفاق اسم اسلامي لم تعرفه العرب بالمعنى المخصوص به وهو فعل المنافق الذي يستر كفره ويقيه بالاسلام كما يستتر الرجل النفق وهو السرب في الأرض له مخرج غير الذي يدخل إليه منه (٤) .

المعنى العام : ــ والمعنى العام للنفاق هو: اظهار الانسان خلاف ما يبطن في شتى نواحي الحياة فيتضمن الدخول في الاسلام ظاهرا فقط ويتضمن غير ذلك مما يكون فيه الظاهر مخالفا للباطن(٥) ، مثل التظاهر بالفضيلة في الوقت الذي لا يؤمن بها الانسان أو لا يمارسها في الواقع . والنفاق بذلك يكون ضربا من ضروب الكذب ولكنه (يمتاز عن باقي انواع الكذب بأنه ينحط الى دركات الكذب السفلى ويلف في طياته كلما تلوى أشتاتا من الجبن والصلف والخسة والصفاقة ويدعو الى الحقد والحسد والضغينة ويفتن في اخراج المآسي المروعة من الخبث والدهاء والمكر السيء وأكل الحقوق) (٦) .

المعنى الخاص :ــ اما المعنى الخاص له فهو : اظهار الاسلام واضمار غيره أو هو التضارب بين العقيدة الباطنة والعقيدة الظاهرة ، يقول ابن القيم : هو أن يظهر للمسلمين إيمانه بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وهو في الباطن منسلخ من ذلك كله ، مكذب به . (٧) وقد أورد الفخر الرازي في تفسيره جدولا مؤسسا على التقسيمات المنطقية ، وتابعه على ذلك البدر العيني في شرحه للبخاري ، وقد عرفا النفاق بأنه (الانكار القلبي والاقرار باللسان اضطراريا) (٨) .

ولقد حكم القرآن الكريم بكفر المنافقين فقال تعالى : **(ذلك بانهم آمنوا ثم كفروا فطبع على قلوبهم)** (٩)

وقال تعالى : (**إن المنافقين فى الدرك الأسفل من النار**) (١٠) . وقال تعالى : (**إن الله جامع المنافقين والمشركين فى جهنم جميعا**) (١١) .

● أسباب النفاق :

للنفاق اسباب كثيرة تدعو اليه نذكر منها : —

١ — الخوف : فقد يؤمن الشخص بشيء ثم يرى وجوب ستر ذلك خوفا من المجتمع كالايمان بنظرية فاسدة أو الرغبة في سيطرة أو ملك ونحوه.

٢ — الحسد : وقد ينافق الشخص حسدا لغيره على ما وهبه الله له كحسد عبد الله بن ابى بن سلول لرسول الله صلى الله عليه وسلم أن أعطاه الله القيادة والمكانةالسامية فى المدينة .

٣ — وقد ينافق حبا فى مال أو طمعا فى شهوة وهوى .

٤ — وقد ينافق حبا فى جاه عريض ومركز كبير وجلبا لدعاية يطرق فى سبيل بلوغها كل الوسائل خيرها وشرها .

٥ — وقد ينافق عداوة لشخص أو مذهب ليحيك بنفاقه وتظاهره بالاخلاص مؤامراته ويختلق دسائسه

● مناحى النفاق :

وللنفاق مناح متعددة وخطيرة ولكن أخطرها وأكثرها أثرا ما يتعلق بالنفاق فى الدين والنفاق فى الحرب والسياسة .

١ — النفاق فى الحرب : ان الناظر فى صحائف التاريخ والواعى لوقائعه فى جميع عصوره يرى جليا أن كثيرا من الحروب والمآسي التي وقعت كانت تستند — فى اغلبها — على قواعد من النفاق والخديعة والمكر وكلنا يعلم أن الجاسوسية والمخابرات ترتكز على النفاق والكذب فى نطاقات واسعة ، وما الحرب النفسية أيضا الا نوع من أنواع الخداع والنفاق(١٢) .

٢ — النفاق في السياسة والحكم: ومجال النفاق في هذه ممتد الأطراف فما أكثر المؤتمرات والهيئات التى تعقد لتخرج الى الناس : (منتهى ما وصل اليه العقل البشرى من أفانين النفاق والكذب وأساليب الخداع والدهاء والخبث مخلوطا بالألفاظ المعسولة الجميلة ومصبوغا بألوان مستعارة من الحق والمنطق) (١٣) . (ومن أكبر ميادين النفاق دعاوى الاصلاح عندما يكون موضوعها من المسائل التى يمرن فيها الجدل وليس لها روابط محدودة كوسائل التعليم وبرامجه واختلاط الجنس والرقص وأساليب السلوك وأغلبها يدور حول محور واحد كامن هو ارضاء الشهوات والغرائز وستر ذلك بالصور الفلسفية) (١٤) .

وللاعلام والدعاية والبلاغة البارعة دور بارز فى تنميق الأقوال وإلباس الباطل ثوب الحق فكم من الأنظمة تتشدق بأناشيد الحرية والمساواة وهى التى تخنق الحريات وتكتم الأنفاس ، وكم من المسؤولين وذوى الأمر والنهى فى الامة يدعون الفضيلة وهم أبعد الناس عنها .

٣ — النفاق الدينى : — فقد اتخذ ذوو النفوس المريضة المنحرفة الدين ستارا لأعمالهم الخبيثة وجرائمهم البشعة فتجدهم يدعون التقوى

والصلاح والاستقامة ويغرون الناس بمظاهرهم ثم ياتون خباثتهم فى الخفاء مطمئنين من ان يلومهم أحد لانهم فى نظر الناس أبعد الناس عن الرذيلة ، وهذا المنحى من مناحى النفاق جد خطير واثره فى نفوس الناشئة عظيم .

٤ — النفاق فى الأفكار : — وبما أن النفاق يقضي على الانسان أن يعتبر ظواهر الامور من كل شيء دون نظر الى حقائقها فلا ضير لدى المنافق إن جرى وراء التيارات المتناقضة والمعانى المضطربة والنظريات الفارغة . بل انه ليتعمد خلق النقاش والجدال فى المسائل التافهة الحقيرة أو التى لا أصل لها البتة .

٥ — النفاق فى المجتمع : — وهو صورة متكررة فى حياة الناس تجدها فى كل مكان . فالمرؤوس ينافق رئيسه والصديق ينافق صديقه والزوج ينافق زوجته التى تنافق هى أيضا ، وأكثر الناس ينافقون ذوى السلطان عليهم وذوى الجاه والمال فيهم — ونحو ذلك .

● الاسلام والنفاق :

أتى الاسلام بتعليمات خاصة ومبادىء معينة تتنافى كليا مع النفاق وقد رسم الاسلام للانسان الطريق الأسمى نحو بلوغه كماله ، وتحليقه فى سماء الفضيلة والمثل العليا ، وقد كان ذلك الطريق متمشيا مع الطبيعة البشرية لا يصادمها أبدا ، ولا يكبت طاقاتها ومن ثم فاننا نقول بكل اطمئنان : ان الاسلام لا يلجىء الانسان الى النفاق لانه لا يتطلب من الناس ما يحوجهم الى النفاق فهو مثلا (لا يقول لهم ان الشعور الجنسى قذر فى ذاته فتطهروا منه وتعالوا عليه فاذا عجزوا عن اطاعة هذا النداء — تلبية لدوافعهم الفطرية — نافقوا ليحافظوا على تعاليم الدين . . كلا انه يقول لهم انه أمر طبيعي ونظيف فىذاته الى أبعد الحدود (حبب إليّ من دنياكم الطيب والنساء وجعلت قرة عينى فى الصلاة) بل يدعوهم دعوة صريحة الى أخذ نصيبهم من المتاع الجنسى اذ يدعوهم الى الزواج والتبكير فيه كل ما فى الأمر انه يمنعهم من أخذ هذا النصيب فوضى على طريقة الحيوان ويتيحه لهم نظيفا طاهرا كما يليق بالانسان . فاذا أطاع الناس تعاليم دينهم فى هذا الموضوع فلا نفاق إذن ولا حاجة الى النفاق وانما الصراحة الكاملة والسعى الواضح المكشوف ، وكذلك الأمر فى بقية تعاليم الاسلام لا تجد فيها النفس السوية حرجا يدعو الى النفاق) (١٥)

● بدء حركة النفاق وأسبابها :

بدأت حركة النفاق بعد الهجرة النبوية الى المدينة ولم يكن لها وجود بمكة ، أما الاسباب التى أدت الى نشوء هذه الحركة فى المدينة : فهى الاوضاع الجديدة والتغييرات الجذرية التى حدثت بعد هجرة المصطفى اليها فلم تكن للاسلام فى مكة دولة أو قوة أو عصبية يخشاها أهل مكة فينافقونها أما فى المدينة (فقد أصبح الاسلام قوة يحسب حسابها كل أحد ويضطر لمصانعتها قليلا أو كثيرا وبخاصة بعد غزوة بدر وانتصار المسلمين فيها انتصارا عظيما وفى مقدمة من كان مضطرا لمصانعتها نفر من الكبراء دخل أهلهم وشيعتهم فى الاسلام وأصبحوا هم ولا بد لهم لكى يحتفظوا بمقامهم الموروث بينهم وبمصالحهم كذلك أن يتظاهروا

باعتناق الدين الذى اعتنقه أهلهم واشياعهم ومن هؤلاء عبد الله بن أبى ابن سلول الذى كان قومه ينظمون له الخرز ليتوجوه ملكا عليهم قبيل مقدم الاسلام على المدينة) (١٦) .

ومن المؤكد أن للجالية اليهودية التى كانت تقيم بالمدينة الدور الأساسى والخطير فى نشوء حركة النفاق (فان لليهود تاريخا قديما وعريقا فى النفاق وتدبير الدسائس والمكائد واشعال الفتن هكذا كانوا منذ آلاف السنين ولا يزالون كما كانوا) (١٧) .

● العلاقة بين المنافقين واليهود :

واذا كان لليهود دور أساسى فى نشوء حركة النفاق فما هى الأسباب التى دعت اليهود الى اثارة تلك الحركة واخراجها الى حيز الوجود وتغذيتها وامدادها بالوقود اللازم ؟.

يمكن تلخيص تلك الأسباب فيما يلى :

١ ــ أن اليهود يعتقدون أنهم شعب الله المختار لذلك فانه يجوز لهم بل يجب عليهم أن يسخروا كل وسيلة ــ مهما كانت ــ لبلوغ مقاصدهم ومن تلك الوسائل : أسلحة النفاق والخديعة والدسيسة والكيد الماكر .

٢ ــ أن الاسلام حينما شع نوره فى أرجاء المدينة الف بين قلوب الأوس والخزرج المتناحرة وصاغ منهم مجتمعا متماسكا متضامنا قويا متوحدا مما أفسد على اليهود فرصتهم فى استغلال الخصام الدائر بين الفريقين لصالحهم فعملوا على تغذية حركة النفاق لخلخلة وحدة المجتمع المسلم وتشتيت كلمته .

٣ ــ كان اليهود يتطلعون الى أن يكون الرسول الأخير الذى بشرت به التوراة والانجيل منهم فلما جاء من العرب .. حسدوه حسدا شديدا وحقدوا عليه وعدوا دعوته لهم الى الاسلام اهانة واستطالة ، وأخذتهم العزة بالاثم فعملوا على الانتقام من الرسالة والرسول باشعال نار فتنة النفاق .

٤ ــ شعور اليهود بالخطر المحدق بهم من جراء عزلهم عن المجتمع المدنى الذى كانوا يزاولون فيه التيادة العقلية والتجارة الرابحة والربا المضعف .

لكل تلك الأسباب كان اليهود يقفون من الاسلام موقف العداء الشديد ويغذون حركة النفاق ضده بل كان كثير منهم مشتركا فى تلك الحركة يعمل مع المنافقين جنبا الى جنب أمثال : أوس بن قيظى وشاس بن قيس وزيد بن اللصيت وسعد بن حنيف .

ومن أساليب اليهود التى اتخذوها لمحاربة الدعوة وزرع الشك والتردد فى نفوس المؤمنين ما يلى :

١ ــ كان جماعة منهم يأتون رجالا من الانصار ويخالطونهم ينتصحون لهم فيقولون : لا تنفقوا أموالكم فانا نخشى عليكم الفقر فى ذهابها ولا تسارعوا فى النفقة فانكم لا تدرون علام يكون .

٢ ــ وكانوا يثيرون الأسئلة عن أشياء مريبة ومشككة فلقد جاء نفر منهم يسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم : متى تقوم الساعة ؟ فنزل

قوله تعالى : « يســـــألونك عن الساعة .. » .

وجاءه مرة جماعة منهم فقالوا : يا محمد هذا الله خلق الخلق فمن خلق الله .. ؟!

٣ — وكانوا يحرضـــون المنافقين على أعمالهم التخريبية ويدلونهم على الخطط التي يمشـــون بمقتضاهـــا (وقالت طائفة من أهل الكتاب آمنوا بالذى انزل على الذين آمنوا وجـــه النهـــار واكفـــروا آخره لعلهـــم يرجعون) (١٨) .

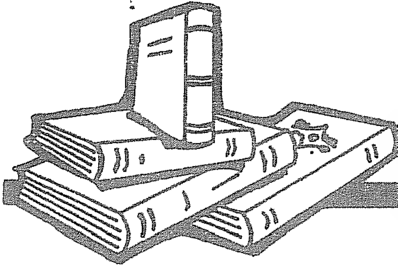
٤ — وكانوا يطلبون من المشركين أن يسألوا رســـول الله مثل تلك الاسئلة التي كانوا يثيرونها فقد سألت قريش رسول الله بايعـــاز من اليهود عن ذى القرنين .

٥ — ولشدة حنقهم على الاسلام وحسدهم للمسلمين فقد كانت قلوبهم تكره اجتماع المسلمين وألفتهم ويروى أن شاس بن قيس اليهودى مر يوما على نفر من أصـــحاب رسول الله مجتمعين فغاظه ما رأى من اجتماعهم وتحاببهم فأمر شابا من اليهود كان معهم أن يذكر في المجلس يوم بعاث وبعض اشعار الاوس والخزرج في ذلك ففعل فتكلم القوم وتفاخـــروا وتنازعوا فيما بينهم حتى بلغ بهـــم الأمر أن تواعدوا للقتال فخرج عليهم رسول الله وهدأ من ثورتهم وعرفهم أن ذلك نزعة من الشيطان وكيد من العدو فبكوا وعانق الرجال من الأوس والخزرج بعضهم بعضا .

ومن اجل هذه العلاقة الحميمـــة والترابط الوثيق بين اليهود والمنافقين وبسبب من هذا التشابه الكبير بينهم في الأساليب التي يكيدون بها للاسلام وأهله وفي الطرق التي يتبعونهـــا لبذر الفساد والشـــقاق وزرع الفتن والقلاقل فان القرآن الكريم حينمـــا يتحدث عن المنافقين يوضح لنا هـــذه العلاقة بينهم وبين اليهـــود ويصفها (بالأخوة) قال تعالى : **(ألم تر الى الذين يقولون لاخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب ...)** (١٩) وامتدادا لهذه الأخوة في الدنيا فهم اخوة في المصـــير الأبدى **(إن الله جـــامع المنـــافقين والكافـــرين في جهنـــم جميعـــا)** (٢٠) .

---

(١) البقـــرة ١٢
(٢) الصـــف ٨
(٣) راجع القاموس ومختار الصحاح والمصباح المنير (مادة نفق) .
(٤) الزرقانى ج ٣٥٦/١ .
(٥) النفاق والمنافقون لابراهيم على سالم ص ٣
(٦) نفس المصدر ص ٤
(٧) صفات المنافقين لابن القيم ١٥
(٨) تفسير الفخر الرازى وشرح العينى على البخارى ج ٢١٧/١ .
(٩) المنافقـــون ٣ .
(١٠) النســـاء ١٤٥ .
(١١) النســـاء ١٤٠ .
(١٢) سنرى صورا للنفاق في الحرب في حلقة قادمـــة .
(١٣) و (١٤) النفاق والمنافقون ١١ و ١٢ .
(١٥) في النفس والمجتمـــع لمحمـــد قطب ١٠٤ و ١٠٥ .
(١٦) في ظلال القرآن م١ ج٢٧/١ و ٢٨ .
(١٧) النفاق والمنافقون ٧٦ .
(١٨) آل عمـــران ٧٢ .
(١٩) الحشـــر ١١
(٢٠) النســـاء ١٤١ .



كتاب الشهر

أبو حيان التوحيدي

عرض وتحليل الدكتور : يوسف نوفل

ما تزال الندرة تكتنف جنبات تراثنا المشرق ، وما يزال رجال هذا التراث واعلامه يتوارون خلف غلالات التجاهل والنسيان على الرغم من روعة الدور الذى قام به هؤلاء الاعلام وعلى الرغم من أهمية ما يلقيه التراث من أشعة تترامى الينا عبر مسافات السنين وتنائى العصور .

وقليل أولئك الباحثون الأفذاذ الذين أعطوا من وقتهم وجهدهم وتفكيرهم الكثير لهذا التراث القابع خلف تراكم الزمن ، وللاعلام الراقدين تحت جبال النسيان ، واستاذنا الاستاذ الدكتور أحمد محمد الحوفى واحد من هؤلاء ، فقد قدم لنا من قبل دراسات عديدة طيبة عن أعلام التراث مثل كتابه عن ابن خلدون حيث عرض آراءه فى التربية وعلم الاجتماع التى لم يعرض لها الدارسون من قبل ، كما درس أدبه النثرى والشعرى ، وكتابه عن الطبرى الذى شمل دراسة لعصره ، وبيئته ، وحياته ، ومصادر ثقافته ، وألوانها ، وعرض لتلاميذه ، ولمؤلفات ، ودراسة لشخصيته ، ولمناهجه فى التفسير والتاريخ والفقه ، وكتابه عن الجاحظ الذى قدم فيه دراسة لعصره ، وحياته ، وعالم شخصيته ، ومؤلفاته وخصائصه الفنية ، مع تحليل بعض كتبه .

والى جانب دراساته عن أعلام التراث هناك العديد من جولاته الفنية حول القيم والمعانى المبثوثة فى تراثنا القديم ، مثل : الفكاهة فى الأدب ، والبطولة والبطل ، وسماحة الاسلام ،

وأدب السياسة في العصر الأموي ، والغزل في العصر الجاهلي ، والمرأة في الشعر الجاهلي ، والمثل السائر لابن الأثير (تقديم وتحقيق وتعليق) وفن الخطابة وغير ذلك من مجالات البحث .

.. .. ..

ونحن اليوم أمام دراسة جادة لباحثنا الكبير حول أبي حيان التوحيدي ، وقد يحسن أن نلتقي بشيء مما جاء بمقدمة الكتاب :

(اللهم لك الحمد ، وبك الاستعانة ومنك التوفيق ، وبعد :

فهذا كاتب قدير ممن زاوجوا بين العبارة الناصعة واللغة البارعة والفكرة الثرية ، وممن خلفوا للأعقاب ينبوعا ثرا من المعرفة ما زالوا يرتشفون من سلساله ويرتوون .

اتصلت به عن بعد حينما قرأت على عجل موضوعات من كتابه (المقابسات) ، وموضوعات أخرى من كتابه (الهوامل والشوامل) ولكن هذا الاتصال العاجل أوحى الي باكبار علمه والاعجاب بفنه .

ثم اتصلت به عن قرب قريب ، وعشت معه مدة من الزمن ، حينما شرعت أكتب هذه الدراسة ، فعظم اكباري لعلمه واعجابي بفنه ، وأيقنت أن الرجل مغبون القدر ، مهضوم المكانة ، وأيقنت أنه أجدر بالدراسة والتقدير من أرباب الصناعة اللفظية ، الذين ذاعت شهرتهم في حياتهم وبعد مماتهم ، وما زالوا يدرسون الى اليوم على أنهم زعماء مدرسة أو أصحاب طريقة في الكتابة كابن العميد ، وابن عباد ، والقاضي الفاضل ولسان الدين بن الخطيب .

والحق أن أبا حيان يفضل هؤلاء جميعا ، ويفضل اضرابهم من كتاب الزخرف والزينة كبديع الزمان ، والحريري ، والقاضي الفاضل .

نعم يفضلهم بعدة مزايا ، سأعرض لها حين أوازن بينه وبين كتاب عصره ، وحسبه أنه كاتب يحفل بالفكرة والعبارة معا ، وانه يستلهم مشاعره وعواطفه ، كما يعتمد على التأنق والافتنان وأنه قد جال بقلمه في ميدان العلم والمعرفة ، فطوع النثر للترجمة عن الثقافة في تعبير من الأدب الرفيع ، وبهذا أكمل ما فعله الجاحظ من قبل) .

وقد يحسن بعد هذا الجزء من المقدمة أن نلتقي بنظرة عامة حول خطوات هذا البحث ومجالاته .

يبدأ الفصل الاول وعنوانه : أعاصير السياسة ، بتعريف بالخلافة والخلفاء والظروف السائدة آنذاك ، وما نشب من اختلاف وصراع ، ثم ما جد على الدولة من توسع .

أما الفصل الثاني ، وعنوانه : تيارات ثقافية ، فيعرض لاستمرار النشاط العلمي والأدبي وقوته ، ويذكر أمثلة من تشجيع الدويلات للعلم والأدب ، وحركة الترجمة من اللغات الاجنبية ، واتصال أبي حيان بكثير من التراجمة ، وازدهار مراكز الثقافة والأدب ، وكثرة العلماء والأدباء ، ومتابعة ظواهر جديدة في النشاط العلمي والأدبي ، ونضج العلوم وكثرة المكتبات ، واتخاذ اللغة العربية واللغة الرسمية والادبية ، وتنافس المدن والعواصم ، الجديدة التي أصبحت مراكز للثقافة .

أما الفصل الثالث ، وعنوانه ، معالم حياته ، فيتناول بوعي واحاطة تعريفا وافيا بأبي حيان : اسمه وكنيته ، ومولده ، ووفاته ، وأصله ، وترجيح عروبة أصله ، وحرفته .

أما الفصل الرابع ، وعنوانه : ثقافته ، فيحيط بذكاء بثقافة عصره ، وينابيع ثقافته ، وأبرز الوانها من : فلسفة ، وفقه ، وحديث ، ولغة ، وعلم الكلام ، والادب .

أما الفصل الخامس ، وعنوانه في قصور الخلفاء ، فيتناول الحياة الادبية من خلال اتصال الأدباء

بالخلفاء ، ويبرز هنا ابن العميد ، وابن سعدان .

أما الفصل السادس فهو عن معالم شخصية أبي حيان ببيان آثار عصره فيه ، وشغفه بالمعرفة ومظاهر شغفه ، واعتداده بعمله ، وبواعث هذا الاعتداد ، وطموحه الى التقدير وبواعثه وتطلعه الى ما نسميه اليوم منحة التفرغ ، ومظاهر طموحه ، وصراحته ، وبواعثها ، والرد على اتهامه بالتجني في الثلب والتجريح ، وأمانته في ذكر المحاسن والمساوىء وحسن ظنه بالناس ، وأخلاقه ، وشكواه ، وتدينه ، والشهادة بسلامة عقيدته ، والرد على اتهامه بالزندقة ، وتصوفه ، ومظاهر هذا التصوف ، ونوع تصوفه ، والفرق بينه وبين المتصوفة ، ووجوه الاتفاق بينه وبينهم ، وأمانته في الرواية وبواعثها ، ومظاهرها ، كما يناقش باحثنا الكبير — في هذا الفصل — اتهام أبي حيان بالوضع ومصدر هذا الاتهام والباعث عليه وأدلة ابن أبي الحديد في نسبتها الى أبي حيان ومناقشة آراء كل من :

محمد كرد علي ، والدكتور عبد الرزاق محيي الدين ، والنويري ، ويخلص باحثنا الفاضل الى أن الرسالة قد وضعها أبو حامد المروزي أو أبو حيان ، ثم يقيم الأدلة على تبرئة ساحة أبي حيان ، ويمضي مع أبي حيان حتى نصل الى احراق كتبه ، وخلاصة دفاعه عن فعلته .

أما الفصل السابع وعنوانه : أضواء على مؤلفاته ، فيعرض لمؤلفاته بالعرض الواعي والتحليل العميق مثل :

المقابسات ، والهوامل والشوامل ، والامتاع والمؤانسة ، والصداقة والصديق ، وأخلاق الوزيرين والبصائر والذخائر ، والمحاضرات ، وتقريظ الجاحظ ، ورسالة العلوم ، والزلفة ، والاشارات الالهية .

أما الفصل الثامن فيعرض لخصائصه الفكرية والفنية .

أما الفصل التاسع فيعرض لمكانة أبي حيان بين كتاب عصره .

ثم يأتي الفصل العاشر ليعقد موازنة بينه وبين الجاحظ .

.. ..

والكتاب يعتمد على ثلاثة وسبعين مصدرا ومرجعا كلها من عيون الفكر والأدب والثقافة الاسلامية ، وهي عيون نجد أنفسنا في أمس الحاجة الى الالتقاء بها والنيل من ينابيعها الثرة وعطائها العظيم ، غير أن الجدير بالالتفات حقا ليس ما تحتويه المراجع والمصادر فحسب ، فكثير من النقول قد يصنع مؤلفات ضخمة ، وانما الخطير في الأمر ما يكمن وراء الرجوع الى المراجع من فطنة وذكاء واحاطة شمول ، ومعرفة ودراية ، واخلاص وصدق ، وتلك أمور أربعة لا يستقيم بدونها منهج فكري ، أو مبحث أدبي ، فبالفطنة والذكاء تتولد لدى الباحث يقظة للأمور وتنبه للقضايا ويتبع ذلك حسن معاملة هذه القضايا ، وبالاحاطة والشمول يلقي الباحث نظرة (صقر) تعبر المسافات وتحلق في الأزمان ، فتربط ما مضى بما هو حاضر ، أما المعرفة والدراية فتجنب الباحث الزلل والعثرات وتجعله واعيا بمشكلات بحثه وقضاياه مقدما ما يستحق التقديم مؤخرا ما يستوجب التأخير ، ثم يجمع ذلك كله وعاء خطير هو وعاء الاخلاص والصدق ، فالبحث أمر شاق وعسير لا يأتي الا لمن يتجرد له بمواهب وقدرات محاطة بقدرة على التحمل ، وصبر وجلد ، وصدق في المعاناة وتقمص شخصية البحث والتجرد من الزمان والمكان الخاصين بالمؤلف واحلال البحث محلا كريما في نفسه يجعله قطعة من نفسه على نحو ما يفعل

الصوفي أو العاشق . وكل هذه الامور قد اجتمعت لدى باحثنا فأثمرت هذا البحث الجاد .

قضايا ومشكلات :

ونجد أنفسنا ازاء بعض القضايا التي تستأثر بالاهتمام وتنتزع قارئها ليخلص اليها ويقف عندها متأملا فاحصا مستوعبا ، وخاصة اذا كانت هذه القضية مما يتصل من قريب أو بعيد . بمبادىء ديننا الحنيف وعقيدتنا السمحة .

اتهامه بالزندقة :

« هذا الرجل الذى لم يجد من رفاهية الحياة ما يلائم علمه وادبه ، ولم يلق من رعاية الوزراء والأمراء فى عصره بعض ما لقى من هم أقل منه علما وأدبا ، فقضى حياته يائسا ناقما هذا الرجل قد اتهم فى عقيدته ، وهى تهمة أشد ايلاما من البؤس ، وأقسى نكالا من الفقر ، لأنها تبغضه الى الخاصة والى العامة ، وتلقى على انتاجه غبارا كثيفا من الشك ، وتكاد تطوح بمكانته الأدبية والعلمية فى عصر لم يكن يحتمل من الزندقة والإلحاد ما يوصف بأنه زندقة وإلحاد وأن كان بريئا .

وربما كان أول من اتهمه بالزندقة الكاتب اللغوي الأديب ابن فارس (المتوفى سنة ٣٩٠ هـ) فى كتابه الفريدة والخريدة ، فقد نقل عنه قوله : كان أبو حيان قليل الدين والورع عن القذف والمجاهرة بالبهتان .. الخ . ثم جاء ابن الجوزى (المتوفى سنة ٥٩٧ هـ) فقال : « زنادقة الاسلام ثلاثة : ابن الراوندى والتوحيدى ، وأبو العلاء المعرى وشرهم على الاسلام أبو حيان ، لأنهما صرحا وهو مجمج ولم يصرح » ثم ردد الذهبى هذه التهمة ، وجرت دائرة المعارف على أنه نفى لزندقته ، قال مرجليوث : (نفاه المهلبى المتوفى سنة ٣٥٢ هـ ٩٦٣ م) من بغداد .. لزندقته) ووافقهم محمد كرد على ، ولكن علماء آخرين شهدوا له بسلامة العقيدة وصحة الدين فهو فى رأى ياقوت صوفى السمت والهيئة ، متعبد ، والناس على ثقة من دينه ، وابن النجار يصفه بأنه كان فقيرا صابرا متدينا صحيح العقيدة ، ودافع عنه السبكى وأرجع حملة الذهبى عليه الى محاكاته لما قاله ابن فارس، والى ما قاله ابن الجوزى والى أمر ثالث هو بغضه الشديد للمتصوفة .

وقد ذهب باحثنا الثقة الى تبرئة ساحة أبى حيان وقال :

(ومن الميسور أن أبطل هذه التهمة الجائرة بعدة ردود :

١ ـ المفهوم من كلام ابن فارس أن الصاحب بن عباد طلبه ليقتله ففر منه ، ثم تعقبه الوزير المهلبى فاستتر منه حتى مات فى الاستتار ، وهذا كلام تعوزه الصحة ، لأن أبا حيان ، كما تبين فى صلته بابن عباد تركه سنة ٣٧٠ هـ ، والوزير المهلبى توفى سنة ٣٥٢ هـ ، فكيف يتفق هذا ؟ لقد اتصل أبو حيان بالصاحب ، ثم تركه بعد ثمانية عشر عاما من وفاة الوزير المهلبى الذى قيل إنه تعقبه ليقتله .

٢ ـ لم يشر أبو حيان ـ على دقته فى وصف الأشخاص والأحوال ، ولا سيما حالته ـ الى أن ابن عباد فكر فى قتله وأوعز بحبسه ، ولو أن شيئا من هذا حدث لذكره ، على عادته فى تفصيل الأحداث والتشنيع على ابن عباد ، ووصف ما لقى من حرمان وخيبة فى صلته به .

٣ ـ يحملنى على الشك فيما زعم ابن فارس من نسبة الزندقة الى أبى حيان ومن نسبة التفكير فى قتله الى ابن عباد أن ابن فارس كان أستاذا لابن عباد قبل أن يلى الوزارة ، وكان صديقا له لما تولاها ، وكان أستاذا لأبى الفتح ابن العميد .

وقد هجا أبو حيان ابن عباد وابن العميد ، فمن المرجح أن ابن فارس أراد أن يشوه سمعته ويثأر منه ،

فألصق به تهمة الزندقة وأراد أن ينسب الى ابن عباد الغيرة على الدين ، فزعم أنه هم بقتل أبى حيان ولكنه هرب منه .

٤ ـ كان ابن فارس معاصرا لأبى حيان ، وقد ذمه أبو حيان ذما شنيعا، وتنقصه فى مجلس ابن سعدان بقوله : انه شيخ فيه محاسن ومساوىء ، الا ان الرجحان لما يذم به ، لا لما يحمد عليه ، فمن ذلك أن له خبرة بالتصوف ، وهناك أيضا قسط من العلم بأوائل الهندسة وتشبه بأصحاب البلاغة ، الا ان هذا كله مردود بالرعونة والمكر والايهام والخسة والكذب والغيبة .

٥ ـ ابن فارس الذى يسند اليه اتهام أبى حيان بالزندقة والموت فى الاستتار قد مات قبل أبى حيان ، وسواء أكانت وفاة ابن فارس سنة ٣٦٠ هـ أو ٣٦٩ هـ أو ٣٧٥ هـ أو ٣٩٠ أو ٣٩٥ هـ ، فانها كانت قبل وفاة أبى حيان .

فكيف يقرر وفاة شخص آخر لم يمت بعد .

واذا أراد أحد أن يأخذ بشق رأيه وهو الاتهام بالزندقة ، وذهب الى أن الشق الثانى مدخول عليه فان اتهامه بالتحيز لابن عباد وابن العميد ما زال قائما يقدح فى طعنه أبا حيان ، وموت الوزير المهلبى قبل أبى حيان يقطع ببطلان تعقبه ليقتله .

على أنى لا أستبعد أن يكون خصوم أبى حيان هم الذين فعلوا ذلك ، ولكنهم أسندوه لابن فارس ليزيدوه قبولا وتثبيتا فى نفوس سامعيه .

٦ ـ ابن الجوزى ـ كما ذكر السبكى ـ متعصب على الصوفية ، مبغض لهم ، لهذا زاد من عنده قوله : (وأشدهم على الاسلام أبو حيان) .

٧ ـ اذا وازنا بين أبى حيان وابن الراوندى وأبى العلاء المعرى لم نجد تشابها يبيح لابن الجوزى أن يجعله أشد الثلاثة ضررا على الاسلام ، أو يسلكه فى عداد المعادين للاسلام .

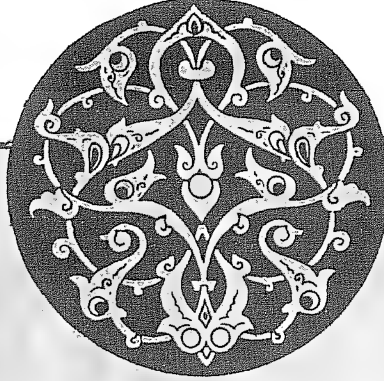
أما ابن الراوندى فلا جدال فى زندقته وكفره ، لأنه زعم أن فى كلام أكثم بن صيفى ما هو أحسن من بعض القرآن ، وادعى أن القرآن غير معجز بأن المسلمين احتجوا لنبوة نبيهم بالقرآن الذى تحدى به النبى العرب، فلم يقدروا على معارضته فقال لهم : لو ادعى مدع لمن تقدم من الفلاسفة مثل دعواكم فى القرآن فقال : الدليل على صدق بطليموس أن اقليدس ادعى أن الخلق يعجزون عن أن يأتوا بمثل كتابه لكانت نبوته ثبتت .

وأما أبو العلاء فقد اتهم بالالحاد لبعض آرائه التى رددها فى لزومياته ولما قيل إنه عارض القرآن بكتابه الفصول والغايات على نسق السور والآيات وان كان مظلوما فى اتهامه بالمعارضة لأن كتابه لا يشير الى ذلك ، وأما أبو حيان فليس فى كلامه ما ينبىء عن زندقة أو الحاد .

٨ ـ بل ان فى كلام أبى حيان ما ينقض دعوى خصومه نقضا لا يبقى ولا يذر ، فقد كان يغار على الدين منذ حداثته .

٩ ـ وفى سلوكه ما يكفى لنقض هذا الاتهام ، لأنه كان يصلى بالمسجد ، ويشكو أنه لا يرى بجواره الا قصابا أو ندافا .. وقد حج سنة ٣٥٤ هـ ، ولأنه كان متصوفا طول حياته ، ثم منقطعا للتصوف فى أخريات حياته ، اذ قضى سنواته الاخيرة بين الصوفية ، وانطبع بطابعهم ، ومات بينهم ، ودفن بجوار علم من اعلامهم .

ولم يكن تدينه ليخفى على معاصريه ولهذا يقول ياقوت : إنه كان يتأله والناس على ثقة من دينه .



مــن التخلف

للدكتور : محمدسعيد رمضان البوطى

عقبت على كاتب جاء يقول : ان من أهم أسباب التخلف وضعف الانتاج عندنا ، الاعتقادات الغيبية واحالة الامور الى الله والتواكل الذى يتولد من ذلك . فقلت أولا :

ان أصحاب الاعتقادات الغيبية والمتبصرين — حقا — بسلطان الله فى الكون ، هم اليوم بعيدون عن الطريق .. وليس بيدهم ما يضيقون به سبيلا على أحد ، أو يعيقون به تقدم أى مخلص للأمة والوطن .. وأفردت هذا الحديث فى مقال .

وقلت ثانيا : ان الغيبيين حقا هم الجاحدون بغيبيات الاسلام .. وليس كل ما قد غاب عن الحس وسلطانه مقضيا عليه بالوهم أو العدم .

والانسان يخطو فى سلوكه العلمى والمعاشى معتمدا على التاريخ الماضى وتصورات المستقبل . وكلاهما خارج عن سلطان الحس مغموس فى ظلمات الغيب . والذى يريد أن يستعلى فى سلوكه عن وحى كل منهما ، لا يستطيع أن يستفيد من عقله شروى نقير ، ولا يملك الا أن يسجل اسمه ، بكل فخر ، فى ديوان المجانين . وأفردت هذا الحديث أيضا فى مقال .

واذا ، فلنعد الى صلب الموضوع ولنتساءل : فما هو سر تخلفنا اذا ؟

— • —

هنالك فئة من الباحثين ، يوفرون على أنفسهم عناء التفكير فى هذا

[illegible]

وضعف الانتاج..؟

البحث ، عندما يطيب لهم أن يتبنوا الرأى القائل بأن للحضارات أعمارا كعمر الانسان ، فهى تنشأ فى ضعف ، ثم تسير الى قوة ، ثم تعود الى ضعف ، ثم تنتهى بموت .. وهى لا بد أن تنتقل فى هذه المراحل ، ثم أن تلقى حتفها أخيرا ، مهما أحيطت به من رعاية وحفظ . كالانسان ذاته ، لا بد أن يسير فى مثل هذه المراحل ذاتها مهما حذر وحاول ، بل كأى شىء مادى دخل تحت سلطان هذا الوجود ، لا بد أن تجده ممهورا بطابع هذا القانون : ضعف ، فقوة ، فضعف ، فموت .. !

وهم يعللون ادخالهم للحضارة فى هذا الشمول ، بأن الحضارة ليست الا ثمرة جهود متناسقة بذلتها الموجودات الخاضعة لهذا الحكم ، بدءا من الانسان الى أصغر مظهر من مظاهر الطاقة . فلا بد أن ينعكس على الثمرة سلطان القانون الذى يخضع له المثمر .

وربما أدخل بعض هؤلاء الباحثين اسم ابن خلدون فى قائمة أصحاب هذا الرأى . وربما استدلوا على ذلك ببعض ما قد جاء فى مقدمته ، مما يشبه أن يكون تقريرا لهذا الرأى ..

والحقيقة أن ابن خلدون ، وان يكن شبه الحضارات بأعمار الناس ، ولكنه لم يقرر حتمية غروبها ، كالحتمية الثابتة لغروب أعمار الناس ، بل أسند كلا من نشأتها وقوتها وضعفها الى أسباب داخلة فى اختيار الناس وخاضعة لما من شأنهم أن يملكوه من طاقة وجهد . فهو

ليس من هذا الراى وأصحابه فى شىء .

والحقيقة أيضا أن التعليل الذى يعتمدونه لذلك ، تعليل باطل ، وان جاء فى مظهره الشكلى منطقيا سليما .

ذلك لأن الوجود الذى يتصف به جنس الانسان والمكونات ينقسم الى قسمين :

وجود فردى ، يتمثل فى المشخصات الجزئية ، فهذا هو الذى يخضع لقانون الولادة والفناء وما بينهما من مراحل قوة وضعف .

ووجود نوعى ، يتمثل فى الماهيات المتنقلة ضمن سلسلة المشخصات المستمرة . وهذا لا يخضع للقانون المذكور ولا شأن له به ، فان الوجود النوعى للقوة مستمر متصل ، وان تنقل ضمن حلقات متغايرة فى سلسلة الموجودات الفردية أو الجزئية . وانما يتم النسيج الحضارى لأمة ما بقوة من هذا الوجود الثانى ، لا بحراسة قصيرة من الوجود الجزئى الأول .

واذا ، فالحق الذى لا مناص منه ، هو أن نجهد الفكر فى البحث عن اسباب هذا التخلف الذى نعانيه ، فان لذلك أسبابا عائدة الى تقصيرنا . وان للتغلب عليها وسائل خاضعة لجهودنا وامكاناتنا . وما الشيخوخة التى انتهت إليها حضارتنا اليوم الا ثمرة حكم اختيارى تسببنا له بملء اختيارنا وحريتنا .

ان ما يسمونه بالتخلف أو ضعف الانتاج ، عندنا ، يعود الى أسباب ، سأتحدث عنها بالقدر الذى يسمح به المجال .. فلا جرم أني سأختصر الكلام فى بعضها رغم أهميته ورغم الحاجة الماسة الى الافاضة فيه . ولكنى أترك لذهن القارىء الحصيف أن يفهم تفصيل ما أختصره ويقف على شرح ما أوجزه . وهذه الأسباب ما أظن أنها تزيد على الامور التالية :

أولا ــ فقد الاستقرار الفكرى والنفسى :

وهذا السبب ينشأ بدوره عن الوان شتى من الاضطرابات ، كلها موفورة فى مجتمعنا بحمد الله ، وهو الاله العادل الذى لا يحمد على مكروه سواه .

ان من هذه الالوان ، الاضطرابات فى فهم القيم والمعتقدات ، ونشوء الصراعات المختلفة حولها .. فى كل الاماكن والمجالات ، بدءا من مدارس الاطفال ، الى مجالس الشورى ومؤسسات التشريع والتقنين .. !

ومن هذه الالوان الاضطرابات السياسية الناشئة عن عوامل خارجية كالعدوان أو الاحتلال الاجنبى لبقاع من البلاد العربية والاسلامية ، وما يتبع ذلك من استنزاف الفكر والقوى ، وتبديد الطاقات المختلفة على جبهات شتى .

ومن هذه الالوان اضطرابات الحكم الناشئة عن تلاقل داخلية أو خارجية .. يطول الحديث عن تحليل اسبابها والكشف عن خفاياها ، ومن

اهم نتائجها انصراف الحكام — فى أكثر الاحيان — الى بذل أكبر قدر من الفكر والجهد ، لتغذية الحذر من شعوبهم ، وتشديد الرقابة على أحوالهم وأوضاعهم وأوجه نشاطاتهم .

ان من البداهة بمكان ، أن هذه الاضطرابات — وهى نماذج لألوان كثيرة أخرى — من شأنها أن تعصف بالاستقرار الفكرى والنفسى فى كيان الامة ، وأن تجعلها عاجزة عن أن تتفرغ للنظر فى أى مشاركة حضارية أو نهضة علمية أو للعكوف على أى عمل انتاجى دائب .

ثانيا — فقد الثقة بين قطاعات الأمة عامة ، وبين الحاكم والمحكومين خاصة :

وقبل أن اشرح لك هذا السبب الثانى ، يجب أن أذكرك بأن الدخول فى أى مشروع انتاجى مهما كان نوعه ، انما يعتمد قبل كل شىء على رصيد من التفاعل والتعاون ، ولا يمكن لشىء من ذلك أن يولد بجهود جانب واحد . وانما أعنى بالتفاعل والتعاون ذلك القدر الشامل الذى يغطى رقعة الامة كلها ، فلا قيمة لتعاون ينهض به أفراد طرف واحد ، مهما كثرت الافراد ، ومهما تنوعت اختصاصاتهم ، ومهما انبسط سلطانهم .

أى أن اتصافهم بكونهم طرفا أو فئة ، يفسد كل قيمة ذاتية لكثرتهم وقوتهم . ذلك لأن أول مظهر من مظاهر قوة الطرف الواحد — فى مثل هذا الصدد — أن يتلاقى على صعيد من التفاهم والتواثق مع الاطراف الاخرى . وأخطر بادرة لضعفه وخيبة مساعيه أن يتقوقع سعيه ونشاطه الاصلاحى ضمن واقعه الخاص به وجانبه الذى لا يشركه فيه غيره .

ان فئة ما من أفراد الأمة تستطيع بقوتها أن تحطم دولة وتقهر شعبا وتسيطر على حكم ، ولكنها لا تستطيع أبدا أن تخلق بقوتها هذه تقدما وازدهارا وانعتاقا من أسباب التخلف والضعف . ذلك لأن بين طبيعة الأمرين فرقا كبيرا :

الأمر الاول منهما لا يعتمد الا ما لدى تلك الفئة من عزيمة وقوة ودقة تخطيط .

اما الامر الثانى فانما ينهض على استخراج أسباب القوة ومقومات التقدم من جميع فئات الشعب وأفراده ، ثم ضفرها جميعا فى سبيل الرقى والانطلاق . ان الأمر الاول ليس أكثر من لكمة تسدد الى هدف ، وانما يكفى من أجلها يد واحدة ، أما الامر الثانى فانما هو كالتصفيق لا ينبعث صوته الا باجتماع الكفين والتقائهما — فى خبرة وحرية تامة — على القيام بعمل واحد .

ولنتأمل فى مثال واحد ، من أمثلة المشاريع التى تستهدف التقدم والازدهار . انه مثال العمل على التنمية الاقتصادية .

ان (التنمية الاقتصادية) كلمة ارتفع لواؤها فى أكثر البلاد العربية منذ سنوات طويلة ، ولقد فاضت بالحديث عنها الاذاعات ، وامتلأت برسم حروفها الصحف والمجلات ، وفلسف الناس عنها فى مئات من المحاضرات والندوات . ثم وضعت لتنفيذها الوسائل والمخططات .. وتأتى اليوم بعد ذلك كله تبعث العين بحثا وراء نتيجة ذلك الغليان كله ، فتسمع جعجعة ولا ترى طحنا .. !

لماذا .. ؟ لأن الذين رفعوا لواء هذه التنمية وراحوا يهدرون بالحديث عنها ، انما انطلقوا فى ذلك من خطة انفردوا عن سواد الناس فى الايمان بها والاعتماد عليها ، فلم يقفوا — فى سعيهم هذا — على أى أرضية من التعاون مع الآخرين . فبقيت أسباب التنمية ووسائلها وأدواتها مبعثرة فى أيدى سواد الأمة ودهمائها على اختلاف طبقاتها ، وبقى فى أيدى أولئك الهائجين مجرد أوراق مكتوبة ومشاريع مخطوطة .

سيقول قائل : ولكن ما الذى يمنع سواد الأمة من التعاون .. ؟ ان العيب فيمن يدعى ثم لا يستجيب ، وليس العيب فيمن دعى فلم يستجيبوا له .

والجواب أن الذى يصد عن التعاون انما هو فقد الثقة. والثقة قاعدة أساسية لا بد منها بين يدى الانطلاق الى أى عمل اصلاحى لاسيما ان كان يستهدف ثمرة اقتصادية عامة .

ومن أين تأتى الثقة .. ؟

تأتى الثقة من مصدرين اثنين لا يغنى أحدهما عن الآخر ..

المصدر الأول : يقين الأمة باخلاص أولئك الذين يتحرقون فى الحديث عن التخلف والتنمية وأسبابها .. ولا مجال للاطالة فى هذا المصدر الاول، فلأترك التفصيل والشرح لحصافة القارىء الكريم ، كما قلت .

المصدر الثانى : التلاقى على مبادىء متفق عليها لمعالجة التخلف على أساسها ، ولاقتباس خطة التنمية وسبيل التقدم منها . فاذا لم يجتمع السواد الاعظم من الامة ، حكاما ومحكومين ، على مبادىء متفق عليها ، فان الدعوة الى التعاون فى سبيل وضع خطة للتنمية لا تلقى استجابة كافية ، لأن الثقة بهذه الدعوة معدومة ، أو هى من القلة والضعف فى حكم المعدومة . واليك المثال :

السواد الاعظم من هذه الأمة لا يرى للازدهار الاقتصادى وسيلة خيراً من تلك التى تعتمد على النظام الاسلامى فى شؤون المال والاقتصاد . فاذا قام من يضع خطة للتنمية الاقتصادية على هذا الاساس ، واستشم الناس صدقه واخلاصه ، أحدق به الناس من كل صوب ومدوا اليه يد التعاون بأشكاله المختلفة ، وقدموا له رؤوس أموالهم فى غبطة وسرور ، وازدهر من ذلك تعاون مثمر بناء .

أما اذا قام من يروج لمبدأ مستورد (أيا كان) يزعم أنه يبنى عليه منهاجا اقتصاديا رائعا ، فانه مهما روج لما يقول ، ومهما جادل عن مبدئه بالأدلة والبراهين ، ومهما استخرج أموال الناس من جيوبهم ، أو من تحت « البلاط » في بيوتهم ، فانه لن ينجح في العثور على أى استجابة مفيدة منهم . ذلك لأنهم لا يثقون بالمبدأ ، ومن ثم فهم لا يثقون بالداعى اليه ، ومن ثم فهم لا يثقون أيضا بالتقدم الاقتصادى المستند اليه .

ومرة أخرى أذكر القارىء بتجربة بنوك الادخار في ميت غمر ، لقد كان رأس مال هذا المشروع قبل كل شيء الاستحواذ على الثقة .. ثقة الناس بأنه مشروع قام ليخدم مصالح الناس على سبيل من مرضاة الله ، ولم يقم ليستغل رؤوس أموالهم ويربح من وراء ظهورهم ، وأنه ليس الا تحقيقا لمنهج القرآن في محق الربا وتربية الخيرات والاموال لاصحابها ..

عندئذ ظهرت الاموال الحبيسة ، وتقدمت الايدى المتعاونة ، ودار دولاب العمل ، وسعى سعيه الحثيث العجيب ، وأنتج نتائجه المعروفة لكل باحث ومهتم بحقائق الامور .

ثالثا — اعتماد الهويات والتبعيات السياسية بدلا من الكفاءات العلمية :

وهذا السبب يتفاوت في الشدة والضعف ما بين مجتمع وآخر . ولكنه في الجملة يعتبر من أخطر أسباب التخلف ، أيا كان نوعه ، في بلادنا العربية .

وينبع هذا السبب من ظاهرة أشد خطورة وضررا ، وهى اتخاذ المذهب السياسي (الذى قد يعبر عنه بشعارات وألفاظ عدة) غاية مقدسة برأسها ، لا سبيلا الى تحقيق بعض مظاهر الخير للمجتمع . ان أعظم كسب تقدمى ، انما يتمثل (في فلسفة من تعيش لديهم هذه الظاهرة) ، في انتصار هذا المذهب بحد ذاته ! .. ومهما عظمت التضحيات وتلاحقت النكبات ، فان في بقاء هذا المذهب سليما ، ما يهون شأن ذلك كله .

ان خطة التنمية الاقتصادية ، وبرامج التقدم العلمى ، ومقومات التوسع الصناعى ، كل ذلك ما ينبغى أن يأتي — في فلسفة أصحاب هذه الظاهرة — الا في دور الجندى المحافظ على وجود ذلك المذهب السياسى وسلامته .. !

واذا ، فأين تبقى الكفاءات العلمية المختلفة — وما أكثرها في بلادنا — عندما تفضل أن تكون متحررة عن سلطان أى تبعية مذهبية أو سياسية ؟ .. انها تعيش متراكمة فوق بعضها في أركان قصية جدا على هامش بعيد من الدنيا التى كان ينبغى أن توجد فيها .. ومن هم الذين يحلون أماكنهم من قيادة الحركة العلمية والنشاط الاقتصادى في المجتمع .. ؟ انهم أصحاب تلك

الهويات والتبعيات السياسية .. !
وما ضر أنهم ليسوا من الطاقة والكفاءة العلمية فى شىء ما داموا يحملون فى صدورهم ، أو فى جيوبهم ، هذه الهوية .. !
ولك أن تتصور الضرر المزدوج من وراء هذه الظاهرة :

أولا : ضرر حرمان المجتمع من أرباب الاختصاص والكفاءات فيه .

ثانيا : ضرر انقياد المجتمع لجهال يخبطون به خبط عشواء ، ويدفعونه الى مغامرات وتجارب تستنزف كل عزيز من الطاقة والمال والعمر .. !

الا ان من أعظم جنايات الظلم أن يقول قائل : ان هذا الشرق العربى فقير فى العباقرة من الرجال ، والعظماء من أولى العلم ، وأن الغرب أغنى بهم من الشرق .

أجل ، انه لظلم عظيم للحقيقة أن يقول ذلك قائل . فالشرق العربى كان ولا يزال فياضا بالفطاحل من العلماء والعباقرة ، ولكنهم — لسوء طالع هذا الشرق — لم يجدوا يدا مخلصة تمتد اليهم ، ولم يروا أمامهم سبيلا مفتوحا لخدمة أوطانهم .
كثيرون هم هؤلاء العلماء .. تجدهم منثورين فى الزوايا ، يفكرون فى معضلة المعضلات وأصعب المعادلات : من أين يوفرون لأولادهم وذويهم رزقهم الضرورى .. ؟!

رابعا — عدم ضفر المعارف وأصول الثقافة كلها لمحاربة التخلف :

يظن الكثير ممن يثورون على التخلف وأسبابه ، ويخططون للتقدم بأنواعه ، أن مفتاح التقدم العلمى والرقي الاقتصادي كامن في الوسائل العلمية ، والتنظيمات والتخطيطات المباشرة. ولا يتصورون أن للمعارف والاخلاق الانسانية وأصول الثقافة أى دور فى الموضوع .
فأنت ترى أن اهتمام هؤلاء الكثيرين منصرف الى الحديث عن التقنية وما يسمونه بالمناهج العلمية فى الاقتصاد وعملية الانتاج .. وربما توهموا أن الكثير من العلوم والمعارف الاخرى ان هو الا تفاهات نظرية تقصى الامة عن مجال العلم والانتاج .. !
هذه النظرة تنطوي على سذاجة بالغة في تصور طبيعة الحياة ، وعلاقة العلوم المختلفة بعضها ببعض ، وعلاقتها جميعا بحوافز الجد والنشاط العملى .
ليست قواعد التكنولوجيا وأصول الاقتصاد ، هى التى تخلق فى الامة سعيها العلمى ودأبها على التطور الاقتصادى ، بل هى ليست أكثر من سلم موضوع فى عرض الطريق .
وانما الذى يوجد حوافز الصعود عليه ويخلق فى النفس رغبة استغلاله فى الوصول الى الهدف ، انما هو حصيلة المعارف الانسانية مضمومة الى الثقافة القومية ، أى ثقافة تلك الامة المتمثلة فى لغتها وآدابها وتاريخها وأعرافها .

فالجماعة التي لا تملك حصيلة كافية من ذلك كله ، لا يمكنها أن تتصور وجه الاستفادة من سلم العلوم والصناعات ، بل لا يمكنها أن تستهدف أي غاية علمية تسيطر على كيانها ورغباتها بالدفع والتحميس .

لا بد لمن يؤرق فكره لنهضة علمية وتقدم صناعي في بلده ، أن يبدأ السبيل الى ذلك بتنمية هذه المعارف الانسانية والثقافية بدءا باللغة وحل مشكلاتها وترقية آدابها وترسيخ جذورها ، الى التاريخ واستخراج صورة حقيقية (غير مشوهة) عن علاقة الامة بماضيها وعن تقويم ذلك الماضي دون تبديل ولا تغيير ، الى التشريع والقانون وبسط موازين العدالة في المجتمع ، الى الاخلاق والتربية وتلمس جذورها الانسانية البعيدة .

فاذا ما غذيت الامة بهذه المعارف وانصبغت بها عواطفها ووجداناتها ، تكونت لها من ذلك الرغبات الدافعة والآمال المهيجة . وعندئذ تجد نفسها بسبيل من الاستفادة من العلوم وقوانينها .

وما قامت ثورة انسانية في تاريخها القريب أو البعيد ، فنجحت في تحقيق آمالها ، الا لأنها اتجهت بالاهتمام الى جميع شروط النهضة فحفلت بها وأولتها كلها العناية والرعاية الكافية . وما قامت ثورة تستهدف الرقي والاصلاح فأخفقت ، الا لأنها — في أحسن أحوالها اخلاصا — حصرت اهتمامها ، في سذاجة وبساطة ، في الاسباب اللماعة المباشرة للقفزات العلمية والصناعية ، فجمدت أمام هذه الاسباب دون أن تقتحمها ، واكتفت بعبارات التغزل بها والاطراء لها ، ثم انتهت كما بدأت لم تستفد علما ولم تحقق رقيا .

لقد قامت الثورة الفرنسية ، وهي نموذج للثورات الناجحة في تاريخ العالم ، فهل تظن أنها حصرت اهتمامها ، بهذا الشكل الساذج ، في معالم الاصلاح الضيقة ، ووقفت عند حدود أسبابها المباشرة ؟. انها لم تنجح الا لأنها نظرت نظرة اصلاحية الى الحياة الفكرية والانسانية (عندهم) بكل جذورها وجوانبها وتاريخها وآدابها .

وحسبك لتصور هذا المعنى الذي أقول أن تعلم أن هذه العبارات التالية كانت من أبرز ما ركز عليه البيان الاول لمجلس الثورة الفرنسية .

« أيها المواطنون : ليدفع كلا منكم تسابق مقدس للقضاء على اللهجات في جميع أقطار فرنسا ، لأن تلك اللهجات رواسب من بقايا عهود الاقطاع والاستبداد » .

ولا ريب أن كثيرا من الناس ، عندنا ، يعجبون من أن تعنى الثورة الفرنسية في أول بيان لها بمثل هذه الشئون التي قد يظنونها تافهة . ولكن السذاجة كل السذاجة في أن نراها ، وأشباهها ، تافهة ولا نوليها العناية ، ولا نجعل من هذه العناية

أساسا لتحقيق أهم مظاهر التقدم والاصلاح .

ولو تأملت واقعنا الذى نعيش فيه ، لرأيت الاهمال محيطا بمعارفنا الانسانية وأصولنا الثقافية ، ولرأيت ميادينها مسرحا لفوضى الاغراض والآراءِ ، ولرأيت انعكاسات الشقاق والاضطراب تنقدح منها الى حياتنا الاجتماعية دون توقف .

خامسا ـ التجزؤ بمختلف مستوياته :

وأقصد بذلك ، التجزؤ الذى يبدأ فى الاسرة الواحدة ، ثم يتعداها الى الحى الصغير ، فالبلدة ، فالاقليم ، فالامة العربية بمجموعها . وأصغر هذه الدوائر سبب للذى بعده ، وهكذا ..

ولست أهدف مما أقول الى زعم أن الخلاف ما ينبغى أن يوجد ، والآراء المتباينة ما ينبغى أن تطرح . لا .. فان أى عاقل من الناس لا يزعم ذلك ، ولا يحيى الناس ، طالما كانوا مجتمعين ، الا فى ظلال من مخض الآراء والأفكار المتخالفة .

ولكن الخلاف شىء والتجزؤ شىء آخر ..

التجزؤ هو النتيجة السيئة للخلاف . اما الخلاف بحد ذاته فيمكن أن يكون سبيلا الى تمحيص مفيد ولقاء مثمر ، ويمكن أن يصبح سببا فى تجزؤ قتال . والامة الواعية هى التى تعرف كيف تتخذ من خلافات جماعاتها سلما الى تمحيص الفكر وسبيلا للاتفاق أخيرا على ما هو الاصلح والاكمل . أما الامة المتخلفة فهى التى تترك الخلافات الناشئة فيها لتتحول الى بركان دمار وعلة تجزؤ واضمحلال .

فهذا التجزؤ من أهم الاسباب التى تكرس أسباب التخلف بشتى أنواعه ، وهو تجزؤ يعيش فى حياتنا على شتى المستويات ، بدءا من أضيقها وهو الاسرة ، الى أوسعها وهو الامة العربية .

وعوامل هذا التجزؤ عديدة ورهيبة .. لا مجال فى هذا الصدد للوقوف عندها وتفصيل القول فيها .

ولكنى أقول ، فى نطاق البحث عن سبيل مفيد للقضاء على هذا التجزؤ :

ان سبيل ذلك البدء بأضيق الدوائر ، وهو الاسرة ، ثم السير الى الاوسع فالأوسع ، الى أن ينتهى العلاج ويتوج بوحدة الامة العربية قاطبة . ولا ريب أن هذه المرحلة الاخيرة أسهل المراحل كلها ، بل هى تكاد تكون آلية بعد الانتهاء من المراحل السابقة .

أى ان سبيل توحيد الأمة العربية ، لا يكون الا بالقضاء على أسباب التجزؤ فى الاسرة والبلدة والاقليم . ومن أعجب العجب أن تجد أناسا لا يعلمون الى اليوم هذا القانون

الطبيعي ، يثورون ويسولون بحثا — في زعمهم — عن تحقيق الوحدة العربية ، في الوقت الذي يزرعون فيه الارض التي تحت أقدامهم بمزيد من أسباب التجزؤ والتمزيق : يبددون الطاقات التي تعيش تحت أبصارهم ، ثم يبكون عليها ويبحثون عنهـا على طول الصحاري والقفار الفاصلة بين الاقاليم .. !!



هذه الاسباب الخمسة ، هي وحدها مكمن داء التخلف وضعف الانتاج في بلادنا .

ولعلك ، ان تأملت ، رأيتها اسبابا متداخلة ، اي يؤثر بعضها في تقوية بعض .

ومع ذلك فانها جميعا نتائج فرعية لسبب رئيسي خطير ، هو سبب الاسباب كلها . ألا وهو انصراف المسلمين عن اسلامهم ، ونقضهم للبيعة التي كانوا بايعوها ربهم .

هذه حقيقة ثابتة لا جدوى في انكارها ، بل لا سبيل لانكارها ، عند من آمن بالله الها واحدا موجودا متصفا بكل صفات الربوبية والكمال . غير أنها حقيقة خيالية لا جدوى من الحمل على اليقين بهـا عند من لم يؤمن بعد بهذا الاله . ونقاش ما بين هذين الفريقين لا ينتهي الى شيء .

غير أني انما أخاطب في هذا المقال الموقنين بوجود الله عز وجل ، أو المتظاهرين بهذا اليقين على أقل تقدير .

ان عمارة هذه الدنيا أمانة ، يشرف الله بها عباده المسلمين طالما كانوا مسلمين فعلا .. فاذا انحرفوا استلب الامانة منهم واستودعها عند غيرهم ، وربما كانوا شرا منهم ، لا ضير .. فان الله لا يوقف عمارة الارض ومسيرة الحياة من اجل عيون الذين ارتدوا على أعقابهم وانحرفوا عن منهج التشريف والتكريم .. لا بد أن تظل الحياة مستمرة وقانونها نافذا ، ان لم يكن زمامها بيد هؤلاء كان بيد آخرين .. الى أن يرث الله الارض ومن عليها .

واليك نصوص هذا القانون في بيان الفاطر الحكيم :

— « ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فيالارض ونجعلهم أئمة ونجعلهم الوارثين » القصص : ٥ .

— « وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم في الارض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذي ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا .. » النور : ٥٥ .

— « وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا ، فأوحى اليهم ربهم لنهلكن الظالمين . ولنسكننكم الارض من بعدهم ، ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد » ابراهيم : ١٣ و ١٤ .

— « إلاّ تنفروا يعذبكم عذابا اليما ، ويستبدل قوما غيركم . ولا تضروه شيئا والله على كل شيء قدير » التوبة : ٣٩ .

الأسس والآثار الحضارية في نظرة الإسلام العامّة

للدكتور مازن المبارك

لنقف الآن عند نظرة الاسلام العامة الى الكون والى الانسان لنرى ما فيها من اسس صالحة لبناء الحضارة ، ولنرى بعد ذلك ما ينتج عنها من آثار حضارية .

لقد كان للنظرة الاسلامية الى الكون والى الانسان اثرها البعيد فى تاريخ الحضارة وفى اتجاه تلك الحضارة ، كما كان لها اثرها فى تطور حياة الانسان وجعلها حياة مزدهرة مثمرة . ولقد كان من ابرز خصائص هذه النظرة الاسلامية انها ارست للحضارة اسسا ثابتة تنطلق الحضارة عنها فى كل مجال ، وانها نظرة واقعية تحققت فى عالم الواقع لا فى اوهام الفلاسفة وخيالات المشرعين فكانت مثلا رائعا للحضارات على مدى التاريخ .

ا ــ ففى مجال الحياة الفردية كانت لنا ثلاثة اسس :

اولها : ان للفرد حرية تكفل له نشاطه ولا تصل الى حــد الاضرار بمصلحة غيره .

وثانيها : انها ايقظت فى نفس الانسان ضميره ، فاصبح له من نفسه حارس عليه .

وثالثها : انها حررته من كل عبودية لغير الله تعالى .

اما الأساس الأول وهو ان تترك للانسان حرية لا تضيق حتى تشل حركته وتقتل موهبته ولا تستطيع حتى تطغى على مصالح الآخرين ، ففيه حل لمشكلة من ابرز مشاكل المجتمعات البشرية التي يدور فيها اليوم صراع شديد بين النظام الحر والنظام الموجه . ونحن نعتقد أنه اذا اردنا أن نحفظ على الانسان انسانيته وعلى المرء مروءته فلا بد ان نتركه حرا ينطلق فى تحقيق مواهبه واستثمار كفاءاته ليتنافس الأفراد في تقديم الخيــر لأنفسهــم ولمجتمعاتهم ، ولن يكون هذا التنافس في ظل الاسلام وتحت اشرافه الا تنافسا خيرا يرعى حقوق الفرد وحقوق الجماعة . ونحن نستطيع أن نطبق هذا المبدأ القائم على الحرية المعتدلة في كل ميدان من ميادين الحياة ، فنطبقه في ميدان الفكر كما نطبقه في ميدان الاقتصاد ، وذلك بان نترك للأفراد ان يفكروا كيف يشاؤون وان يكتبوا ما يشاؤون على الا يكون فى شىء من ذلك مساس بمصلحة جماعتهم وعقيدتها . ولقد كانت لهذا المنهج الحكيــم ثمراته الخيرة في تاريخ حضارتنا يوم طبق فلم يشل حركة الفكر بل هيا للعالم علماء افذاذا كابن سينا والغزالى وابن رشد وغيرهم ممن قال عنهم علماء الغرب انهم ظلوا اساتذة للغرب حتى القرن التاسع عشر . قــال غرونباوم ((ليس ثمة ميدان من ميادين الخبرة الانسانية لم يضرب الاسلام فيه بسهم ولم يزد ثروة الثقافة الغربية فيه غنى)) ..

واما الأساس الثانى ، وهو ايقاظ الضمير ، فمتصل بالأساس الأول اذ قد يجنح بعض الأفراد او ينحرفون ، وتستعبدهم شهوة الكسب او شهوة الشهرة فيظلمون المجتمع بوسائل كسبهم الجشعة كاحتكار القوت ، أو يسيئون اليه باتخاذ مخالفة العقيدة طريقا الى الشهرة .. فكان لا بد لهؤلاء واولئك من رادع ورقيب فكان الأساس الثانى لذلك قائما على ايجاد ذلــك الرادع وتنبيه الضمير ليكون حارسا امينا او صمام امان يحرص المسلم على بقائه نقيا طاهرا يقظا لان الله سبحانه مطلع عليه وهو الذى يعلم الجهر وما يخفى (ولقد خلقنا الانسان ونعلم ما توسوس به نفسه .) . واما اذا صدىء هذا الضمير او قصر فى واجبه فان الحاكم يقوم بوظيفة الرقيب والرادع ليحفظ حقوق الجماعة من المنحرفين ويعيد الى المجتمع توازنــه المطلوب .

واما الأساس الثالث ، وهو تحرير الانسان من عبودية الانسا[illegible] كان وربطه مباشرة بالله الخالق القوى ، فقد كان ذا آثار بعيدة [illegible] الانسانية من اقربها انه انقذها من حياة الفوضى والقلق تلك [illegible] تعيشها ، واوجد فيها سكينة وطمانينة اتاحت لها فرصة العم[illegible]

النافع . ان الاسلام حين ربط نفس الانسان بالله فقد ربطها بمصدر قـوة كبرى تفزع اليه عند الملمات (ان الانسان خلق هلوعا ، اذا مسه الشر جزوعا) ولقد قرر العلماء ان الايمان بالله هو الدواء الناجع والوحيد للتخلص من القلق والاضطراب النفسي ، وراحوا يعملون اليوم على ابراز هذا الجانب الروحي وبيان قيمته في العلاج النفسي ، وحسبك أن تقرأ كتاب ((دع القلق وابدأ الحياة)) لديل كارلنجي وكتاب ((العودة الى الايمان)) لموريس كريسون .. فكارلنجي يقول ((ان اطباء النفس يدركون ان الايمان القوي والاستمساك بالدين كفيلان بان يقهرا القلق والتوتر العصبي)) ويقول الدكتور بريل ((ان المرء المتدين حقا لا يعاني قط مرضا نفسيا .)) والحقيقة أنه متى انتصرت النفس الانسانية على شهواتها ، وأصغت الى ضميرها ، وراقبت ربها ، وتحررت من كل عبودية لغيره ، اندفعت بناءة في ميدان الخير تعمل لنفسها ولمجتمعها وللانسانية جميعا . هذا الى جانب ما لصلة الانسان بربه من أثر في رفعة الخلق وسمو الغاية .

٢ — وفي مجال الحياة الاجتماعية وضع الاسلام التكافل الاجتماعي اساسا يقوم عليه المجتمع وهو تكافل عام شامل لكل ميدان ، لا يقتصر على توزيع الثروات أو اعانة الفقراء وانما يمتد ويعم حتى يشمل ميدان الصناعات . وذلك ان الاسلام أوجب على المجتمع الاسلامي ان يكفي نفسه فان خلا مجتمع أو بلد من صناعة يحتاج اليها المسلمون فكل أهل البلد آثمون ومعنى ذلك أن على المسلمين اليوم أن يسهموا في كل ميدان من صناعة النعال الى انتاج الذرة .

ولم يكتف الاسلام بجعل المجتمع شركة يتقاسم ابناؤه الأعباء والمغانم ، وانما جعله أسرة واحدة قائمة على المحبة والتعاون والتراحم تلك المثل التي يفتقدها عالم اليوم ، وواضح ان هذا الشعور العاطفي لم يكن ليفسد النظرة الموضوعية الى المجتمع وواقعه ، وحسبك بنظرة ابن خلدون مثالا للنظرة الموضوعية الاسلامية في دراسة المجتمعات البشرية .

٣ — واما في ميدان الانسانية عامة فكان الأساس الـذي ارساه الاسلام ان البشر جميعا من أصل واحد والى مصير واحد ، وانهم متساوون لا يفرق بينهم نسب ولا لغة ولا لون ولا جنس ، فالناس جميعا بشعوبهم وامهم ورجالهم ونسائهم .. مخلوقون للتعارف والتعاون على بناء العالم وازدهار الحياة . وكان من آثار هذه النظرة الاسلامية أن التقت لأول مرة في تاريخ الانسانية امم وشعوب تعاونت على بناء العالم ورقي حضارته رغم ما بينها من فروق الجنس واللون واللغة . وكان من أثر هذه النظرة ايضا ان فاضت الحضارة الاسلامية بخيرها على العالم اجمع فتمتعت بها اقوام وامم ، سواء منها من خضع لحكم المسلمين ومن لم يخضع .

٤ — وفي ميدان العلم قامت نظرة الاسلام على أساسين : ايماني

وتجريبي . أما الايماني فخاص بما أخبر به الله تعالى وما تنزل به الوحي ، وليس للمسلم الا ان يقبل ويسلم ، وقد اخبر الله تعالى انه قد تمت الرسالة وانتهى الوحي وختمت النبوات . وأما العلم التجريبي فهو الذي لفت القرآن اليه اذهان الناس وحثهم على البحث فيه واخضاعه بالتجربة العلمية الموضوعية لمنافعهم ، وقد رأينا كيف كان القرآن يحض على استخدام العقل والفكر في الآيات الكونية فكان صوته اول نداء مزق في العالم حجب الوهم والخرافة ودعا الانسان الى اكتشاف قوانين الكون ومعرفة اسراره .

وكان من اثر هذه النظرة أن نقل الاسلام العلم من مرحلة النظر الى مرحلة العمل والتجربة ، فعرف العالم المناهج التجريبية وعرف النابغين من العلماء كالبيروني وابن الهيثم والجاحظ والرازي .. وغيرهم ممن كانوا اساتذة العالم في الطب والفلك والكيمياء . وكان العصر الزاهر للحضارة الاسلامية عصر العلم والعلماء .

ولقد أثبت الاسلام ــ كما يقول غوستاف لوبون ــ انه من اكثر الديانات ملاءمة لاكتشافات العلم . بل ان لوبون يصرح بأن المناهج العلمية الحديثة مدينة للمسلمين وحدهم بالفضل الأول فيقول « لم يلبث العرب ــ وهو يعني المسلمين ــ بعد ان كانوا تلاميذ معتمدين على كتب اليونان ان ادركوا ان التجربة والترصد خير من افضل الكتب » ويقول : « ويعزى الى بيكون على العموم انه أول من أقام التجربة والترصد اللذين هما ركن المناهج العلمية الحديثة مقام الأستاذ ، ولكنه يجب أن يعترف اليوم بأن ذلك كله من عمل العرب وحدهم .. » ويورد لوبون آراء عدد من العلماء الذين يؤيدون رأيه هذا ثم يقول « قام منهاج العرب على التجربة والترصد ، واختبروا الأمور وجربوها ، وكانوا أول من ادرك هذا المنهاج في العالم ، وظلوا عاملين به وحدهم زمنا طويلا » .

٥ ــ واخيرا ، ارسى الاسلام اساسا لا بد منه لازدهار الحضارة الانسانية وسعادة البشرية وهو السلام ، فالاسلام والسلم والسلام من اصل لغوي واحد ، والله تبارك وتعالى هو السلام ، ولقد بلغ من حرص الاسلام على السلام ان اتخذه شعارا له فكان اول ما يذكر في اللقاء بين مسلمين بل كان هو شعار المسلمين يوم يقدمون على ربهم (تحيتهم يوم يلقونه سلام .) .

والحق ان الاسلام منح السلام للعقل الانساني الذي كان قلقا يبحث عن الخالق واسرار الكون فلا يهتدي ، ومنح السلام للنفس الانسانية التي كانت مضطربة تعتقد انها في حرب دائمة مع الآلهة والأرواح الشريرة ، فهي دائمة اللهفة لاسترضائها ودفع سخطها فجعلها الاسلام مطمئنة راضية تؤمن باله واحد ، وهو اله يحبها ويفرح باهتدائها ويدعوها لانهاء الخصومة والاستسلام له او الاسلام له (وانيبوا الى ربكم واسلموا له .) (ومن احسن ممن اسلم وجهه الى الله وهو محسن .) ومتى وجد السلام في

النفس والعقل ، ومتى وجد في الارض بين بني البشر فقد وجد الاستقرار، ومتى وجد الاستقرار فقد وجدت الحضارة .

٦ — على ان الاسلام لم يترك فكرة السلام مجرد دعوة أو مجرد فكرة قد تضعف أو تعصف بها شهوات النفوس الجامحة وانما دعمها بالقوة تحرسها وتسهر على تحقيقها ، انه يؤثر السلام (فان جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله) ولكنه يدعو الى ان تكون بجانب السلام قوة تدعم الحق الحق وينتصر له فامر باعداد القوة (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) وامر بقتال الفئة الباغية (فقاتلوا التى تبغى حتى تفيء الى أمر الله) .

وهكذا فقد هيأ الاسلام العالم للحضارة اذ أوجد لها ظروفها الملائمة ، وأية ظروف أجدى على الانسانية وحضارتها من دفع العقل البشرى الى التفكير والعمل والتجربة ، وتهذيب النفس وحراستها بالضمير وربطها بالله ووضعها موضع الرغبة فيه والرهبة منه ، ثم كفالة الاستقرار بتامين السلام ؟؟ وأى دليل اصدق على ملاءمة هذه الظروف من دليل الواقع الحى الذى يشهد له التاريخ ؟ لقد شهد التاريخ لهذه المبادىء الاسلامية بالنجاح الواقعى . وشهد أنه بفضلها أخصبت الحياة وازدهرت فى ميادين التجارة والصناعة والزراعة والعمران ، ويكفى أن نتذكر ما كانت عليه عواصم العالم الاسلامى — يوم سادت تلك المبادىء — من تقدم وما بلغت الحياة فيها من رقى ، وما شاد الفن فيها من آثار ما زالت قرطبة وغرناطة والقاهرة ودمشق وبغداد شاهدة عليه حتى اليوم .

ان التاريخ ليشهد أن تلك الأسس وهذه الآثار الحضارية ليست شيئا يزينه الوهم أو يبدعه الخيال كما هو الأمر فى أكثر الدعوات وما تزخرفه للناس أو تغرى به السذج ، وانما هى أسس عرفها واقع الحياة الاسلامية وعرف العالم حضارتها ، بل لقد شهد لتلك الحضارة علماء ومؤرخون من غير المسلمين فكان منهم من قال : (لم يفتح الاسلام العالم ، ولكنه غزاه بحضارته .) وكان منهم من قال : (الحق أن أتباع محمد ظلواأشدمن عرفته أوربا من الاعداء ارهابا عدة قرون ، وأنهم كانوا عندما لا يرهبوننا بأسلحتهم كما فى زمن الحروب الصليبية كانوا يذلوننا بأفضلية حضارتهم الساحقة .) وقال (ان للحضارة الاسلامية تأثيرا عظيما فى العالم . وأن أوربا مدينة بحضارتها للعرب) .

ونختتم بحثنا هذا بالتاكيد على أن هذه الأسس التى وضعها الاسلام للحضارة تمتاز بخصائص تجعلها أسسا صالحة لبناء حضارة انسانية عالمية فهى تمتاز :

أولا : بالنزعة الانسانية التى لا تعرف حدود الأرض أو القوم أو اللغة ، ولا تقبل بتفرقة الجنس أو اللون او غيرهما من العصبيات .

ثانيا : بالبساطة وعدم التعقيد مما يجعلها ملائمة لشتى الظروف ومختلف المتطلبات .

ثالثا : بالشمول لجميع جوانب الحياة التى تحتاج اليها الحضارة من خلق وعقل وعمل .

رابعا : يمتاز الجانب الاخلاقي فيها بشمول رائع للفرد والجماعة والدولة ، فكما لا يقبل الاسلام من الفرد مثلا ان يكذب او يخدع أو يخون او يعتدي من اجل مصلحته الخاصة ، فكذلك لا يقبل هذه المفاسد من الجماعة أو من الدولة من اجل القوم أو الوطن او سياسة الدولة ..

وبعد ، فان الحضارة الاسلامية ذات أساس ايماني ، لأن الايمان بالله هو الاساس الأول الذى ترتكز اليه ، وهو ايمان يحرسها ويجنبها الكثير من العثرات ، ويجعل عطاءها عاما لجميع عباد الله . وهي حضارة تنبعث كما رأينا من نظرة الاسلام الى الكون والى الانسان ، تلك النظرة التي تعطي كل شيء في الحياة نصيبه ، وتضع كل شيء موضعه ، فللايمان فيها موضع وعمل ، وللعقل فيها موضع وعمل ، وللروح فيها نصيب كبير ، ثم ان الروح والجسم فيها أليفان يساعد أحدهما الآخر ، ولا يطغى جانب فيها على جانب ، فلا ينسى الانسان فيها ربه ، ولا تطغى فيها العبادة حتى تشل العمل أو تعيق الانتاج .

على أنه يجدر بنا أن نشير الى أن الاسلام نظام شامل ، وأنه اذا أردنا له ان يقوم نظاما حضاريا ، وأن يؤتى ثماره الطيبة فلا بد من رعاية الأسس التي نادى بها جميعا ، وأنه لا جدوى من الايمان ببعض الاسلام دون بعض الآخر . ولا بد لنا بعد ذلك أن ندرك أنه ما من مذهب من مذاهب الارض ولا دين من أديان السماء جاء كالاسلام بانيا للحضارة في كل ميدان من ميادين الحياة فاذا هو فى حياة الفرد حرية لا تعرف العبودية لغير الله ، ولا تحدها فى الارض غير مصلحة الجماعة ، وهو فى نفس الانسان ايمان يدفعه الى العمل ويحضه على الاتقان فيه فان الله يحب اذا عمل احدكم عملا أن يتقنه ، وهو ضمير يقظ يحول بين المرء والآثام ، وهو بعد ذلك أمر للانسان بالعمل الدائم وبكل طاقاته لتسخير الكون لمنفعته ، واعداد القوة لاقامة الحق والعدالة والمساواة فى الارض .

هذا هو الاسلام ، وتلك هي نظرته ، فما أحوج عالمنا اليوم اليه والى نظرته لينظر من خلالها الى الكون والى الانسان ، وليبنى على أسسها حضارته الجديدة .

ما أحوج عالمنا اليوم الى هذه النظرة الاسلامية التى تحرره من اخلاق الجاهلية بما فيها من شرك آثم وخضوع لغير الله ، وبما فيها من شهوات رعناء ، وعصبيات ضيقة . ما أحوج عالمنا اليوم الى الاسلام ليعود الى الارتباط بالله خالقه العلي العظيم .

وما أحوجه الى النظرة الاسلامية التى تتفرد بأنها وحدها من بين اديان السماء ومذاهب الارض تجمع ما فى الدين من سمو روحي الى ما فى العقل من طموح علمي الى ما فى العمل من فعالية دائبة ، مستثمرة ذلك كله فى سبيل المثل الاعلى والكمال المطلق .

ولا يسألنى سائل بعد الذى ذكرت أين هى اليوم أسس الاسلام فى حياة المسلمين ؟ ولا أين هى حضارة الاسلام فى واقع المسلمين ؟ فما أصدق من قال : أن الاسلام اليوم محجوب بالمسلمين .

عبد الله التل

للاستاذ : انور الجندى

لقد أفضى (١) (عبد الله التل) الى ما قدم وعبر الى الشاطىء الآخر بعد أن أدى حق الله بالسيف والقلم فكان نموذجا كريما من نماذج المجاهدين المسلمين في العصر الحديث فقد شارك عبد الله التل محاربا وقائدا عسكريا في معركة فلسطين عام ١٩٤٨ وفتحت هذه المعركة الحاسمة التي انتهت بقيام اسرائيل ذهنه وقلبه الى الخطر الصهيوني العالمي ، ودفعته الى دراسة واسعة عميقة لهذا التحدى الخطير الذى واجه العرب والمسلمين في العصر الحديث . وبذلك انتقل هذا المجاهد المسلم العربي من معركة الى معركة شأنه في هذا شأن اللواء محمود شيت خطاب الذى اشترك في نفس معركة فلسطين عام ١٩٤٨ ومنها انطلق الى دراساته الاسلامية والسياسية .

ولا ريب ان هؤلاء المجاهدين قد اقاموا في العصر الحديث صورة صحيحة لمفهوم الاسلام نفسه الجامع بين الجهاد باليد والجهاد بالقلم ولقد كان كذلك عدد كبير من مفكري الاسلام ورجاله .

ويعد عبد الله التل في مجاله العسكرى حبة من عقد ظهر منه الشيخ القسام وعبد القادر الحسيني واحمد عبد العزيز . يقول : أكرمني الله تعالى وقدر أن أكون قائدا للقوات العربية التي خاضت معركة القدس واستطاعت أن تطهر القدس القديمة من اليهود وتحفظ للمدينتين الاسلامية والمسيحية مقدساتهما التاريخية الخالدة . وانتصارنا في معركة القدس أبقى للعرب منطقة نابلس ومنطقة الخليل ، لأنه لو قدر لنا ان نخسر المعركة وننسحب من المدينة لما بقي بيد العرب شبر واحد في فلسطين . ذلك لأن مدينة القدس هي الدعامة التي ترتكز عليها الميمنة (نابلس) والميسرة (الخليل) كما أن بيت المقدس هو فلسطين ومن يمتلكه وما فيه من مقدسات خالدة يعد مالكا لفلسطين ومن يخسره يخسر فلسطين كلها .

وقد استطاع عبد الله التل عرض القضية في دراساته المختلفة : وأولها (كارثة فلسطين) ، الذي أصدره عام ١٩٥٩ وكان قد هاجر الى القاهرة في اكتوبر ١٩٤٩ وبدا يدرس هذه القضية دراسة متأنية واسعة شاملة . ثم أصدر كتابه الضخم (خطر اليهودية العالمية على الاسلام والمسيحية) عام ١٩٦٤ ثم اتيحت له فرصة أخرى لاعداد دراسة ضخمة قصد بها نيل الدكتوراه من جامعة الأزهر نشرها فيما بعد تحت اسم (جذور البلاء) (عام ١٩٧١) .

وفي كل هذه الدراسات التي استمرت أكثر من عشرين عاما لم يدع (عبد الله التل) شاردة ولا واردة حول هذه القضية في أفقها الواسع المتصل بالصهيونية العالمية وبالاستعمار وبتاريخ اليهود منذ ألوف السنين حتى اليوم ، كل ذلك في أسلوب دقيق ومنطق علمي .

وكان (عبد الله التل) هو في مقدمة المفكرين والقادة الذين اعلنوا الحقيقة التي أوصلهم اليها علمهم وتجربتهم وهي : « ان قضية فلسطين هي قضية دينية مقدسة في المقام الأول وان أية معالجة لها لا تكون على أساس ديني جهادي مكتوب عليها الاخفاق لا محالة » .

يقول : « وايماني هذا مبني على تجارب عسكرية عشتها وحقائق تاريخية لمستها ووعيتها» .

ويشير في هذا الى تجربة الجزائر التي قامت على هذا الفهم الواضح .

« لم انس بعد تجربة الثورة الجزائرية الكبرى التي هزمت الاستعمار الفرنسي وقضت على خرافة فرنسة الجزائر يوم خيل للاستعمار انه استطاع القضاء على عروبة الجزائر فجاءت الثورة وسلاحها الأول : (جهاد ديني في سبيل الله) مخيبة لآمال الغرب ومؤكدة عظمة الطاقة الكامنة في الاسلام فتمت المعجزة واستقلت الجزائر بعد استعمار فرنسي بشع دام (١٣٠) عاما كاد خلالها ان يهلك الحرث والنسل وان يقضي على اللغة العربية ، بيد انه أخفق في القضاء على الاسلام » .

وقد هاجم عبد الله التل منذ ذلك الوقت البعيد تلك الدعوات المنحرفة التي كانت تخرج معركة فلسطين من مضمونها الأصيل ومفهومها الصحيح يقول :

« ويتناسى دعاة العلمانية الذين يسقطون من حسابهم العامل الديني في قضية فلسطين : انها القضية الوحيدة في العالم التي قامت منذ ثلاثين قرنا وما زالت تقوم على أسس دينية روحية ، وانه ان صحت معالجة أية مشكلة على أسس مادية فان قضية فلسطين لا تعالج الا على اسس دينية بالدرجة الأولى وأسس مادية بالدرجة الثانية ويتناسى قادة الأحزاب والحركات العربية العلمانية ان جميع المعارك الحاسمة في تاريخ العروبة والاسلام من القادسية واليرموك وحطين وعين جالوت الي بور سعيد والجزائر كانت صيحة الحرب فيها دينية مقدسة : الله اكبر » .

ولقد صدق الله وعده فكانت معركة العاشر من رمضان على النحو الذي تمناه لها (عبد الله التل) ولعل روحه قد قرت ورضيت بأن تحول تيار الفكر الاسلامي العربي نحو هذه الحقيقة واصبح موقنا بها .

كذلك أشار (عبد الله التل) في دراساته الى القوى المادية في الوطن

العربى مثل البترول وقال انها اسلحة خطيره لا بد من استخدامها لكسب المعركة وقد تحقق ذلك .

ولقد كان على قدر كبير من الوعى والايمان حين قال :

« اما اذا اقتصرنا على استخدام السلاح المادى فى المعركة فان قوى الأعداء المادية تفوق قوانا ولا يمكن التغلب عليه فى مجال المادة وحدها فاذا ما ضممنا « القوة الروحية الكامنة فى الاسلام » الى قوانا المادية نتج عنها قوة عظيمة وطاقة جبارة » .

ولقد كان فهم عبد الله التل ـ رحمة الله عليه ـ لهذه القضية الحاسمة فهما عميقا وحاسما فلم يكن من أمثال الباحثين والمؤرخين الذين يقفون عند الأحداث وحدها ولكنه كان قادرا على النفاذ الى الأعماق وتحليل الأزمة على نحو لم يعرف الا عند عدد قليل من المقتدرين فهو من ناحية يصل الى أعماق الايدلوجية التلمودية قديما منذ خصومة اليهود للاسلام فى المدينة ويتحدث عن الدور الذى قام به اليهود فى المنفى البابلى حين أعادوا كتابة التوراة على طريق المطامع والأهواء على النحو الذى كشفه القرآن الكريم ، وقطع بالرأى فى علاقتهم بسيدنا ابراهيم عليه السلام وكيف كانوا يخفون الجانب الاسماعيلى العربى من تاريخه ليقصروه على جانبهم الاسرائيلى وحده واستطرد الى فهم اليهود للحياة وعبادتهم للذهب واشتغالهم بالربا وكيف كانت أقامتهم الأولى فى فلسطين سوداء الصفحة مفعمة بالقتل والذبح والنهب والسلب والبطش والارهاب والغدر والاسر والسبى وكيف ان عمليات القتل الجماعى والفتك بالناس دون النظر الى الجنس والتمييز بين الرجال والأطفال والشيوخ قد أوجدها اليهود أنفسهم ولم يسبقهم اليها شعب من شعوب الأرض ومن يقرأ سفر استير فى التوراة وهو سابق على عهد الرومان فى فلسطين يجد كيف أن اليهود قد ذبحوا (٧٥) الف نسمة فى يوم واحد بايعاز من هذه اليهودية الجميلة التى استغلت جمالها عند ملك الفرس وهم يعتزون بهذا اليوم ١٤ مارس ويعتبرونه عيدا قوميا لهم (٢) .

ثم يتحدث الكولونيل عبد الله التل عن التلمود ويورد تاريخا مطولا للأحداث ويكشف موقف أوربا من اليهود وكيف استطاعوا السيطرة عليها بالثورة الفرنسية وكيف أمكنهم احتواء الفكر الغربى المسيحى ثم كيف قاومتهم أوربا وفتحت لهم الطريق الى بلاد العرب والمسلمين تخلصا منهم .

ثم يصل عبد الله التل الى كشف جوانب خطيرة من التاريخ الحديث غابت عن كثير من شبابنا ومثقفينا ، مما يختلف عما أوردته كتب التاريخ التى قررها الاستعمار فى مدارسنا العربية والاسلامية . وكيف نشأت الماسونية وجمعية بناى برث ثم كيف ظهرت الصهيونية وحركة التنوير وكيف جرت الحركة من اجل اسقاط الدولة العثمانية والخلافة الاسلامية وذلك كله مما لم يكشف الستار الا عن جانب منه كان لعبد الله التل فضل أى فضل فى الكشف عنه وخاصة فى كتابه (جذور البلاء) .

ولا ريب ان المسلمين والعرب فى حاجة كبرى الى أن يعرفوا هذه الجوانب الخفية وأن يصلوا الى هذه الابعاد الحقيقية التى تكشف لهم ابعاد الموقف الخطير الذى يعيشون فيه والذى ليس قاصرا على وجود احتلال استيطانى يهودى فى فلسطين وانما هناك محاصرة ضخمة للعالم الاسلامى

ومخططات خطيرة فى سبيل احتواء العالم الاسلامي . فكره وتراثه وثروته وكيانه كله . وان هذا العمل بدا من وقت بعيد واستهدف فى أول الأمر احتواء الفكر الغربى المسيحي وقد تحقق ذلك ثم مضي للسيطرة على الفكر الاسلامي بالحرب العالمية الاولى والثانية وقد انكشف ذلك كله بتسرب بروتوكولات حكماء صهيون عام ١٩٠٢ ميلادية،هذه البروتوكولات التي حجبت عن المسلمين والعرب اكثر من خمسين عاما حتى يظلوا جاهلين ما يدبر لهم .

ويكشف عبد الله التل عن أن اليهود هم الذين أضرموا نار الحربين العالميتين الأولى والثانية وتسببوا فى قتل أكثر من ٤٠ مليون مسيحي .

ويصل عبد الله التل الى اعلان حقيقة هامة حين يقول : لقد كان سقوط الخلافة الاسلامية هو العامل الأول فى انجاح خطة اليهودية العالمية لاغتصاب فلسطين ، صحيح ان الوعد (وعد بلفور) قد صدر فى ٢ نوفمبر ١٩١٧ قبل احتلال فلسطين وانهيار الخلافة ، الا أن ذلك الوعد كان نظريا ولم يترجم الى حقيقة وعمل الا بعد أن اقتحم الجنرال اللنبى مدينة القدس من باب الخليل وقال عبارته المشهورة : « الآن انتهت الحروب الصليبية » . هذا الجنرال اللنبى الذى ظن انه ينتقم لهزيمة حطين ويسترد سلطة الصليب على بيت المقدس كان جاهلا لا يدرى انه آلة صغيرة فى الجهاز الكبير الذى تسيره اليهودية العالمية لتحقيق اهدافها الجهنمية : اذ لم تكد تمضى بضعة أشهر على حكم الانتداب البريطانى على فلسطين حتى أصبح واضحا ان حكومة الانتداب مجنده لخدمة اليهود وتسهيل عملية استيلائهم على مرافق فلسطين لتحويلها الى دولة يهودية لا مكان فيها لهلال ولا صليب .

ثم كيف نذكر انهيار الخلافة الاسلامية دون أن نشير الى أن اليهودية العالمية كانت عاملا قويا فى ذلك الانهيار . فاليهود لم ينسوا أن السلطان قد رد الصهيوني الأكبر هرتسل وايقنوا انه لا أمل لهم ولا فائدة في السلطان فقررت الحكومة اليهودية المستورة القضاء على الخلافة وحينما نجح اليهود فى تحطيم الخلافة لم يكتفوا بذلك وانما رسموا لتركيا خطط المستقبل قرروا ان تتخلى تركيا عن الخلافة وعن اللغة العربية وان تتخلى عن الاسلام ثمنا لتأييد دول الحلفاء لها فى ثورتها التى قادها مصطفى كمال باشا ولقد كان الوسيط الذى اشرف على تنظيم اتفاقية الحلفاء مع مصطفى كمال هو الحاخام حايم نحوم الذى كان فى تركيا قبل انتقاله الى مصر حاخاما أكبر ليهودها (٣) .

وهكذا كشف عبد الله التل حقائق كثيرة وقدم فى مجال الفكر والعقيدة جهدا بالغا له أجر المجاهد الشهيد ، فكان بالقلم محاربا كما كان من قبل بالسيف وقد جمع الحسنيين ، مقاتلا بالكلمة ومقاتلا بالمدفع فى سبيل القضاء على أكبر خطر يتهدد الاسلام والعالم الاسلامى فى هذا العصر فجزاه الله أجر العاملين وكتبه فى الابرار المجاهدين .

---

(١) توفى عبد الله التل فى اواخر عام ١٣٩٣ هـ ولم ينتشر خبر وفاته الا بعد ذلك وقد قرانا اول نعى له فى مجلة (العرفان) التى تصدر فى صيدا فى عدد اخير وصلنا خلال شهر صفر ١٣٩٤ هـ .

(٢) اقرا ذلك بالتفصيل (ص ٣٦) من كتاب خطر اليهودية العالمية للكولونيل عبد الله التل .

(٣) راجع ص ٢٢١ من كتاب عبد الله التل : خطر اليهودية العالمية .

صلاة

قصيدة للشاعر فى مهرجان عيد الشهداء بدمشق
٦ مايو ١٩٧٤ .

ماذا اغنى ؟

والسـماء بقدسـها وبنورهـا ،
غنت لهم ؟؟
والارض لملمت العبيـر وضـمخته ،
بعاطر من ذكرهم
والله قـربهم ، ومـد العرش اظـلالا ،
لرفرف خلدهم
وكتائب الاحـرار شدت فى النضـال ضياءها ،
من دربهم
وخطـا الشـعوب تضل ان لم تستمد حيـاتها
من خطوهم
.. عـرفوا طريق الخـلد ، فاتجهوا اليـه ،
وعانقوه بعمرهم
وبروحهم ، وبسرهم ،
وبكل ما ملكت منـابت كرمهم ،
وبـكل ما وهبتـه اقـداح الحيـاة
لدمعهم ولخمرهم ..
بالنـور .. والأغـلال ترفض ضـوءه
مـن عـزة فى ليلهم

للشهداء

للشاعر محمود حسن اسماعيل

بالحب .. والأغلال تنسخه لظى ،
متأججا من سخطهم
بالدم .. وهو النار عاطشة مدمدمة ،
لساعة ثأرهم
بالحلم .. وهو تميمة الجبناء ،
تخجل أن تطوف بمهدهم !
بالروح .. وهي الطائر المجروح ،
من غيظ التراب بأرضهم
بوجودهم .. ووجودهم هذا التراب الحر ،
يصرخ تحتهم :
ان لم اكن حرا ، فلا عبرت على وجهي
عروبة وجههم !
ردوا عليه بان سقوه ، بكل آخر قطرة
من كأسهم
بدمائهم ، بفدائهم ، بمضائهم ،
قطفوا الحياة بموتهم
والله ما ماتوا .. ولا عرف البلى عرقا
يجف بجسمهم !
عرفوا طريق الله ، فاتجهوا اليه
وبايعوه بعمرهم !!

من هــؤلاء ؟
هــم الذين مشــاعل الانســـــان تحمــل ضــوءهم
صنعــوا من الآجــال مصبــاحا ، عرفــت بــــه
اشعـــة شمسهم
فعرفتهـــــم .. لمــا رايت العــار تغسلــه الدمـــاء
بجرحهم ..
وعرفتهم .. لمــا رايت الــــذل يحصـــــده الابـــاء ،
بكبرهم ..
وعرفتهـــم .. لما رايت اليـــاس بــــدده اليقيـــن
بعزمهم ..
وعرفتهـــم .. لمــا رايــت الأرض ترفع راســـها
من باسهم ..
وبـــكل يــوم تشتهيهــم حاصـــدا لعــدوهـــا
من تربهـم ..
وعرفتهــم .. لما رايــت كرامـــة الأوطان تهــــزج
باسمهم ..
وعرفتهم .. لما اســتمدت وجــود وجهى فى الوجــود
بيومهم ..
قـــد كــان ضــاع ، وضـــاع . حتــى عـــاد
ممتشق الابـــاء بكفهم !
شهـــداء .. تخشـــع كـــل ذرات الفضـــاء ،
لهالـــة من طهرهم
وتميس رايـــات المعـــارك كلمــا نشقــت
معارج عطرهم !
كل البطولـــة قطرة شربــت رحيـــق مضائهـــا
من بحرهــم

كـــل الثـرى عبــــد اذا لـــــم يرشـــــقوه
بوقدة من جمرهم ..
شهــــداء !! صـوت الحــق جلجــل كالأذان ،
محلقا من صوتهم ..
شـــهداء .. ريـــح النصر هبت مـــن لظى قبس اللظى
من صدرهم
نبحـــوا اســـاطير الطغـــاة .. ولقنوها آيـــة
من درســـهم
ومضـــوا .. ويمضـــى كـــل يـــوم للفـــرادس
زائـــر من ركبهـــم
حتى تفـــرد فـــى التـــراب حقيقـــــــة
تشجى سرائر طيرهم
.. حييتهـــم فـــى كل شبـــر املكـــوا فيـــه
سلاسل قيدهم
وعـــرجت بالأوتـــار حتـــى شـــارفت
الق النبوة حولهم
وطرقـــت بـــاب الخلـــد اســـال اى روض
فى الأرائك ضمهم ؟
وبـــاى رفـــرف جنـــة املاكهـــا وطيورهـــا ،
حظيت بهم ؟
فعلمـــــــت ان اللــــــه كرمهــــم
ونعم بالشهـــادة قربهم !!
ماذا اغنى ؟؟ والســـماء بقدسها وبنـــورها غنت لهـم
.. فاذا شدوت .. فلن اكون سوى صدى لقصيدة من
شـــعرهم !!.

منهج الإسلام

للدكتور محمد فوزى فيض الله

١ — ربما كانت هذه التسمية حديثة فى البحث الاسلامى ، وربما كانت المانيا المهد الأول الذى نبتت فيه فكرة التضامن أو التكافل الاجتماعى فى العصر الحديث ، ومنها انبثت الى الأقطار الاوروبية ثم الشرقية ، وكتب فيها الباحثون والمقننون .

لكن هذا لا يعنى أبدا ، خلو النظام الاسلامى من فكرة التكافل ، أو غض نظره عنها ، أو اهماله أو تقصيره فى تطبيقها . وسنرى فى هذا البحث القصير ، كيف أن الاسلام سبق الى فكرة التكافل الاجتماعى ، وأقام لها نظرية مستقلة ، ورسم لها الخطوط العريضة ، ووزع المسئولية فيها على المجتمع المسلم وجهاته ، وأشرف الحاكم والمحكوم على السواء على تطبيقها ، كما يتضح ذلك من الصور العملية ، والوقائع التاريخية ، التى أبرزتها فى المجتمعات الاسلامية ، فى عهود النهضة ، وأزمنة التخلف .

٢ — ويمكن تحديد التكافل الاجتماعى — بوجه التقريب — بأنه : تنظيم مالى دينى ، يقوم على فكرة التعاون بين الدولة وبين الكاسبين ، أفرادا وجماعات ، لسد حاجات الفقراء ، وحفظ كرامة المحرومين ، وتهيئة سبل العيش الكريم لهم ، من غير استغلال أو تجاوز .

وليس من المهم فى الاسلام التحديد الصورى ، بعد تحقيق التكافل روحيا وعمليا فى المجتمع ، بدون اعتبار العرق والدم ، والعنصر واللغة ، ومجالات الاقتصاد ، وبيئات الفلاحين والعمال ، كما اقتصرت عليها بعض المذاهب الاجتماعية المادية الحديثة ، فهبطت ، واستهدفت للنقد اللاذع ، الذى قلل من انسانيتها .

كما يمكن رسم الهدف منه فى الاسلام ، وهو — كما يبدو من التحديد — : قطع دابر الفقر ، والعوز ، وصون كرامة الانسان ، واحباط أساليب التجاوز والاستغلال ، فى المجتمع الاسلامى .

٣ — وقد وزع الاسلام المسئولية التكافلية — اذا صح هذا التعبير — على جميع الجهات التى يتصدر منها الامداد المادى ، فى المجتمع الاسلامى ، بادئا بالفرد المسلم ، ومنتهيا بالدولة المسلمة ، والمجتمع الاسلامى موصول الرحم ، موثوق عرا المودة ، يتعاون أفراده على الخير فيما بينهم ، لاصلاح شأنهم كله ، فى الدين والدنيا ، متضامنين .

وقرر الاسلام — فى هذا الصدد — مبادىء ، من شأنها اذا طبقت أن تيسر تحقيق التكافل الاجتماعى فى الأمة ، وأن تقطع السبيل على كل ما يعوق وجوده أو يناقضه ، ثم حصر المسئولية التكافلية فى أربع جهات :

في التكافل الاجتماعي

١ ــ الجهة الاولى : مسئولية الفرد .
٢ ــ الجهة الثانية : مسئولية ذوى القربى .
٣ ــ الجهة الثالثة : مسئولية الجماعة المسلمة .
٤ ــ الجهة الرابعة : مسئولية الدولة .

وسنلم بهذه الجهات إلماما خفيفا بعد لمس سريع للمبادىء الشرعية الأولية المؤيدة ، التى تحقق التكافل تلقائيا ، وتحبط كل ما يعوقه .

اولا ــ المبادىء الأولية المؤيدة :

٤ ــ ان تكافل المسلمين ــ بالمعنى الذى رسمناه ــ حكم شرعى أصلى ، قرر له الشارع مبادىء سلبية ، وإيجابية ، وأخلاقية : من شأنها أن تيسر تحققه ، وأن تحول دون تركز المال فى أيد قليلة .

القسم الأول ــ المبادىء السلبية :

٥ ــ ونعنى بها تحريم الاسلام كل كسب غير مشروع ، من ذلك ــ على سبيل المثال ــ :

ا) **الربا** . . وقد حرمته الأديان السماوية كلها ، لما فيه من استغلال كدح الآخرين ، دون تعرض لتعب أو مخاطرة . وكذب اليهود بزعمهم حله لهم ، ونطق القرآن بتحريمه عليهم .

ويؤخذ من نصوص الشرع فى الربا أنه محرم عموما ، والتحريم يشمل القليل والكثير ، والاستهلاك والانتاج ، وقد أكد النبى ــ صلى الله عليه وسلم ــ إلغاءه فى حجة الوداع ، التى لخص فيها خصال الدين ، وخص بالذكر ربا عمه العباس ، وكان يمول التجار والمستوردين .

ب) **الاحتكار :**

وهو حبس ما يحتاجه المسلمون من السلع الضرورية ، ابتغاء غلاء الأسعار ، بوقوع الأزمات . ولا شك أن هذا مطلب سيىء ، بل هو أنانية مسرفة ، ينطبق عليها المثل العربى القديم : « نعمَ كلب فى بؤس أهله » . وقد ورد فى الترهيب منه حديث : « من احتكر حكرة ، يريد أن يغلى بها على المسلمين ، فهو خاطىء ، وقد برئت منه ذمة الله ورسوله » .

ج) **الغش :**

وقد حرمه الشرع لانطوائه على الخيانة ، وإلحاق المكروه بالآخرين . وفى الحديث : « من غشنا فليس منا . والمكر والخداع فى النار » .

٦ ــ وحرم الاسلام كل ما فيه أخذ مال الآخرين بغير حق : كالسرقة ، والغصب ، والقمار ، والرشوة ، وأكل أجرة العامل ، وقرن ذلك بقتل النفس ،

فقال تعالى : « **يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل إلا أن تكون تجارة عن تراض منكم ولا تقتلوا أنفسكم** » . وفي الحديث : « لا يحل لمسلم أن يأخذ عصا من أخيه إلا بطيب نفس منه » .

القسم الثاني ــ المبادىء الايجابية :

٧ ــ ونعني بها توزيع المال بين المسلمين بما يكفل تفتيت الثروة ، ويمنع تكتلها في جانب أو جوانب محدودة . فمن ذلك :

٨ ــ أ) **التقريب بين الطبقات** ، باستغلال بعض المناسبات ، لايجاد نوع من التوازن بين الناس . كما فعل رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ في أموال بني النضير التي صالحهم عليها ، فقد وزعها على المهاجرين على التخصيص من دون الانصار ، لأنهم افتقروا بسبب الهجرة ، والخروج من ديارهم وأموالهم ، ولم يشرك معهم سوى ثلاثة من الأنصار ، كانوا فقراء .

وكما امتنع عمر ــ رضي الله عنه ــ من تقسيم أراضي العراق بين الفاتحين ، الذي اقتضته النصوص ، واكتفى بأخذ خراجها للدولة ، ووجد مستنده في قوله تعالى : « **كيلا يكون دولة بين الأغنياء منكم** » .

ب) الميراث :

٩ ــ فبينما حظرته بعض المذاهب المادية باطلاق ، وحصرته بعضها في أفراد محدودين ، عمد الاسلام الى التوسط ، فوزع التركة على الأقارب الأقربين والأرحام ، بحيث تتحول الملكية الضخمة في التركة ، الى ملكيات صغيرة متعددة .

وهذا أمثل طريق لتقليل الفروق الاجتماعية . ولذلك جعله الاسلام من النظام العام الذي لا يخالف عنه ، وحرم كل تصرف يناقضه ، كالوصية للوارث ، وحرمان الوارثين .

فأين من هذا النظام الحكيم ، نظم الغرب الحديثة ، التي ينقل بعضها ثروة المتوفى ، كلها أو معظمها الى البكر من أولاده ، ويدع كثير منها المالك حرا في أن يوصي بتركته لمن يشاء .. ؟ فتجمعت من جراء ذلك ثروات ضخمة في يد أفراد محدودين من الناس ، وأثار هذا حفيظة الفقراء ، وأورثهم الحقد على المجتمع ونظمه . فنشأت المذاهب المتطرفة الهدامة ، واضطرب نظام الحياة الاقتصادية أيما اضطراب ، وأدى هذا الى معظم الانقلابات ، والثورات العنيفة ، التي تعرضت لها أوروبا ــ وغيرها ــ في العصور الحديثة .

جـ) محاسبة العمال :

١٠ ــ ونشاط عمر ــ رضي الله عنه ــ وشدته في هذا الجانب معروفة :

أ) مر ببناء يبني من الحجارة لا الطين . فقال : لمن هذا .. ؟ فذكروا له عاملا ، فقال : أبت الدراهم إلا أن تخرج أعناقها . وشاطره ماله .

ب) وناقش أبا هريرة ــ رضي الله عنه ــ وقسا عليه ، ودارت بينهما محاورة قوية . ورد فيها قوله : استعملتك على البحرين ، وأنت بلا نعلين .. ولما تبينت له براءة ذمته ، أراد أن يعيده عاملا كما كان ، فاعتذر أبو هريرة .

جـ) حتى عمرو بن العاص ، الصحابي الجليل ، الفاتح الوالي ، يرسل اليه عمر محمد بن مسلمة ليحاسبه ، ويوجه معه هذه الكلمات : « فأطلعه وأطعه ، وأخرج اليه ما يطالبك به ، واعفه من الغلظة عليك » .

والأصل في هذه المحاسبات والمشاطرات ، حديث ابن اللتبية المعروف . وقد ورد فيه : « هلا جلس في بيت أبيه وأمه ، فينظر أيهدى اليه أم لا ؟ » .

القسم الثالث ــ المبادىء الأخلاقية :

١ ــ ومما يعين على تحقيق التكافل فى المجتمع الاسلامي ، هذه المبادىء التى تعد من مكارم الأخلاق ، كالكف عن الظلم ، والشح ، والترف والسرف ، والحث على التراحم والكرم ، والتعاون والتوادد ، واطعــام الجائع ، وحفظ الضائع ، وتقريب الفقراء ، واتخاذ الأيادي عندهم ، فهم أصحاب الدولة يوم القيامة .

وقد بلغ من حدب الاسلام عليهم ، أن دعا رسول الله ــ صلى الله عليه وسلم ــ أن يحيا ويموت ويحشر مع المساكين . ولما سألته فى ذلك عائشة ، قال : « إنهم يدخلون الجنة قبل أغنيائهم بأربعين خريفا . يا عائشة : لا تردى مسكينا ولو بشق تمرة . يا عائشة : أحبى المساكين وقربيهم ، فان الله يقربك يوم القيامة » .

ثانيا ــ جهات المسئولية :

وبعد أن فرغنا من تبيان هذه المبادىء الأولية ، التي هى بمثابة مقدمة للتكافل الاجتماعى ، نتناول الأسس والجهات التي أقام عليها الاسلام نظريته فى التكافل :

الجهة الاولى ــ مسئولية الفرد :

١٢ ــ وتتمثل هذه المسئولية في العمل . وهو ركن البقاء والحيــاة ، سواء أكان زراعة أم صناعة أم حرفة أم وظيفة . وهو بهجة الدنيــا ، مهما استنزف من جهد . واللقمة الممزوجة بعرق الجبين وكد اليمين ، أهنأ من التى تأتى احسانا ، أو على موائد الآخرين : « ما أكل أحد طعاما قط ، خيرا من أن يأكل من عمل يده . وإن نبى الله داود كان يأكل من عمل يده » .

ان العامل يكفى نفسه ، ويغنى ذويه ، ويسعــد المجتمع الذى يعيش فيه .

وان التقدم الحضرى ، والنشوء والارتقاء فى الحياة ، رهين بالعمل . ولولا أن يعمل الانسان لبقى عائشا فى المغارات والكهوف ، ولما تطــور على مر العصور ، ولما وجدنا بيتا نسكنه ، أو ثوبا نلبسه ، أو كتابا نقرؤه ، ولمــا اتصل الانسان بأخيه الانسان ، ولا قامت مدنية ، ولا ازدهرت حضارة .

الحياة هى العمل ، والعمل هو الحياة . وليست الحياة من الكسل فى شىء ، لأنه العجز والموت .

١٣ ــ وقد فجر الله تعالى ينابيع الرزق عندما ذرأ الحياة على الأرض ، وسخر ما عليها وما فى جوفها لخدمة الانسان . لكن اقتضت حكمته أن لا تجود الأرض بخيراتها من دون جهد ، فأمر الانســان بالعمل ، وجعله ضربا من العبادة ، وربما جعل من العبادة قوة على التدبير والمعاش ، فقال تعــالى : « **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الارض وابتغوا من فضل الله** » . وقال : « **واستعينوا بالصبر والصلاة** » . وأثنى على الجائبين من رواد الرزق ، كما أثنى على المجاهدين بأنفسهم ، وقال : « **وآخرون يضربون فى الأرض يبتغون من فضل الله ، وآخرون يقاتلون فى سبيل الله** » .

وامتن على عباده إذ مكنهم من عمارة الأرض ، والتزود منها بالخير الذى تصلح به حياتهم ، فقال : « **ولقد مكناكم فى الأرض ، وجعلنا لكم فيها معايش** » وأشار الى الصلة بين الانسان والعمل والفكر ، ليتقن الانسان عمله ، ويتعرف على عظمــة الله وتوحيده من خلال ما ينتجه : « **والله جعل لكم مما خلق**

ظلالا ، وجعل لكم من الجبال أكنانا ، وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ، وسرابيل تقيكم بأسكم ، كذلك يتم نعمته عليكم ، لعلكم تسلمون » .

١٤ — وقد عقل الأنبياء والعلماء — ورثتهم — والسلف الصالح من هذه الأمة ، شرف العمل : فباشر آدم الزراعة ، وعمل نوح فى النجارة ، وتمرس داود بصناعة الحديد ، وامتهن عيسى الطب ، ورعى موسى الغنم ، كما رعاها نبينا — عليه وعليهم الصلاة والسلام — وأكد أن رعى الغنم قسمة بين الأنبياء جميعا ، وقال : « ما بعث الله نبيا إلا ورعى الغنم » .

١٥ — وأشادت نصوص السنة بفضل العمل ، ونوهت بمنزلته :

أ) فمنها ما قطع للعاملين الكادحين بالمغفرة : « من أمسى كالا من عمل يده أمسى مغفورا له » .

ب) ومنها ما فضل عمل اليد بخاصة : « أفضل الكسب عمل مبرور ، وعمل الرجل بيده » .

جـ) ومنها ما سما به الى درجات العبادة ، واعتبره من الجهاد اذا صلحت النية : « فعن كعب بن عجرة ، قال :

مر على النبى — صلى الله عليه وسلم — رجل ، فرأى أصحاب رسول الله — صلى الله عليه وسلم — من جلده ونشاطه ، فقالوا : يا رسول الله : لو كان هذا فى سبيل الله ؟ فقال :

« ان كان خرج ليسعى على ولده الصغار ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على أبوين شيخين كبيرين ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى على نفسه يعفها ، فهو فى سبيل الله ،
وان كان خرج ليسعى رياء ومفاخرة ، فهو فى سبيل الشيطان » .

د) ومنها ما سما بالعمل الى ما وراء الجهاد . فعن أنس مرفوعا : « ليس الجهاد أن يضرب الرجل بسيفه فى سبيل الله ، انما الجهاد من عال والديه ، وعال ولده ، ومن عال نفسه فكفها عن الناس ، فهو فى جهاد » .

١٦ — العمل لا ينافى التوكل :

ولهذا يرى أهل العلم أن العمل لا ينافى التوكل على الله ، بشرط أن يكون الاعتماد فى الرزق على الله ، لا على العمل نفسه ، لأن الله تكفل بكفاية مخلوقاته ، حين قال : « **وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها** » . لكن الانسان مأمور باتخاذ السبل للكسب المشروع ، معتقدا أن الرزق من لدن رب العالمين ، وأن الرزق ليس من حتميات العمل . وهذا ما أشارت اليه الجملة الحالية فى قوله سبحانه : « **وآخرون يضربون فى الارض يبتغون من فضل الله** » .

واذا تخلف الرزق عن الكسب ، كان لانعدام التوكل ، كما روى من حديث عمر : « لو أنكم توكلون على الله حق توكله ، لرزقكم كما ترزق الطير ، تغدو خماصا ، وتروح بطانا » .

قال الرواة : خرج شقيق البلخى ، يريد التجارة ، وودعه صديقه ابراهيم بن أدهم . ولم تمض أيام حتى عاد شقيق ، ورآه ابراهيم فى المسجد ، فقال له : ما الذى عجل بعودتك ؟ قال : رأيت فى بعض الفلوات طائرا مكسور الجناحين ، أتاه طائر صحيح الجناح ، فى منقاره جرادة ، فوضعها فى منقار الطائر المهيض الجناح . فقلت لنفسى : يا نفسى : الذى قيض لهذا

الطائر الكسير الجناح ، هذا الطائر السليم الصحيح فى هذه الفلاة من الارض ، قادر على أن يرزقنى حيث كنت . فتركت التسبب ، واشتغلت بالعبادة .

فقال له ابراهيم : ولم لا تكون أنت الطائر الصحيح الذى أطعم الطائر المكسور ، حتى تكون أفضل منه .. ؟ أما سمعت عن النبى — صلى الله عليه وسلم — أن اليد العليا خير من اليد السفلى .. ؟ ومن علامة المؤمن أن يطلب أعلى الدرجتين فى أموره كلها ، حتى يبلغ منازل الأبرار .. ؟

فأخذ شقيق يد ابراهيم فقبلها وقال : أنت أستاذنا يا أبا إسحق ، وعاد الى تجارته .

الاسلام يأمر بإتقان العمل ..

١٧ — ويأمر الاسلام العاملين باتقان العمل ، بحيث لا يكون فيه عيب أو خلل ، وفى الحديث : (ان الله يحب من العامل اذا عمل أن يحسن » . بل يعاقب المولى تعالى من قصر فى عمله بعذاب بئيس ، مستصعب الشفاء ، فورد : « اذا قصر العبد فى العمل ، ابتلاه الله بالهم » .

الاسلام يأمر بالاحسان الى العامل :

١٨ — اذا أدى العامل عمله ، استحق أجره المشروط له فى العقد ، بالغا ما بلغ . ويلاحظ ما يأتى :

ا) ان العامل يستحق الأجر بمجرد الانتهاء من العمل ، ما لم ينص فى العقد على خلافه ، ويعلل لذلك الفقهاء : بأن العامل سلم المعقود عليه ، فاستحق بدله ، كالبائع اذا سلم المبيع المعقود عليه ، استحق الثمن ، وهو البدل . بل لقد ورد مرفوعا : « أعطوا الأجير أجره قبل أن يجف عرقه » .

ب) لا حد لأجر العامل ، الا ما جرى به العقد . ولا يتدخل الشارع بالتحديد الا لرفع الضرر عن العامل ، اذا تحكم صاحب العمل فى أجره ، فيتدخل الشارع لانصاف العامل ، وذلك بفرض أجر المثل . ويعتبر ذلك ابن القيم — رحمه الله — من قبيل تدخل الحاكم عند احتكار الأقوات ، وتدخله هنا لاحتكار الصناعات .

ويشبه رفع الضرر هنا عن العامل فى الاجارة ، رفع الضرر عن البادى فى البيع ، اذ لا ضرر ولا ضرار فى الاسلام .

جـ) لا يجوز ارهاق العامل ، وينبغى أن ينال قسطا من الراحة ، كغيره من المجاهدين . والله — تعالى — لم يكلف عباده الا وسعهم . ونهى الاسلام عن تكليف الرقيق المملوك ما لا يطيق ، فكيف بالعامل المالك .. ؟ « ولا تكلفوهم ما لا يطيقون ، فاذا كلفتموهم فأعينوهم » .

د) يتصرف العامل فى أجره كما يشاء ، انفاقا ، واستهلاكا ، وتمليكا ، وتملكا ، ولو لوسائل الانتاج ، كالأرض والآلة والمصنع ، والاسلام لا يعرف قاعدة : « من كل بحسب طاقته ، الى كل بحسب حاجته » .

توفير العمل للعاطلين ..

١٩ — فى نظام الاسلام ، تتعاون الدولة والأمة ، لايجاد العمل لذوى البطالة ، مهما كان نوع العمل ، مما يكفيه ، ولا يشقيه ، ويحميه من التكفف والمسألة .

وقد ورد : « لأن يأخذ أحدكم حبله ، ثم يغدو الى الجبل فيحتطب ، فيبيع فيأكل ويتصدق ، خير له من أن يسأل الناس » .

كما روى « عن أنس ، أن رجلا من الأنصار أتى النبي — صلى الله عليه وسلم — يسأله ، فقال :أما في بيتك شيء ؟ قال : بلى ، حلس (أي كساء) نلبس بعضه ، ونبسط بعضه ، وقعب (أي إناء) نشرب فيه الماء . قال : ائتني بهما . فأتاه بهما ، فأخذهما ، فقال : من يشتري هذين ؟ قال رجل : أنا آخذهما بدرهم . قال : من يزيد على درهم ؟ — مرتين أو ثلاثا — قال رجل : أنا آخذهما بدرهمين .

فأعطاهما اياه ، واخذ الدرهمين ، وأعطاهما الأنصاري ، وقال : اشتر بأحدهما طعاما ، وانبذه الى أهلك ، واشتر بالآخر قدوما فائتني به . فشد فيه رسول الله — صلى الله عليه وسلم — عودا بيده ، ثم قال : اذهب فاحتطب وبع ، ولا أرينك خمسة عشر يوما .

فذهب الرجل يحتطب ويبيع ، فجاء وقد أصاب عشرة دراهم . فاشترى ببعضها ثوبا ، وببعضها طعاما . فقال له رسول الله — صلى الله عليه وسلم —: « هذا خير لك من أن تجيء والمسألة نكتة في وجهك يوم القيامة . ان المسألة لا تصلح الا لثلاثة : لذي فقر مدقع ، أو لذي غرم مقطع ، أو لذي دم موجع » .

٢٠ — وفي هذا الأثر دروس وعبر : فلم يشأ النبي — عليه الصلاة والسلام — له المسألة ، وكون له رأس مال من يسير ما يملكه (الكوب والكساء) ، ووجهه الى حرفة تناسبه ، وحدد له مدة للعمل ، ووازن له بعدها بين الحرفة والتكفف ، وقرر له أن المبدأ في الاسلام هو النهي عن المسألة ، وانها لا تحل الا لمن أرهقه الفقر ، أو أثقله الدين ، أو فدحته الدية .

وقد سبق هذا الهدى النبوي : في مكافحة البطالة ، واتاحة فرصة العمل للعاطلين — في يسر وأصالة وتوفيق — القائمين على شئون العمال في أيامنا ، بقرون طويلة ، وأغنى بمبادئه عن تقنيناتهم ، وفلسفاتهم المادية .

كراهية الاسلام التكفف ..

٢١ — وأخذا من الحديث السابق وغيره قرر أهل العلم : أن من كان قادرا على العمل ، وهو يجده ، حرم عليه السؤال . فان كان غير قادر ، أو لم يجد العمل اللائق ، واحتاج الى النفقة ، جاز له السؤال ، بشرطين :

١ — أن لا يذل نفسه .

٢ — أن لا يؤذي المسئول .

فان فقد شرط منهما حرم السؤال اتفاقا .

نعم ، اذا ثبت العجز المطلق عن العمل ، لطفولة أو شيخوخة أو أنوثة أو آفة ، فان الشريعة تلزم أقارب العاجز بالنفقة عليه ، ويقضى له بها عند الامتناع ، كما سنرى الآن .

الجهة الثانية — مسئولية ذوي القربى :

٢٢ — وهذه أولى الجهات التي يتمثل فيها التكافل الاجتماعي .

وما تزال الأسرة في الشرق ، الذي هو مهبط النبوات موئل الحنان الرحيب ، والعطف الدافيء ، والتناصر المؤزر . ومهما اهتزت في الأسرة هذه المعاني ، في عصور الصناعة ، وطغيان المادة ، فما يزال فيها بلغة من كفاف ، وسداد من عوز ، بفضل تعاليم الدين الحنيف .

وفي الفقه الاسلامى — فضلا عن الكتاب والسنة — نسقت أحكام الفقراء من ذوى القربى ، فى تدرج دقيق ، لا يدع محتاجا فى الأسرة إلا كفاه وأغناه .

ومن أهم ما ورد فى القرآن الكريم فى رعاية حق القريب قوله تعالى : ((**واعبدوا الله ، ولا تشركوا به شيئا ، وبالوالدين إحسانا ، وبذى القربى**)) . رفع الاحسان الى القريب الى منزلة الاحسان الى الوالدين ، وقرر وجوبهما بعد عبادة الله . وهذا وضع فريد ، لا يعرف عند غير المسلمين .

بل سمى القرآن الكريم الاحسان الى القريب حقا ، وجعله مختصا به باضافته اليه ، فيترتب عليه ما يترتب على سائر الحقوق ، من الالتزام والتنفيذ . قال تعالى : ((**فآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ، ذلك خير للذين يريدون وجه الله ، وأولئك هم المفلحون**)) .

وكذلك ورد فى السنة : «أمك وأباك ، وأختك وأخاك .. حق واجب ، ورحم موصولة » .

وعلق ابن القيم — رحمه الله — على هذا الحديث بقوله :

« فأى قطيعة أعظم من أن يراه يتلظى جوعا وعطشا ، ويتأذى غاية التأذى بالحر والبرد ، ولا يطعمه لقمة ، ولا يسقيه جرعة ، ولا يكسوه ما يستر عورته ، ويقيه الحر والبرد ، فان لم تكن هذه قطيعة ، فانا لا ندرى ما هى القطيعة المحرمة ، والصلة التى أمر الله بها » .

التكييف الفقهى لنفقة القريب ..

٢٣ — لما أن القريب يرث قريبه اذا مات ، فان من العدالة أن يحكم لهذا القريب على قريبه بالنفقة ، اذا احتاج أو اضطر . والغرم بالغنم ، وكل حق فى الاسلام يقابله واجب . وهذا من العدالة الظاهرة البارزة فى التشريع الاسلامى العظيم .

مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ..

٢٤ — تعددت مذاهب الفقهاء فى نفقة الأقارب ومشمولاتها ، بالنظر الى سببها :

أ) فذهب مالك الى وجوب النفقة بين الأبوين وأولادهما فقط ، من دون الاجداد . وذلك اعتبارا للولادة المباشرة . فتجب نفقة الوالدين الفقيرين أو العاجزين على الولد القادر ، كما تجب نفقة الاولاد الفقراء والعاجزين على الآباء المباشرين .

وقد نص المالكية على انه : لا يجب أن ينفق الجد على ابن ابنه ، ولا ابن الابن على الجد .

فانحصرت النفقة عند المالكية فى حدود الولادة المباشرة .

ب) وتوسع الشافعى ، فأوجب النفقة ، بسبب الولادة ، مهما طال خط القرابة ، وامتد عمود النسب ، علا أو دنا .

جـ) بينما ذهب الحنفية الى وجوب النفقة بسبب قرابة المحرمية ، التى تحرم الزواج ، فتجب عندهم علاوة على ما تقدم للاعمام والعمات والأخوال والخالات على أقاربهم ، ولا تجب لأبناء هؤلاء على أقاربهم . وهذا الرأى أوسع من الرأيين السابقين .

د) وذهب الحنبلية — متوسعين — الى وجوب النفقة بسببين :

الأول : بسبب القرابة في عمود النسب ، مهما بعدت ، بشرط اتحاد الدين .

والآخر : بسبب القرابة في غير عمود النسب ، بشرط الإرث .

٢٥ — ويتضح من هذا العرض الموجز أن مذهب الحنبليين في هذه الجزئية ، هو أوسع المذاهب الفقهية الاربعة . ولذلك اقترحت حلقة الدراسات الاجتماعية العربية الثالثة ، التي انعقدت في دمشق سنة ١٩٥٢ م . العمل به ، فيما عدا نفقة الاصول ، فانها اقترحت العمل بمذهب الحنفية ، لإيجابه النفقة فيما بينهم ، مع اختلاف الدين .

٢٦ — وربما وجد في غير المذاهب الاربعة ، من ذهب الى أبعد مما ذهب اليه الحنبليون ، فقد نقل الإمام الكاساني — الملقب بملك العلماء — عن ابن أبي ليلى ، إيجاب النفقة لذوي الأرحام من غير المحارم ، على أقاربهم ، ووجد دليله في قوله تعالى : ((**وعلى الوارث مثل ذلك**)) من غير تفصيل بين المحارم وغيرهم .

وقد نص الحنفية وغيرهم ، على أن الفقير العاجز اذا لم يكن له قريب غني ، كانت نفقته واجبة في بيت مال المسلمين ، في جميع موارده . ولما حكمت بعض المحاكم الشرعية بذلك ، في بعض البلاد العربية المسلمة ، نقض حكمها ولي الأمر ، ولفت نظرها الى رفض كل قضية من هذا النوع .. !

مشمولات نفقة الأقارب ..

٢٧ — وتشمل نفقة الأقارب : الغذاء ، والكساء ، والسكن وملحقاته ، والعلم الضروري ، وكل ما تنسد به حاجته ، كالتطبيب في أيامنا ، لأنه أصون للحياة من شئون الغذاء والكساء .

والحق الحنبلية بها الخادم إن احتاج اليه المنفق عليه ، لأنه من الكفاية . بل نصوا كالحنفيين : على وجوب اعفاف من تلزمه نفقته ممن هو في عمودي النسب . بل قال القاضي : ((وكذلك يجيء في كل من لزمته نفقته ، من أخ وعم ، وغيرهما ، لأن أحمد نص في العبد ، يلزم أن يزوجه اذا طلب ذلك ، وإلا بيع عليه)) .

ثم نصوا على أن ((كل من لزمه اعفاف رجل ، لزمته نفقة امرأته ، لأنه لا يتمكن من الاعفاف الا بذلك)) .

وهذا التشريع الفقهي القضائي من فرائد التشريع الاسلامي ، الذي غمطه حقه ذووه وجاهلوه ، وراحوا يبحثون عن حلول مشاكلهم عند أهل الشرق والغرب ، مع أن هؤلاء بحاجة الى مثل هذه الحلول العملية المعقولة المقبولة ، التي لا يعرفونها في أنظمتهم .

٢٨ — ومن طريف ما ذكره المرحوم ، الاستاذ الدكتور محمد يوسف موسى ، قوله ، في حديثه عن الأسرة وعناية الاسلام بها :

((انى حين اقامتي بفرنسا ، كانت تخدم الأسرة التي نزلت في بيتها فترة من الزمن ، فتاة يظهر عليها مخايل كرم الأصل . فسألت ربة البيت : لماذا تخدم هذه الفتاة ؟ أليس لها قريب يجنبها هذا العمل ، ويوفر لها ما تقيم به حياتها .. ؟

فكان جوابها أنها من أسرة طيبة في البلدة ، ولها عم غني موفور الغنى ، ولكنه لا يعنى بها ، ولا يهتم بأمرها . فسألت : لماذا لا ترفع الأمر الى القضاء ليحكم لها عليه بالنفقة .. ؟ فدهشت السيدة من هذا القول ، وعرفتني أن

ذلك لا يجوز لها قانونا .

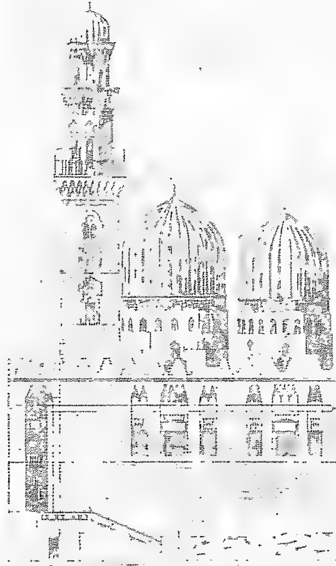
وحينئذ أفهمتها حكم الاســـلام فى هذه الناحية ، فقالت : ومن لنا بمثل هذا التشريع .. ؟ لو أن هذا جائز قانونا ، لما وجدت فتاة أو سيدة تخرج من بيتها للعمل ، فى شركة أو مصنع أو معمل ، أو ديوان من دواوين الحكومة » .

٢٩ ــ وبعد هذا العرض الموجز ، نســـــتطيع أن نقول مطمئنين : ان الاسلام فى تقرير نظام النفقات على الأقارب ، الأصول والفروع ، والمحــارم وغير المحــارم من الارحام ، قد ثبت الركن الأســـاسى الأول فى التـــكافل الاجتماعى ، وسبق بذلك التقنينات الوضعية ، ان لم يكن قد انفرد عنها به .

وهو ــ مع ذلك ــ قد أخضعه للقضاء ، ولم يجعله من قبيل التوصيات والاحســـــان الفردى الموكول الى رغبة القريب ، والموقوف على مبلغ تأثره بالأوامر الدينية . وان إناطته بالقضـــاء تعنى اخضـــاعه للعقـــوبة ، والتعزير بالحبس ، والتغريم عند الامتناع .

ولا نعرف نظيرا لهذه التشريعات الدقيقة ، لهذه المسألة الخطيرة ، عند غير المسلمين . وقد طبقت لحسن الحظ منذ فجر الاسلام ، وما تزال مطبقة ــ بحمد الله ــ حتى يومنا هذا فى معظم المحـــاكم الشرعية فى البـــلاد الاسلامية .

للبحث بقيـــة



قصة من الأدب الديني

لمن تدق الأجراس

بقلم : محمد لبيب البوهي

امر ابليس أعوانه بالاستعداد للحفل الدورى الذى يقام فى العالم السفلى ، وفى هذا الحفل يمنح الشيطان الأكبر جائزة التفوق والتقدير لاكثر أعضاء الأسرة الابليسية فسادا وافسادا فى الارض ، وقد حرض أتباعه على تنفيذ أوامره بغير تأخير ولا تأويل ، فهم يدعون من شتى بقاع الكوكب الأرضى كل شيطان مريد ليشارك فى هذا الحفل الأسود ، وليستمع الى الفضائح السوداء ، التى تزداد قيمتها سوادا يوما بعد يوم .

ولما تكامل الحفل افتتحه ابليس بصيحة مدوية وقال : لقد أصبحتم فى هذه الأيام تعانون من الراحة التى تنزل عليكم بغير حساب ، ان افسادكم لبنى البشر لم يعد يكلفكم جهدا كبيرا ، فان فريقا كبيرا منهم يتولون عنكم هذه المهمة ، ولذلك فانكم لن تسألوا اليوم أمامى عن نوعية أعمالكم ، وانما ستسألون عن الكم فيها ، وما كان منكم من ابداع جديد ، أو اختراع ،

انكم لن تسألوا عن حجم الفساد ، ولا عن عدد الجرائم ، فكل ذلك أصبح تلقائيا ، وهم — أعنى الناس — يؤدونه بطريقة منتظمة كما تدور عجلات الآلات .. ويزدادون منها كلما طلعت شمس أو غاب نهار ، من أجل هذا سوف أوجه اهتمامى الى الحيل التى تضاعف من حجم الخيبة على هذا الكوكب البئيس ..

يا أبناء الجحيم هل تسمعوننى .. ؟ وهل تفقهون قولى ؟ .. اريد افكارا جديدة — والآن اطفئوا الأنوار فاننى اريد أن أسمع وأرى .. لقد درست الأمر من قبل ، وقامت بفحص أعمالكم طوال العام لجنة من اكبر أساطين الاثم والشر والعار .. وقد وقع الاختيار على من سوف تستمعون اليه .. والآن تقدم يا أعز الأبناء ، وأذكر للخالدين فى سقر ، كيف استطعت أن تضع الغامة الجديدة السوداء على عيون بنى الانسان .

... ...

تقدم التلميذ الأول وهو وسيم على احسن ما تكون صور الوسامة ، ذلك أن الشياطين لم يعودوا يظهرون فى الفترات الأخيرة بقرونهم الملتوية ، وعيونهم التى ينبعث منها الشرر .. لقد اخذوا عن الناس صورهم ... الصور ولا شىء غير الصور فمن الناس من يعجبك مظهره فى الحياة الدنيا وفى قلبه تفور براكين الأحقاد .

وانحنى الشيطان الحائز لجائزة التفوق أمام أخوانه كما ينحنى بنو الانس فى حفلات الكوكتيل قال :

اننى اتبع فى عملى فنا جديدا ، ان من فنون الصيد مثلا أن تعرف كيف تجعل السمكة تسرع الى الطعم المسموم لتبتلعه مأخوذة فى البداية بمّا يثيره فى نفسها من شهية بعناصر الاغراء البادية فيه ، أما ما يحدث بعد ذلك فأنتم تعلمونه .

قال ابليس الكبير : ولكننا قد بعثنا بك الى قوم يصلون ويصومون .. ومكثت فيهم طوال العام .. ولقد ظن كثير من أخوانك أن مهمتك ستكون صعبة ..

قال التلميذ النجيب ضاحكا فى تلطف : ان أخوانى هؤلاء من السذاجة بمكان عظيم ..

قال أحدهم غاضبا : لا نسمح لك أن ترمينا بالسذاجة .. ان نيلك للجائزة لا يمنحك علينا نوعا من الاستعلاء ..

فانحنى مرة اخرى حتى كاد جبينه أن يمس الأرض ثم قال :

انما أعنى بالسذاجة .. انكم كنتم تظنون الصعوبة فى مهمتى حين علمتم اننى بعثت الى قوم يصلون ويصومون ..

قال الشيطان الغاضب : وهل استطعت أن تصرفهم عن ذلك ؟ .

قال الذى أوتى حظا كبيرا من ذكاء أبيه : أيها الزملاء من أبناء الجحيم .. اننى لم أصرفهم عن صلاتهم ، ولا عن صومهم ، لقد تركتهم يفعلون .. تركتهم يأخذونها بظاهرها لا ينفذون من سطحها الى اللباب والهدف والجوهر ، انهم فقط يقومون ويقعدون .. وتتمتم ألسنتهم بما لا تحاول أن تفقهه قلوبهم ، ثم يجوعون فى صومهم ويعطشون ، ولا يصعد من ذلك الا أقل القليل ، وأما أكثر الكثير فالى مدارج الضياع ، اننى لم أصرفهم عن صومهم ولا عن صلاتهم لأنهم بأسلوبهم هذا لم يكونوا يحصلون منها على شىء .. ان النتائج دائما تدور حول الصفر ..

ونظر بعض الشياطين الى بعض ورأحوا يتهامسون : ان أخانا الذى نال جائزة التقدير لم يبذل شيئا من مجهود .. وقال بعضهم لبعض : كيف يمنحه ابليس الأكبر وسام التقدير ؟ أيكون زعيمنا قد هرم وشاخ وهرمت معه أفكاره وشاخت عنده المقاييس .. ! ؟ فهو يخبط خبط عشواء ويعطى الجائزة لمن لا يستحق كما يفعل أكثر بنى البشر حين يجعلون للوساطة أو المجاملة المحل الأول من موازينهم .. ؟ ترى أيكون هذا الابليس الصغير الجديد مرشحا للزواج من أحدى قريبات العاهل الهرم .. ! ؟

قال صاحب الجائزة : يا أبناء الدخان .. أعيرونى اسماعكم واصغوا الى بوعى حصيف :

اننى لم أكن لاعبا ولا لاهيا .. لقد كان هدفى النفاذ الى قلوبهم فأزين لهم ظواهر الأشياء وأقف بينهم وبين الحق .. فى احدى المدن الكبيرة جسر فوق النيل وضعوا على مداخله تمثالين كبيرين يمثل كل منهما أسدا مجرد تمثال من حديد ممتلىء من الداخل بالهواء .. ان السذج من الاطفال يقفون عنده مأخوذين بروعته وهم يرون فى النظر اليه متعة أكثر من النظر الى الأسد الحى الهصور .. ان الأسد الحقيقى المنطلق فى آفاق الغابات هو الانسان المؤمن القوى الذى يستمد قوته من غذاء السماء .. أما الذين تخلو قلوبهم من النور ، فانهم يصبحون صورا مزيفة انهم يحملون أسماء تدل على الايمان الذى ليس لهم من حقيقته الا الصورة .. مثلهم كمثل الأسد المصور القائم على قاعدة تمثال .. انه مملوء بالهواء .. أعنى ليس هناك شىء فى الداخل أى القلب .. وحين تشتد الريح فانه لن يصمد أمامها .. انها قد تلقيه فوق الأرض ويتحطم .. وهكذا العبادة الظاهرة التى لا تتحول الى ارادة السلوك ، قال الشيطان الغاضب :

زدنا شرحا .. فانه لا يصح أن تؤخذ جوائز التقدير لقمة سائغة سهلة بغير حساب .

قال الذى عنده علم البشر : لا بأس .. سوف أزيدكم شرحا وايضاحا .. ان الناس قد خلقوا على هذه الارض ليعمروها بالأسلوب الذى أمرهم به ربهم وعلمهم اياه الرسل .. وكل عمل تصح فيه النية الممتزجة بالعلم تحت جناح العزم والارادة .. كل عمل لابن آدم تتوفر فيه هذه الأركان يكتب له فى سجلات اليمين .. أن هؤلاء الذين خلقوا من طين لازب قد فتحت أمامهم أبواب المعارج ، ومن حقهم أن يصعدوا الى صفوف الملائكة .. ان الطرق أمامهم ممهدة بالعلم والمثابرة وارادة الصعود .. اصغوا الىّ جيدا لا يمكن أن يتم عمل ناجح بغير علم وارادة .. اننى أحاول أن أبعدهم عما يدعوهم اليه نبيهم الأعظم حين يحثهم على طلب المزيد من العلم .. ومع أنه قد أوتى العلم كله ، فقد أمر أن يطلب لنفسه المزيد ، ليكون المثل الأعلى الدائم لهم — اننى أحاول أن أصدهم عن هذا .. أزين لهم السطح الظاهر من الأشياء حتى يخلدوا اليه فى راحة ونوم لذيذ ، كما يفعل مدخن الأفيون ..

قالت الشياطين الحاقدة فى صوت واحد : ولكنك ذكرت أنك تركتهم يصلون .. لقد كنا نتصور أنك ستجعلهم يتركونها ..

قال : مهلا أيها الرفاق .. لقد تحدثت لكم عن الصور والتماثيل .. ان انسان القرن العشرين قد اخترع شيئا أسماه (الروبوت) أى الانسان الآلى (الميكانيكى) ولقد صنعوا هذا الانسان على صورة البشر .. ووضعوا فيه من الآلات ما يجعله يتحرك أماما أو يرجع الى الخلف ، أو يصعد أو يهبط أو يطير ، كما استطاعوا أن يجعلوه يرفع يده حين يؤمر بذلك أو يغمض عينيه .. أو يضحك أو يبكى وان الذين صنعوا الصواريخ استطاعوا أن يغزوا بها الفضاء البعيد وأن يحركوا هذه الآلات من مسافة تبعد مئات الألوف أو الملايين من الأميال .. ان هؤلاء يستطيعون أن يجعلوا هذا (الروبوت) أو الانسان الآلى ، يستطيعون أن يضعوا فيه من الأجهزة ما تجعله ينهض خمس مرات فى اليوم ليؤدى ما يشبه الصلاة .. وفى وسع هذه الآلات أن تجعله يصوم عن الوقود شهرا كل عام ..

ان العلم يستطيع أن يفعل هذا وأن يصنع مئات الألوف أو الملايين من هذه الأجهزة الميكانيكية التى على صورة الانسان .. وان تؤدى هذه المخلوقات الصناعية بدورها ما يسميه بعض الناس صلاة لهم .. أفتظنون أنه يصبح من حق هذا (الروبوت) أى الانسان الآلى أن يطالب بدخوله الجنة .. ؟

تبسم الشيطان الغاضب وصفق بيديه وصاح : أحسنت .. لقد فهمت .. قال الذى رشح للجائزة ان أكثرهم هكذا يفعلون — صلاة بلا روح — لا تهدى الى بر .. ولا تنير طريقا ولا تنقى قلبا .. ولا تشد عزما .. ولا تصل رحما .. مجرد حركات قد يبالغون فيها وهم يظنونها شيئا ، وهى ليست بشىء ، إن (الروبوت) أو الانسان الميكانيكى له عذره ، لأنه لم يعد لهذه الغاية .. أما هؤلاء فحسبى فخرا اننى استطعت أن أجعل اكثرهم هكذا .. صورا ولا شىء غير الصور .. هكذا أصبح أكثرهم الا الذين يحسنون وقليل ما هم ..

... ...

وحدث هياج بين الجموع ... وامتلأ الجو بلغط كبير ، قضى عليه ابليس بأن نفخ من فيه عاصفة من نار دعت الجميع الى الانصات وقال :

ولكن هناك الوف والوف من المنابر تقال عليها الخطب .. وهناك الوان من الثقافة يحرصون عليها ، فتحدث الى أخوانك عنها ، ان حفل الجائزة يجب أن يثير فيهم مزيدا من المعرفة .

قال الذى سينال التقدير : إن اكثرهم يغرمون بكل ما يأتى من الغرب .. أن مثلهم كمثل العصفور الذى اراد أن يقلد الغراب .. ان الغرب الآن يمر بفترة انهيار حتمى .. ان الثقافة الغربية ثقافة مريضة .. وهم يعرفون هذا ، ولكن ليس لديهم من شىء آخر يعطونه .. ذلك أن فاقد الشىء لا يعطيه .. هناك ثقافة هابطة تمجد الفردية .. والشذوذ .. وترفع من شأن الانحراف وهذه هى البضاعة التى يصدرونها ... لأنها تجد سوقا رائجة .. لقد سمعتم أنهم يطلقون على بعض ثقافتهم اسم العبث .. أو اللامعقول .. وتدور فلسفتهم حول اللذة والتماسها من كل سبيل .. والتحلل من القيم والمثل وهؤلاء الآخرون الذين نبتت من أرضهم القيم والمثل فأداروا لها ظهورهم .. هؤلاء الذين هم أكثر شبها (بالروبوت) يفعلون تماما كما فعلت العصافير حين طاب لها أن تقلد الغربان ..

قال قائل من الشياطين : أدرك تماما أنك عملت جاهدا على تثبيت هذا المعنى .. انك لم تدفعهم من فوق المنحدر .. وانما زينت لهم حلاوة الهبوط الى الوادى المظلم ، الذى وضعت فيه بمهارتك اللذات المغناطيسية .. ولكن الذين ينادون بالثقافة الهابطة أعنى العبث واللامعقول هم قلة من المثقفين ..

قال الفائز بالجائزة .. نعم .. ان الأمر لم يصل بعد الى حد الخطر الكبير .. ولكن المكروب قائم فى

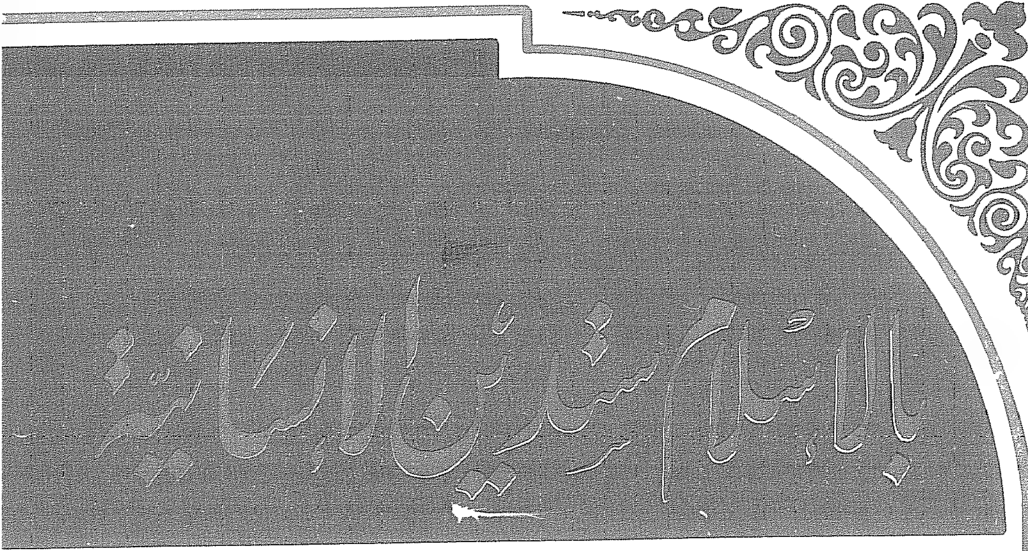
الجو .. والحالات الفردية من الكوليرا تسمح بالانتشار البعيد .. ان أخشى ما أخشاه أن ينهض آخرون من الأمناء على المثل فيدقون الأجراس .. وهنا تبرز مهمتكم أنتم .. أما أنا فقد استطعت أن أغرى عددا كبيرا بأن يكونوا غربيين ولو لم يضعوا على رءوسهم القبعات ... ليس شىء أشد ضلالا من المرء حين يفقد ذاته .. ان صفحات كثير من كتبهم وصحفهم تحتفى بما يسمى الوجودية .. والبرجمائية .. ان أصحاب هذه المبادىء المستوردة لا يطيب للواحد منهم أن يكون تلميذا لمحمد .. لكن يسعده أن يفتح قلبه لترهات البير كامى أو العجوز سيمون بوفوار أو نحو ذلك من الذين يرون أن الحياة لا معنى لها .. وأنه يجب انتهاز فرصتها لانتهاب اللذات .. اننى أيها الأخوة أباشر انفاق الملايين فى سبيل اقامة نواد لنشر هذه الفلسفات الهابطة .. ان كل كتاب منها خير من الف شيطان .. ان الترهات التى تملأ العقول لا تدع مجالا لأنوار الكتاب الحكيم .. انها مثل ثمار شجرة الزقوم ..

... ...

صفق عدد كبير من الحاضرين .. وهبوا واقفين يحيون البطل وهم يقولون : اننا نعترف لك بالبراعة .
قال صاحبهم : شكرا لكم .. غير أن هناك ما هو أكثر اسعادا لنفسى من نيل الجائزة .. ذلك أن أكثر من ثمانين فى المائة من أصحابى هؤلاء أميون .. لا يعرفون كيف يخطون على الورق خطا أو يقيمون من الارقام الاولية حسابا .. لقد كنت أخشى أن يدركوا أن معنى الثقافة الحقة هو فى الدرجة الاولى المحو لهذه الامية .. ذلك واجب الفئة المثقفة ولكننى شغلت هؤلاء بأنفسهم .. وباللامعقول .. وبالسينما العابثة .. وشغلت الآخرين بالعبادة على طريقة (الروبوت) الانسان الآلى ، انها عبادة ميتة لا روح فيها ولا أخشى منها شيئا لانها لا ترفع صاحبها الى جنة السماء .. ولا تنقذه من جحيم الارض ..

قال قائل من الشياطين : لقد علمنا ما يحدث ونحن نوشك أن نودع القرن العشرين .. حيث أصبحت مهمتنا سهلة مع بنى الانسان حتى يستطيع مثلك وهو يلهو لاعبا متنقلا بين الربوع أن ينال جائزة التقدير .

قال الشيطان الذكى الفائز : أيها الاخوة .. لم يعد الأمر سهلا كما تظنون .. لقد هب من بينهم من راح يدق النواقيس .. وهناك أضواء تتجمع فى الأفق من بين الغمام .. فخذوها منى نصيحة أخيرة .. عليكم أن تفتعلوا مزيدا من الضجيج حتى لا تقرع دقات الأجراس آذان الذين ما زالوا قائمين .



للاستاذ عبد الكريم الخطيب

١ ــ من الحقائق المسلمة التى تقع موقع البدهيات فى العقول ، هى أن الأديان تعانى فى هذا العصر ازمات حادة وانها تقف موقفا حرجا فى الحياة بعد أن غلبت المادية على منازع التفكير الانســـانى ، وبعد أن أصبحت المحسوسات هى أساس التعامل فى مجال الفكر ، كما هى أساس الأخــذ والعطاء فى مناحى النشاط الانسانى العصرى كله .

إن انسان العصر الحديث ، لا يقبل التعامل مع الغيبيات ، ولا يدخل إلى عقله شيئا لا تلمسه حواسه ، وتختبره ، وتطمئن إليه ، تماما كما لا يدخل إلى جيبه شيئا من المال إلا اذا نظر فيه بعينيه ، وتحرى سلامته ، واطمأن الى خلوه من الزيف .

فلا عجب ــ والأمر كذلك ــ أن تقف مقررات الأديان التى تتحدث عمـــا وراء المحسوس ، من إيمان بالله واليوم الآخر ، والبعث ، والحساب ، والجزاء والجنة والنار ــ لاعجب أن تقف هذه المقررات موقفا قلقا مضطربا ، فى مجال العقل المـــادى ، الذى يطلب لكل مقولة من تلك المقولات الدينية شـــاهدا شاخصا بين يديه ، يمسك به ، حتى يأذن المرء لعقله بالتعامل مع هذه المقولات وإلا أعرض عنها ، وصك أذنيه دونها . .

ان الدين الغالب اليوم ، وخاصة فى العالم الغربى ، هو دين المادة ، التى تغل ثمرا حاضرا معجلا . . ومن أجل هذا فقد زهد الناس فى الأديان التى لا تعامل الانسان على هذا الأساس ، ولا تضع فى يديه نقدا معجلا لكل حركة من حركات عقله ، أو جسده !!

٢ ــ والذى نريد أن نقوله هنا ، هو أنه ينبغى على الذين ينتصرون للدين والذين لا يزالون فى جماعة المتدينين أن يعرفوا هذه الحقيقة جيدا . وأن يواجهوا هذا الواقع ، مواجهة صريحة . .

كلها في هذا العصر!

بقلم محمد موسى

وان أول ما ينبغي أن يفعله أصحاب الدين في صراعهم مع الماديين والملحدين . أن ينظروا في دينهم . وأن يكشفوا عن معطياته للحياة الدنيا ، إلى جانب معطياته للحياة الآخرة — فان كان في الدين الذي يدينون به شيء ينفع الناس في دنياهم ، ويسد حاجات الجانب المادي منهم — كان لهم أن يقفوا من الماديين والملحدين موقف المنكرين عليهم عداوتهم للدين ، ومجا نبتهم له ، اذ كان الدين ملبيا حاجتهم المادية ، حفيظا عليهم أن يغرقوا في تيارها المتدافع ، أو أن يحترقوا في نارها المتضرمة .. أما إذا لم يكن في الدين ما يستجيب — في غير حرج أو ضيق — لحاجة الانسان المادية ، فليمض أصحاب هذا الدين بدينهم ، ليعيشوا فيه وحدهم ، وليتركوا الحياة تمضي في مسيرتها بالناس الى حيث يشاءون !!

٣ — وبعيدا عن الأديان ، والمذاهب ، والمعتقدات ، ننظر الى الانسان من حيث طبيعته وفطرته ، نجد أنه كائن جمع كيانه النور والظلام ، والهدى والضلال ، والخير والشر ، والروح والجسد ، والانسان والحيوان ، حيث التقت فيه نفخة الحق بتراب الارض .. فهو سماوي أرضي ، يعلو ، ويصفو حتى يطاول السماء ، ويصاف الملائكة ، ويتدلى حتى يكون في قطيع البهائم ، أو مسارب الديدان .. وهو في علوه وتدليه . هو هذا الكائن الذي التقى فيه النقيضان ، فاذا علا الى أقصى غاياته من العلو ، فانه لا يزال مشدودا الى الارض ، أشبه بالطائر المحلق في السماء ، وعينه ناظرة دائما الى الارض . واذا تدلى الانسان إلى أسفل سافلين ، فان فيه بقية من أشواق الى العالم العلوي الذي تكمن أسراره في أعماقه .. فأحسن الناس حالا . وأعلاهم منزلة من سمت روحه على جسده ، فكانت اليها قيادة الانسان، روحا وجسدا فأخذت الروح حقها ، ولم تحرم الجسد حظه .. وأسوأ الناس حالا ، وأضلهم

سبيلا من كان جسده غالبا على روحه ، مستوليا عليها ، حيث تنقلب حقيقته ، وتنتكس خلقته ، ويصبح قياده إلى الحيوان الكامن فيه . .

هذه حقيقة مسلمة من مسلمات العلم لا يمكن أن يماري فيها حتى أشد الماديين اغراقا في المادية ، وايمانا مطلقا بها . . وإن أيا من هؤلاء الماديين ، مهما تكن المادة قد غطت على الجانب الانساني منه ، وما في هذا الجانب من مشاعر العطف ، والرحمة ، والمودة ، والاخاء الانساني — فانه لا يعدم أبدا حالا من الاحوال ، تهتز فيها مشاعره ، ويخفق لها قلبه ، ويتوهج منها ضميره ، واذا هو خارج من عالمه المادي ، فيبكي كما يبكي الناس ، ويحب كما يحب الناس ، ويعطف ويرق كما يعطف الناس ويرقون . . ان ذلك هو بعض الدين الذي ينكره الماديون ، ويفرون منه وهو ساكن في أعماقهم !!

٤ — ولكن أي دين هذا الذي يقيم الانسان هذا المقام الكريم المكين في هذه الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ؟

لا شك أن الأديان السماوية ، المنزلة من عند الله الى عباد الله ، هي وحدها الكفيلة بشريعتها ، وأحكامها وآدابها — أن تضمن للانسان حياة طيبة في الدنيا ، وخلودا في جنات النعيم في الآخرة . . ذلك أن الذي شرع هذا الدين ، هو أحكم الحاكمين رب العالمين ، قدره بعلمه ، وأحكمه بحكمته ، مقدورا بقدر الانسان ، وما أودع فيه الخالق جل وعلا ، من غرائز وملكات فمن أخذ بدين الله ، أخذ بكل خير ، ومن استمسك به استمسك بالعروة الوثقى التي لا انفصام لها ، وهدي الى الحق ، والى صراط مستقيم . . ومن عدل عن دين الله ، واتبع هواه ، غوى وضل ، وكان من الهالكين .

٥ — والديانات السماوية التي يعيش فيها المتدينون الآن ، هي : اليهودية ، والمسيحية ، والاسلام . . ولو جرت الامور على طبيعتها لكان أهل هذه الديانات الثلاث على دين واحد ، هو دين الله ، الذي جاء به رسل الله ، والذي أخذ الله به الميثاق على أنبيائه ، أن يصدق بعضهم بعضا ، وأن ينصر بعضهم بعضا ، وفي هذا يقول الله تعالى في القرآن الكريم : « **وإذ أخذ الله ميثاق النبيين لما آتيتكم من كتاب وحكمة ، ثم جاءكم رسول مصدق لما معكم لتؤمنن به ولتنصرنه ، قال أقررتم وأخذتم على ذلكم إصري ، قالوا أقررنا ، قال فاشهدوا وأنا معكم من الشاهدين** » (٨١ : آل عمران) . . ويقول تبارك اسمه لنبيه الكريم : « **قل آمنا بالله وما أنزل علينا ، وما أنزل على ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، والنبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » (٨٤ : آل عمران) ويقول سبحانه لأتباع محمد — صلوات الله وسلامه عليه — : « **قولوا آمنا بالله ، وما أنزل الينا وما أنزل الى ابراهيم واسماعيل واسحق ويعقوب والأسباط ، وما أوتي موسى وعيسى ، وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون** » (١٣٦ : البقرة) .

هذا هو موقف المسلمين من رسالات السماء ، يؤمنون بها جميعها ، ويصدقون برسل الله الذين جاءوا بها ، اذ كانت دعوتهم قائمة على أصول عامة من الايمان بالله ، واليوم الآخر ، والحساب ، والجزاء ، والجنة والنار ، تلك الأصول التي هي الدعامات الأولى لدعوة كل نبي — أما الفروع الخاصة بتنظيم

اوضاع المجتمع ، فقد كان من الطبيعي أن تختلف صورها واشكالها حسب اختلاف الزمان والمكان ، والحال التي عليها كل مجتمع ، وذلـك مراعاة لسنة التطور في الحياة ، وانتقال الانسان من طور الى طور ، كانتقاله من البداوة الى سكنى المدن ، وما ينشأ في المدن من حضارة وعمران، وما يجد في الحياة من وجوه مختلفة في الزراعة ، والصناعة ، والتجارة ، وما يقتضيه ذلك من تشريعات واحكام ، وهذا ما يشير اليه قوله تعالى : « **لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ، ولو شاء الله لجعلكم أمة واحدة ، ولكن ليبلوكم فيما آتاكم** »(٤٨ : المـــائدة) .

ولو أن أهل اليهودية والنصرانية استقاموا على دين الله ، لكان الاسلام وجهتهم ، ولكانوا أول الداخلين فيه ، المؤيدين له ، لأنه دين الله المصدق لما معهم من كتاب الله ، ولكنهم أبوا الا عنادا وضلالا ، لا يرون الدين الحق الا دينهم وأنهم قد اختصوا به دون الناس جميعا ..

أما اليهود ، فقد زين لهم الغرور أن الله تعالى خلقهم خلقا متميزا عن ابناء آدم جميعا ، وأنهم الشعب المختار عند الله ، واليهم وحدهم تنزل كتب الله ، وفيهم وحدهم تبعث رسله ، وأن الناس جميعا انما خلقوا ليسخروا لهم كما تسخر الحيوانات للناس .. ولهذا فانهم قد احتفظوا بنســـبهم ، وعزلوا جنسهم عن بقية الأجناس الاخرى ، واحتفظوا بالدين الذى أنزله الله عليهم — احتفظوا به في محيطهم ، دون أن تكون لهم دعوة في الناس به ، لأنهم يرون الناس — دون بنى اسرائيل — غير أهل للاتصال بالله ، وتلقى رسالاته ، تماما كما نرى نحن ذلك الرأى في عالم الحيوان .. !!

ثم انهم لكى يرضوا هذا الغرور الذى استبد بهم ، عبثوا بالتوراة ، وغيروا كثيرا من نصوصها ، وحرفوا الكلم فيها عن مواضعه ، حتى يتطابق منطوق التوراة ومفهومها مع مدعياتهم الباطلة التى يدعونها من أنهم شعب الله المختار ، حتى لقد أصبح هذا الادعاء دينا ومعتقدا ، يدينون به ويعتقدونه .

فالتوراة التى في أيدى اليهود ، والتى في أيدى المسيحيين أيضا ، لانها كتاب الشريعة للنصارى ، كما أنها كتاب الشريعة لليهود ، اذ أن المسيح عليه السلام ، لم يأت بشريعة ، وإنما كانت شريعته ، وشريعة أتباعه هى شريعة موسى ، ولهذا يقول في الأناجيل التى في أيدى المســيحيين : « ما جئت لأنقض الناموس — أى شريعة موسى — وانما جئت لأكمل » .. فليس في الانجيل الذى بشر به المسيح أحكام تشريعية ، وانما كل ما فيه آداب وأخلاقيات هى تطبيق عملى لشريعة موسى ، وتفسير مشرق لمضمونها — نقــول : إن التوراة التى في أيدى اليهود والمسيحيين ليست على الصورة الكريمة التى جاء بها موسى من عند الله ، اذ قد اختلطت بأهواء اليهود ومفترياتهم ، التى طمست معالم الحق والخير فيها ..

وإذا كان الناس في عماية الجهل ، وتحت نشوة الحماس الدينى — قد قبلوا ما في التوراة من متناقضات لا يتقبلها عقل ، وسوغ لهم رجال الدين — بصورة أو بأخرى — أن يقرعوا في التوراة أن أنبياء الله يزنون في بناتهم ، ويخونون ابناءهم في زوجاتهم ، كما تقول التوراة المحرفة إن لوطا قد شرب

الخمر حتى سكر ثم زنا فى ابنتيه وحملتا منه ، وأن يعقوب زنا مع زوجة احد ابنائه — ثم لا ينكرون نسبة هذا الفسق الى أنبياء الله وحملة رسالاته الى الناس — نقول : اذا كان الناس قد دخل عليهم هذا الزور وهم فى عماية من الجهل ، فان العقول اليوم فى عصر العلم والتنوير لتصاب بصدمة مذهلة حين تقرأ فى كتاب سماوى مقدس مثل هذا الاستخفاف بالقيم الأخلاقية تكون من عامة الناس فضلا عن أنبياء الله ، وحملة مشاعل الهداية للناس .

وليس هذا كل ما فى التوراة من مفتريات على الله ، ينكرها العقلاء من الناس ، بل ان فى التوراة ما لا يحصى من أمثال هذه المقولات بحيث لا يكاد يخلو سفر من أسفارها من عشرات المتناقضات ، التى تخف بها موازين الحق، والعدل والاحسان ، حيث تستباح الدماء ، والأموال ، والأعراض ، وحيث تضيع معانى المثل الفاضلة : والأخلاق الكريمة ، اذا كان ذلك لحساب بنى اسرائيل ، الذين يرون الناس حمى مستباحا لهم ، دون تحرج أو تأثم : « **ذلك بانهم قالوا ليس علينا فى الأميين سبيل ، ويقولون على الله الكذب وهم يعلمون** » (٧٥ : آل عمران) .. والأميون هم الناس جميعا غير اليهود ، أهل الكتاب ، لأن الناس عند اليهود ، اما يهود ، أو أميون .. أما المسيحيون ، وهم أصحاب التوراة والانجيل ، فان فيما معهم من التوراة من متناقضات هو ما مع اليهود ، فضلا عن الانجيل وما فيه من حلول الله فى رحم مريم ، وولادته منها فى صورة المسيح .. ثم صلب هذا الإله فى شخص المسيح ، ودفنه ، ثم قيامته من بين الأموات بعد ثلاثة أيام من دفنه ، وظهوره لبعض حوارييه وأتباعه ثم اختفاؤه بعد هذا .. !!

كل هذه المعتقدات التى يعتقدها المسيحيون فى المسيح — عليه السلام — قد أنكرها العقل فى هذا العصر ، بعد أن استنار بنور العلوم والمعارف .. وكان من هذا أن انتشرت فى أوربا وأمريكا — حيث يدين الناس بالمسيحية انتشرت مذاهب الالحاد ، وخفت موازين الدين فى هذه المواطن ، وقام هذا الصراع الحاد بين مقولات العلماء ومقررات الدين ، واستمر هذا الصراع سنين طويلة ، انتهى بفصل العلم عن الدين ، بمعنى أن تكون مقولات العلم لحساب العلم ، ليس للدين شىء منها ، وأن تكون مقررات الدين لحساب الدين ليس للعلم شأن بها ..

٦ — وفصل الدين عن العلم . هو فى الواقع هروب بالدين عن منطقة النور ، التى تتجلى فيها حقائقه ، وتتكشف فيها جواهر تلك الحقائق .. ثم إن هذا الفصل للدين عن العلم فى كيان الانسان أمر غير ممكن، اذ الانسان كل لا يتجزأ فى مداركه ، ومشاعره ، ونوازعه ، وعواطفه .. وكل حقائق العلم التى تبلغها مدركات انسان ما لا يمكن أن تعيش بمعزل عن أية حقيقة ترد عليه من حقائق الدين ، أو الفن ، وغيرها .. فالعلم اما أن يقبل حقائق الدين ، وبهذا تدخل تلك الحقائق فى دائرة العلم ، واما أن يرفض حقائق الدين . وبذلك يخرجها من محيط العلم .. وهذا ما حدث فعلا فى العالم المسيحى ، فى أوربا وأمريكا ، بعد أن رفض العلم ما تحدثت به الديانة المسيحية من مقولات عن ميلاد الله ميلادا بشريا فى المسيح ، وعن صلب الله فى المسيح ليكفر خطايا البشر التى ورثوها عن خطيئة أبيهم آدم . ثم عن قيامة المسيح أو الاله بعد

دفنه بثلاثة أيام .. الى غير ذلك من المقولات التى رفضها العقل الحديث ، وأبى أن يدخلها فى محيط العلم الذى يطمئن الى معايشته والحياة معه .

ان أوربا وأمريكا تعيشان اليوم بغير دين .. وهذا أمر غير طبيعى ، لا يمكن أن يعيش الناس فيه طويلا ، لان الدين والتدين غريزة فطرية فى الانسان فاذا لم يجد الانسان الدين الصحيح الذى يقبله العقل ويطمئن اليه القلب ، استبد به القلق ، واستولت عليه الحيرة .. ومن هنا كان هذا الذى نشهده فى أوربا وأمريكا من اغراق فى المادية والالحاد ، ومن تهالك فى الجرى اللاهث وراء حاجات الجسد واشباع غرائزه ، وليس ذلك الا تعويضا للجوع الروحى الذى يعانيه القوم هناك ، ولا يجدون سبيلا الى سد حاجتهم من هذا الجوع الا بالذهول عنه ، والقاء أنفسهم فى هذا التيه الصاخب بموائد القمار والخمر، وحانات الموسيقى والرقص والعربدة .

وإنه لمن الخطأ أن نحسب أن هذا العقل العصرى الذى بعد عن الدين هذا البعد البعيد قد اطمأن الى تلك الحياة التى يحياها بلا دين .. فالانسان — كما أشرنا من قبل — متدين بطبعه ، والدين مطلب قوى من مطالب الانسان ، على أي مستوى يكون عليه من مستويات الانسانية ، وأيا كان عقله ، وأيا كان مبلغه من العلم ..

فالانسان البدائى ، وسقراط ، وأفلاطون ، وأرسطو، والفارابى ، وابن سينا ، وابن رشد — هم جميعا سواء فى الحاجة الى الدين ، والى تصور المعتقد الدينى الذى يدينون به ، والذى يغذى عاطفتهم ، ويروى الجدب الروحى الذى يجده الانسان — أى انسان — اذا هو بات ليلة أو بعض ليلة على غير دين .. !!

وإن هؤلاء الملحدين الذين تعج بهم دنيا الناس فى الغرب وفى الشرق ، هم أكثر الناس ظمأ الى الدين ، وتطلعا اليه ، ووسواسا به ، وطلبا له ، وبحثا عنه ، فاذا وجد أحدهم الدين الصحيح الذى يطمئن اليه قلبه ، ويستريح اليه ضميره ، أقبل عليه اقبال الظمآن على الماء ، وفرح به فرح الغريق بالنجاة .. أما من لم يصادفه التوفيق الى الدين الصحيح فسيظل فى هذا الاضطراب المحموم الى أن يموت .. !!

٧ — وهنا يجد الاسلام فرصته فى انقاذ المجتمع الانسانى الملحد من هذا الضياع ، حيث هو الدين الذى يحترم العقل ، ويعطيه حقه كاملا من البحث والنظر ، ومن تقليب الحقائق الدينية على جميع وجوهها ، وهو الدين الذى يؤاخى العلم ، ويزكى جهاد العلماء ، وما يكشفون من حقائق الوجود وأسرار الكون .. وفى هذا يقول الله تعالى : « **يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات** » (١١ : المجادلة) ويقول سبحانه : « **وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها الا العالمون** » (٤٣ : العنكبوت) ويقول جل شأنه : « **قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ، انما يتذكر أولو الألباب** » (٩ : الزمر) ويقول تبارك اسمه : « **وتلك حدود الله يبينها لقوم يعلمون** » (٢٣٠ : البقرة) .

هذا ، وقد ورد ذكر العلم ، ومشتقاته فى نحو تسعمائة موضع من القرآن الكريم ، الأمر الذى لم يكن لغيره من الحقائق التى ورد لها ذكر فى كتاب الله

.. ويكفى تنويها بالعلم ، ورفعا لقدره وقدر أهله أن كان صفة من صفات الله سبحانه وتعالى ، فهو جل شأنه : عالم ، وعليم ، وعلام .

والقرآن الكريم هو جامعة العلم ، ومورد العلماء ، وإنه بحسب المرء من العلم أن يقبس قبسة من أضوائه ، فتكون له زادا عتيدا لكل علم ، ومنهلا طيبا الى كل معرفة .. ولهذا كثر الداخلون فى الاسلام من علماء أوربا وأمريكا ممن أتيح لهم الاتصال بالشريعة الاسلامية ، وبكتابها الكريم ، من غير دعوة لهم من أحد .. ففى كل يوم يدخل فى الاسلام أعلام من علماء الغرب وحكمائه، لما ظهر لهم من الحق المنزل من عند الله .. ولو جرت الامور على ظاهرها لما امتد بصر أحد من هؤلاء الداخلين فى الاسلام الى الاسلام ، لما صارت اليه حال المسلمين من التخلف ، والفقر والجهل ، الأمر الذى يشوش على الدين نفسه ، ويسىء الظن به ، اذ كان المسلمون — وتلك حالهم — هم الوجه الذى ينظر الناظرون فيه الى الاسلام من خلاله .. ولكنه الحق أكبر من أن تحجب أنواره سحب عارضة ، أو أن تطفىء سراجه أنفاس محمومة !!

٨ — ان هذا العصر ، عصر العلم والشك ، عصر الامتحان لكل شىء ، عصر غربلة الأديان والمعتقدات ، وعرضها على محك العقل — هــــو عصر الاسلام ، وهو اللسان المجدد لدعوته ، حيث يجلى حقائق هذا الدين ، ويكشف عن الخير الكثير المخبوء للناس فيه ..

ولا يريد الاسلام من الناس أن يتلقوا دعوته قضية مسلمة ، دون بحث واختبار وتحقيق ، فان ذلك مما تأباه طبيعة هذا الدين ، الذى أراده الله تعالى ليكون خاتمة الرسالات السماوية ، وليكون من كتابه الكريم رسولا يلتقى مع العقل الانسانى على امتداد الزمان والمكان ، حيث يجد فيه العقل فى أعلى مستوياته الحجة القاطعة ، والبرهان المبين على كل مقولة يقولها ، وعلى كل قضية يقضى فيها ..

فالذى يريده الاسلام . ونريده له ، هو أن يضع العلماء ، والفلاسفة والمفكرون — فى الغرب والشرق — قضايا الاسلام كلها ، موضع الشك أو الانكار — إن شاءوا — ثم ليعاملوها معاملة القضايا العلمية التى ينكرونها ، أو يتشككون فيها ، وليسلطوا عليها نظراتهم باحثة فاحصة ، ثم ليقلبوها فى أيديهم على جميع الوجوه الممكنة لهم ، وليمتحنوها بكل ما فتح به العلم عليهم من أساليب الامتحان، ثم ليحكموا بعد هذا على الاسلام بما يظهر لهم منه على محك الفحص والاختبار .. وان الاسلام ليتقبل هذا الحكم فى اطمئنان ورضى ، لأنه لن يكون الاشهادة بينة الحجة ، ساطعة البرهان ، على أن هذا الدين ، هو دين الله ، دين الحق الذى أراده الله تعالى لخير الانسانية واسعادها .

ان العلم الحديث — كما قلنا — هو فرصة الاسلام التى تتجلى فيهـــا معجزاته من جميع جوانبها ، العلمية ، والسياسية ، والاجتماعية والاقتصادية حيث يشهد العقل الحديث من النظر فى حقائق الاسلام أنه أمام معجـــزات قاهرة ، ينقاد لها العقل ، انقياده لما ينكشف له من أسرار الكون ومعجزاته على ضوء العلم ، ومكتشفات العلماء .

وهذا هو كتاب الاسلام ، وتلك هى حجته القائمة ، ودستوره المسطور

فى القرآن الكريم .. انه يقدم نفسه لكل من يريد النظر فيه ، والتعرف اليه ، غير مستند الى تأويل المؤولين ، أو تفسير المفسرين ، فلسانه أفصح من كل لسان ، وبيانه أوضح من كل بيان ..

فالذين يعرفون العربية ، يعرفون طريقهم اليه فى غير عناء ، ويضعون أيديهم على حقائقه فى يسر ، وفى غير معاناة .. والذين لا يعرفون العربية ، يمكن أن تترجم لهم حقائقه الى اللغات التى يحسنونها ، كما تترجم الحقائق العلمية ، والقضايا الاجتماعية ، والأحكام القانونية .. ثم لا عليهم ان فاتهم اعجاز الكلمة ، ومعجزة البيان فى اللسان العربى الذى نزل به القرآن الكريم ، فان فى الحقائق التى تصل اليهم عن طريق الترجمة ما يكفى للكشف عن وجوه أخرى من الاعجاز القرآنى ، ممثلة فى محكم أحكامه وروعة حقائقه ، وخلود مقرراته ، وضبطها على أحكم ميزان وأعدله .

والاسلام — فى يسره ، وسماحته ، ومواءمته للفطرة الانسانية — قريب من كل نفس ، متجاوب مع كل عقل ، واقع فى فهم كل ذى فهم .. تلتقى عنده عقول المتعلمين والعلماء ، وتجتمع عليه أنظار العامة والفلاسفة ، بحيث يجد فيه كل ذى عقل ما يرضيه ويغنيه ، ويأخذ منه كل ذى نظر ما يرشده ويهديه .. هكذا دائما تكون آيات الله المبثوثة فى هذا الوجود ، مما يمسك على الناس حياتهم ، ويحفظ وجودهم ، لا تقصر عنها يد ، ولا يستأثر بها انسان دون انسان أو تختص بها جماعة دون جماعة ، أو أمة دون أمة .. انها من الله ، ولعباد الله ، كما نرى ذلك فى الماء ، والهواء ، والشمس والقمر ، والنجوم .. فان كان لأحد ، أو لجماعة ، أو لأمة ، نصيب أوفر ، أو حظ أعظم ، من هذه النعم العامة ، فهو مما زاد عن الحاجة التى لا تتطلبها ضرورات الحياة ، وان كان فيها متعة فوق متعة ، ورضى فوق رضى : فصاحب النظر الحديد ، والقلب السليم يرى من جمال الوجود وروائع الكون ما لا يراه صاحب النظر الكليل أو القلب السقيم .

ومثل هذا تماما موقف الناس جميعا بين يدى القرآن الكريم .. كلهم بين يديه مائدة طيبة ، طعامها هنىء لكل عقل ، وشرابها مرىء سائغ لكل ذى قلب .. ثم هم مع ذلك على حظوظهم من تلك المائدة ، بقدر ما تتسع العقول وتنشرح الصدور ..

وتلك هى معجزة القرآن القائمة على الناس أبد الدهر ، وتلك حجة الله على من أخلى عقله وقلبه من الدين ، أو دان بغير دين الحق ، دين الله الذى ارتضاه لعباده ، كما يقول سبحانه : « **ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين** » (٨٥ : آل عمران) .

٩ — والأمر الذى ينبغى أن ننتبه اليه فى هذا المقام ، هو أن رجال الدين المسيحيى يدركون تماما هذه الحقيقة من أمر الاسلام ، ويعلمون أن الذين يتركون المسيحية لا يجدون دينا غير الاسلام يدينون به ، متى أتيحت لهم فرصة للتعرف عليه .. ولهذا اشتدت حملات المسيحية على الاسلام ، بالطعن فيه ، ومحاولة تشويه حقائقه ، حتى ينصرف الذين خرجوا من المسيحية عن الاتجاه الى الاسلام ، الذى ان اتجهوا اليه لم يولوا وجوههم عنه أبدا .. ومن هنا تحولت حركات التبشير بالدين المسيحيى الى حملات حرب مسعورة على الاسلام ، فيما يكتبه المستشرقون من رجال الدين المسيحى ، يظاهرهم فى

ذلك المستشرقون من اليهود ، لا لشيء الا لازالة أي معلم من معالم الحق تفيء اليها الانسانية ، وتستعصم بها .. ولا يسع المسلم في هذا المقام ، وهو يتلو كتاب الله ، الا أن يذكر قول الله تعالى في سورة التوبة : « **يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ، ويأبى الله الا أن يتم نوره ولو كره الكافرون** » (الآية ٣٢) ثم يذكر بعدها قوله تعالى : « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (الآية : ٣٣) .

ففي هاتين الآيتين الكريمتين نبأ من أنباء الغيب ، قد أخذت دلائله تظهر في هذا العصر ، وتحدث بأن تلك الأفواه التي تقذف بحمم الضلال ، وترمي بها في حمى الاسلام ، لن تنال من دين الله شيئا ، لان الله سبحانه وتعالى يأبى الا أن يتم نور هذا الدين ، على كره ومضاضة من الكافرين ، وأن تمام هذا النور انما يكون بتمام دورته في فلك الكوكب الارضي ، فيطلع نهاره على الغرب ، كما طلع نهاره على الشرق ، فيمحو بنوره ما ران على القلوب من ضلال ، وما استولى على العقول من زيغ وبهتان ، فلا يبقى على وجه الارض دين غير دين الله ، وبذلك تبلغ رسالة رسول الله كل دان وقاص ، وتنال الرحمة التي حملها بين يديه كل قريب وبعيد ، حتى تشمل العالمين جميعا ، كما يقول سبحانه : « **وما أرسلناك الا رحمة للعالمين** » (١٠٧ : الأنبياء) .

وقد جاءت هذه البشارة بظهور الاسلام على الأديان كلها — جاءت في سورة الصف ، وهي من القرآن المدني أيضا مؤكدة لما جاء في سورة التوبة وهي من أواخر ما نزل من القرآن ، وذلك في قوله تعالى : « **ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى الى الاسلام والله لا يهدي القوم الظالمين . يريدون ليطفئوا نور الله بأفواههم والله متم نوره ولو كره الكافرون . هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » (الآيات : ٧ ، ٨ ، ٩) .

ونحب هنا أن نشير الى حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقد رواه البخاري عن أبي هريرة ، قال ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « والذي نفسي بيده ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكما عدلا ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ، ويضع الجزية ويفيض المال حتى لا يتقبله أحد ، حتى تكون السجدة الواحدة خيرا من الدنيا وما فيها . » ومعنى هذا أن دولة الصليب ستنتهي ، وأن ما يؤمن به أتباع المسيح من صلب المسيح سينكشف الغطاء عن بهتانه ، وقد بدأ أتباع المسيح أنفسهم يكسرون الصليب بأيديهم ، ويخرجون من المسيحية قبل أن يظهر المسيح ، وليس وراء هذا الالحاد الذي شاع في أوربا وأمريكا المسيحيتين الا الايمان الحق بالله ، والدخول في الاسلام دين الله ، « **ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » .

١٠ — هذا ، وقد استظهر بعض المشتغلين بالدراسات الاسلامية من علماء الاسلام(١) — استظهر من مسيرة الاسلام في فلك النبوة ، والذي كانت دورته فيها ثلاثا وعشرين سنة ، في مكة ، والمدينة — أن للاسلام دورة في فلك خارج فلك النبوة ، أشبه بهذه الدورة التي دارها في فلك النبوة ، وأن مدة هذه الدورة ثلاثة وعشرون قرنا ، أي أن كل سنة من عصر النبوة تمثل قرنا كاملا من تلك الدورة الواقعة بعد عصر النبوة .

كما استظهر أيضا ، أن الثلاثة عشر عاما الاولى من بعثة الرسول — صلوات الله وسلامه عليه — والتى عاشتها الدعوة الاسلامية فى دائرتها الضيقة فى مكة ، تواجه الكيد لها ، والمكر بها ، والتضييق على أتباعها — هذه المدة تمثل الثلاثة عشر قرنا التى انسلخت بعد عصر النبوة من حياة الاسلام وأن الاسلام بعد هذه القرون الثلاثة عشر سينطلق من دائرته الضيقة ، كما انطلق بعد الثلاثة عشر عاما التى عاشها فى المدينة ، والتى انتقل بعدها بالهجرة الى المدينة ، فكان النصر ، وكان الفتح . وكان دخول الناس فى دين الله أفواجا ، وكما دانت الجزيرة العربية كلها خلال عشر السنوات التى بعد الهجرة ، ستدين الانسانية كلها بالاسلام ، خلال عشرة القرون التالية للثلاثة عشر قرنا التى انسلخت من مسيرة الاسلام . حيث يتحقق قوله تعالى : « **هو الذى أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون** » — كما تحقق قوله تعالى خلال عشر السنوات الاخيرة من مبعث النبى — صلوات الله وسلامه عليه — اذ يقول سبحانه : « **اذا جاء نصر الله والفتح . ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجا . فسبح بحمد ربك واستغفره انه كان توابا** » .

١١ — وبعد ، فهل يقعد بنا هذا الوعد الكريم من الله تعالى بنصر دينه، واظهاره على الدين كله — هل يقعد بنا ذلك عن أداء حق الله تعالى علينا نحو ديننا ، وما أوجبه جل شأنه على كل مسلم من الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الاسلامية ، والدفاع عنها ، والتضحية فى سبيلها بالأموال والأنفس ؟ إن ذلك إن يكن من المؤمن بالله ، فهو خيانة لله ، ولرسول الله ، ولدين الله .. فما كان وعد الله سبحانه وتعالى لرسوله وللمؤمنين بالنصر لدينه ، بالذى القى عن الرسول الكريم وأتباعه عبء الجهاد فى سبيل الله ، ولقاء المشركين فى مواقع القتال ، وبذل الأنفس والأموال فى سخاء . وابتغاء مثوبة الله ورضوانه ، والله سبحانه وتعالى يقول : « **أم حسبتم أن تدخلوا الجنة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين** » (١٤٢ : آل عمران) ويقول تبارك اسمه : « **ولنبلونكم حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين ونبلو اخباركم** » (٣١ : محمد) .

فلا بد اذن من بلاء وتمحيص ، لما فى القلوب من ايمان بالله . يكون محكه الغيرة على دين الله ، والدعوة اليه ، والدفاع عنه ، وبذل النفوس والاموال فى هذا الجهاد المبرور ، وبذلك الامتحان تثقل موازين العاملين المجاهدين . وتخف موازين الغافلين ، والمتكاسلين : « **فأما من ثقلت موازينه . فهو فى عيشة راضية . وأما من خفت موازينه . فأمه هاوية . وما أدراك ما هيه . نار حامية** » (٦ — ١١ : القارعة) .

وهذا ميدان الجهاد مفتوح لكل مسلم ، يدخله من أى باب ، بما له . أو بنفسه ، وبيده ، أو لسانه ، أو قلمه ، « **فمن نكث فانما ينكث على نفسه ، ومن أوفى بما عاهد عليه الله فسيؤتيه أجرا عظيما** » (١٠ : الفتح) .

---

(١) هو المرحوم الاستاذ محمد فريد وجدى ، فى كتابه : « الاسلام فى عصر العلم » .



اليهود وتآمرهم في حياة الرسول صلى الله عليه وسلم

للدكتور محمود محمد زيادة

اليهود وجمع الاحزاب :

كانت قريش وكان يهود بنى قينقاع ويهود بنى النضير وعرب غطفان وهذيل والقبائل المتاخمة للشام تتربص كل واحدة منها بمحمد وأصحابه الدوائر ، وتود كل واحدة منها أن تجد الفرصة لادراك ثأرها من هذا الرجل الذى فرق العرب فى دينها شيعا ، والذى خرج من مكة مهاجرا لا حول له ولا قوة الا ما يملأ نفسه الكبيرة من الايمان وها هو ذا فى خمس سنين قد أصبح له من الحول والقوة ما جعله مرهوب الجانب فانتصر على كثير من قبائل العرب واخرج بنى قينقاع من المدينة، واجلى بنى النضير عن ديارهم ، وذهب كثير من هؤلاء وهؤلاء الى خيبر والشام ، فهل يسكتون ويطمئنون الى ما حدث ؟ أم يحاولون تأليب العرب عليه ليأخذوا بالثأر منه .. ؟

كانت الفكرة الثانية هى التى اختمرت فى نفوس اكابر بنى النضير وتنفيذا لها خرج نفر منهم ، ومن بينهم حيى بن أخطب وسلام بن أبى الحقيق ، وكنانة بن أبى الحقيق ، ومعهم من بنى وائل هوذة بن قيس، وساروا حتى قدموا مكة ، فسأل أهلها حييا عن قومه ، فقال : تركتهم بين خيبر والمدينة يترددون حتى

تاتوهم فتسيرون الى محمد واصحابه .. وسألوه عن قريظة فقالوا : اقاموا بالمدينة مكرا بمحـــمد حتى تأتوهم فيميلوا معــــكم : وترددت قريش اتقدم ؟ أم تحجم ؟ فليس بينها وبين محـــمد خلاف الا على الدعوة التى يدعوها ، اليس من الجائز أن يكون على حق ما دامت كلمته تزداد كل يوم رفعة وسموا .. ؟

فقالت لليهود : يا معشر يهــود انكم اهل الكتاب الأول واهل العلم بما اصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد . أفديننا خير أم دينه ؟ فأجاب اليهود : بل دينكم خير من دينه ، وانتم أولى بالحق منه : والى ذلك يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى « الم تر الى الذين اوتوا نصيبا من الــكتاب يؤمنون بالجبت والطاغوت ويقولون للذين كفروا هــؤلاء اهدى من الذين آمنوا سبيلا » .

فكان قول اليهود هذا من الدوافع لقريش على الترحيب بالمحــالفة ثم خرج الوفد اليهودى من مكة قاصدا ديار غطفان وهى قبيلة حربية لهــا خطرها فى صحراء بلاد العرب وتقع على بعد ١٢٠ ك. م الى الشــمالى الغربى من المدينة . وقد انضم الى هذا الحلف قبائل اخرى من العرب . وبذلك بلغت قوات قريش وحلفائها عشرة آلاف محارب فساروا جميعا تحت امرة ابى سفيان قاصـــدين المدينة ، ويستشير الرسول اصحابه فى الدفاع عن المدينة ويستقر الرأى على حفر الخندق فى الجهة الشمالية من المدينة لان الجهات الاخرى كانت محصـــنة بالتلال والنخيل والبيوت المتراصة . وديار بنى قريظة متروكة لحراسة قوة خفيفة متحركة ، وينتهى المسلمون من حفر الخندق وتصــل قريش الى خارج المدينة فى جموع كثيرة من احابيشـــها واحلافها ، وجموع تأتى من اسفل المسلمين وهم قريش ومن جاء معهم وجموع اخرى تأتى من فوقهم وهم اهل نجد من حلفاء قريش وجلهم من غطفان ورات هذه الجموع الخندق ، فاعترتهم الدهشة، وداخلهم الاضطراب لعدم معرفتهــم بوسائل القتال أمام الخنادق ، ولم يكونوا يتوقعون هذا النوع من الدفاع المجهول لديهم، وبلغ منهم الغيظ حتى زعموا أن الاحتماء وراء الخنـــدق جبن لا عهـــد للعرب به وبدا رماة المســلمين يطلقون عليهم من خلفــه سهامهم الفاتكة فانسحبوا سريعا ، واخذوا يسوون صفوفهم على مسافة آمنة من مرمى الســهام والنبــال واستمر الجيشان يرقب كل منهمــا الآخر لأيام قليلة نفد فيها صبر ابى سفيان الذى كان يعتقد أن محــق المسلمين ما هو الا رهن لقائهم فى المعركة . وكان قد وعد حلفـــاءه بالغنائم السريعة السهلة ثم يعودون أدراجهم يتغنون بأناشيد الفــوز ثم تبين له أن الأمر مختلف تمـــام الاختلاف ، وانه يحتـــاج الى وقت طويل لا يؤمن معه أن تفــكر بعض القبائل فى ترك القتال والعـــودة ولاسيما والشتاء قارس البرد واهل المدينة يمكنهم المقاومة شهورا طويلة ما دام بنو قريظة يمدونهم بالمؤن ، فكر ابو سفيان فى كل هذا وبدأ يقدر من الخير للأحزاب ان يعــودوا ادراجهـــم ويتركوا الأمر لفرصـــة اخرى .. ؟

نعم لـــكن جمع هؤلاء الاحزاب لحرب محمد ليس بالأمر الميسور ، وقد استطاع اليهود وحيى بن اخطب

على راسهم أن يجمعوها هذه المرة للانتقام لأنفسهم من محمد واصحابه عما أوقع بهم . فان أفلتت هـــذه الفرصه فهيهات أن تعود . ثم لا شك أن انسحاب الاحزاب انتصار لمحمد ، وبعد ذلك الويل كل الويل لليهود ، فلو ان بني قريظة نقضوا عهدهم مع المسلمين لفقد الخندق قيمتـــه في الدفاع من ناحية ولانقطـــع المدد والميره من ناحية أخرى وكمـــا قدر ابو سفيان ذلك كله قدره ايضا حيي ابن أخطب ، فتلاقت الفكرتان واوحى حيي الى الاحزاب أنه مقنع بني قريظة بنقض عهد موادعتهم محمدا واصحابه وبالانضـــــمام اليهم . وسرى عن الاحزاب بما ذكر حيي .

تآمر بني قريظة :

وبدأت المحادثات تجرى سرا بين (حيى) وكعب بن أسد ، صاحب حصن بني قريظة وانتهت بعد حوار الى الموافقة على انضـــمامه الى الاحزاب ونقض عهده مع محـــمد والمسلمين على أن تمهل الاحـــزاب قريظة عشرة أيام تعد فيها عدتهـــا وتتخلص من عهودها مع المســـلمين وعلى أن تقاتل الاحزاب المســلمين في هذه الايام العشرة أشد القتال ، ووصلت انباء هذه الاتفـــاقية الى الرسول فبعث (سعد بن معاذ) سيد الأوس ، و (سعد بن عباده) سيد الخزرج ومعهما (عبد الله بن رواحة وخوات بن جبير) ليقفوا على جلية الأمر على أن يلحنوا عند عودتهم ان كان حقا حتى لا يفتوا في أعضاد الناس ، فلما اتى هؤلاء الرســل قريظة وجدوها على أخبث ما بلغهم عنها ، فقد نال كعب من رسول الله صلى الله عليه وســلم وقال : من رسول الله : لا عهد بيننا وبين محمد ولا عقد . وحدثت مشـــاده بين بني قريظة وسعد بن معاذ ، ثم رجع الرسل الى النبي فســلموا عليه ، وقالوا : عضل والقارة — اى كغدر عضل والقارة بأصحاب الرجيـــع — فاشتد الأمر على الرسول واشـــتد الوجل على المســـلمين ، وزلزلوا زلزالا شديدا لأن العدو جاءهم من فوقهم ، ومن أسفل منهم ، وزاغت الأبصار ، وبلغت القلوب الحناجر .

ولا غرابة أن يبلغ الفـــزع من المسلمين مبلغا عظيما ، فقد كـــان الحصار شديدا عليهم ، فقد صاحبه ضيق على فقراء المدينة ، وقطعت قريظة المدد والميرة عن المســـلمين عامة منذ تم اتفاقها مع الاحزاب : والاحزاب نفسها قد استعدت للقتال حسب الاتفاق أيضا . وقريظة عما قريب تدخل الميدان ، والمنـــافقون يجهرون بما يريدون . فقـــد قال بعضهم : كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر وأحدنا اليـــوم لا يأمن على نفسه أن يذهب الـــى الغائط . وقال بعضهم الآخر لرسول الله : ان بيوتنا عورة من العـــدو فائذن لنا أن نخرج فنرجع الى دورنا فانها خارج المدينة ..

ويضاف الى ما ســـبق الخطر الداهم الذي يهددهم به عبد الله بن ابى ذلك الشـــيطان الرجيم الذي انسحب يوم أحد بثلث النـــاس من صفوف المسلمين فانه كان قد أعد العدة لطمن المســـلمين من الخلف واشعال ثورة في المدينة من عناصر المنافقين فكان من الضروري حمـــاية قلب المدينة نفسها بما فيها من نساء المسلمين وأطفالهم : فأرسل النبي

فرقة من الجيش عددها ثلثمائة الى داخل المدينه . وظلت جنود تلك الفرقة تغدو وتروح فى شوارعها ليــلا ونهارا .

وبدأ ابو سفيان القتال تنفيــذا لاتفاقيته مع بنى قريظة ، واستمر يشن الغاره على الخندق ليلا ونهارا حتى تصرمت الأيام العشرة ، وظهرت بوادر غدر بنى قريظة خلال هذه الأيام العشرة ، فقد بدأ المتحمسون منهم ينزلون من حصونهم الى منازل المدينة القريبة منهم يريدون ارهاب اهلهــا وخشى الرسول أن يعجل القرظيون بالغدر ، فيزحفون على المدينــة ، ويفتحون ثغرة من الجنــوب حيث حصونهم فيتدفق الاحزاب منها الى المدينة ، ويصبح المســلمون على ما هم فيه بين عدوين ، واتقاء لهذا وما يترتب عليه فكر فى محاربة قريش بنفس الوســيلة التى استخدمتها قريش فى استمالة بنى قريظة حتى يفرق الأحزاب ، فأرسل الى عينية بن حصن الفزارى والحــارث بن عوف المرى قائدى جيش غطفان فراوضهما ان يعطيهما ثلث ثمار المدينة . على أن ينصرفا بجيوش غطفان فقبلا ، ولكنه قبل أن يبرم الأمر أرسل الى السعدين (سعد بن معاذ ، وسعد بن عبادة) فاســتشارهما فيما رأى ، وعرفا من الرســول أن هذا أمر يصنعه لهم ، فلم يقبلا ، واعجب الناس بحماس الأنصار ، وفوض أمره لربه اللطيف بعباده المدبر لأمورهم ، فقد جاء فى هــذا الوقت (نعيم بن مسعود الأشجعى) وهو صــديق قريش واليهود ، ومن غطفــان الى رسول الله ، واعلمه باسلامه وأن قومه لا يعلمون بذلك ، ويطلب منه ان يأمره بأمر يساعد على انتصــار المسلمين فيقول له الرسول : « خذل عنا ما استطعت فان الحرب خدعه » فيقوم بدور عظيم لصالح المسلمين ، فينصح قريشا بان اليهود سيطلبون منهم رهائن يقــدمونها الى محمد ليعفو عنهم ، وينصــح اليهود بأن يطلبوا من قريش رهائن قبل دخولهم المعركة المشتركه ضد المسلمين .. حتى يضــمنوا بقاء قريش معهم ، ويحدث ارتباط مصيرى وطلب من كل طرف ان يكتم هذا الامر ، وقد جازت الخدعه فحينما طلب ابو سفيان من يهود بنى قريظة دخول المعركة طلبوا رهائن ، فاعتقدت قريش وآمنت أن ما قاله نعيم صــحيح ، فامتنعت ، وفشل التحالف . ثم كان نصر الله بإرسال الرياح العاصفة كل العصف .. الباردة اشد ما يكون البرد .. المطرةمطرا غزيرا . أطفأت نيرانهم، وأكفأت قدورهم على أســافيها ، واقتلعت خيامهم ، وافسدت طعامهم، وأجفلت دوابهم ، فأدخلت الرعب فى قلوبهم ، فارتحلوا فارين ليلا وكفى الله المؤمنين القتال ، واقبل الصباح ونظر المسلمون الى الجانب الآخر من الخندق فلم يجدوا من الآلاف أحدا فانصرفوا الى منازلهم .. رافعين أكف الضراعة الى الله شكرا أن كشــف الضر عنهم .

غزو بنى قريظة :

لقد خان بنو قريظة العهد خيانة ما بعدها خيــانة ، وظهر عداؤهم للمسلمين بصورة بشــعة ، كانوا يريدون استئصال شأفة المسلمين . فلا بد من حسابهم حسابا عسيرا على ما ارتكبوا من جنايات ، ولا بد ايضا من الاسراع حتى لا يقوموا بعمــل اجرامى من تدمــير الآبار المــاء ،

وما شاكل ذلك ، وهذا ما كان من الرسول عليه الصلاة والسلام ، فقد جاءه الوحى يأمره بالقضاء على بنى قريظة حتى يطهر دار الاسلام من قوم جبلوا على الخيانة والغدر فلا تنفع معهم العهود ، ولا تربطهم المواثيق ، فأمر عليه السلام مناديا فنادى فى الناس : من كان سامعا مطيعا فلا يصلين العصر الا فى بنى قريظة .

ومع ما كان عليه المسلمون من نصب . بعد طول حصار الاحزاب فقد خفوا لهذا القتال فخرج ثلاثة آلاف ، وتوجهوا الى حصون بنى قريظة فى الجنوب الشرقى من المدينة ، وحين راى بنو قريظة جيش المسلمين القى الله الرعب فى قلوبهم ، وارادوا التنصل مما فعلوا ، ولكن انى لهم ذلك ؟ وقد ثبت للمسلمين غدرهم ، فلا مناص من مقاتلتهم ، فأسرعوا باغلاق حصونهم عليهم ، فحاصرهم المسلمون ، وقد ظل هذا الحصار خمسة وعشرين يوما أو شهرا ولم يجرؤ بنو قريظة خلال مدة الحصار على الخروج من الحصون مرة واحدة ، وايقنوا انه اذا استمر الحصار اكثر من ذلك سيموتون جوعا وان حصونهم غير ما نعتهم من الهلاك شيئا . بل لا بد من وقوعهم فى قبضة المسلمين ، وحينئذ يعرضون على الرسول الجلاء واللحاق باخوانهم فيابى الرسول الا التسليم دون قيد أو شرط . ولا بد من الرضا بما يحكم به عليهم ، فاختاروا (سعد بن معاذ) زعيم الأوس وحليفهم قبل الاسلام ، فحمل سعد — لأنه كان جريحا — ويأخذ العهد على الطرفين بقبول الحكم .

فماذا حكم سعد .. ؟ حكم بقتل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الأموال . فقال الرسول عقب الحكم : لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة .

ثم خرج الرسول الى سوق المدينة وأمر بحفر خنادق فيها ، ثم جيء باليهود ارسالا فضربت اعناقهم ، وفيهم حيى بن أخطب من بنى النضير لأنه كان معهم وقت الموقعة وفى عنقه دمهم ، وفى هذه الخنادق دفنوا ، وكان عدد القتلى ما بين أربعمائة الى ستمائة فى اصح الروايات . فان بعضها تقول كانوا بين الثمانمائة والتسعمائة ، ويبدو لنا أن هذه الرواية تذكر عددهم جميعا لأن القتل لم يعمهم جميعا .

كما هو ظاهر قوله تعالى : « وانزل فريقا تقتلون وتأسرون فريقا » كما الذين ظاهروهم من أهل الكتاب من صياصيهم وقذف فى قلوبهم الرعب أن عددا قليلا منهم اسلم .

وقد وزع الرسول ارض بنى قريظة على المسلمين .

الجريمة والجزاء :

لم يكن بنو قريظة يتوقعون هذا الحكم من سعد حليفهم ، بل كانوا يظنون انه سيصنع معهم مثل ما صنع ابن أبى مع بنى قينقاع أو مثل الحكم على بنى النضير ، ولكن شتان بين

الرجلين وبين الموقفين ، فسعد قد ذهب الى بنى قريظة ليثنيهم عن موقفهم فى غزوة الاحزاب ــ كما سبق لنا ذلك ــ فقالوا : من الرسول ؟ أمامه ، ويضاف الى ذلك أن جريمتهم تختلف عن جريمة كل من بنى قينقاع، وبنى النضير ، وان كانت كلها جرائم غدر وخيانة . غير أن جريمة بنى قريظة كانت أشد خطرا واعظم فتكا من الجريمتين السابقتين . لأن المسلمين كانوا فى كل منهما فى حالة تمكنهم من الدفاع عن انفسهم . أما موقفهم وقت جريمة بنى قريظة ، فقد كان محفوفا بالخطر من جراء الحصار المحكم الذى ضربه الاحزاب حول المدينة ، فلم يكن فى امكانهم الدفاع عن انفسهم .

ولعل سعدا ذكر وقت نطقه بالحكم . ماذا كان يحدث . لو أن الاحزاب انتصروا بخيانة بنى قريظة ؟ نقدر أنهم كانوا سيستأصلون المسلمين ويمثلون بهم فان سعدا حليفهم ويعرف طبيعتهم ، وما جبلوا عليه من غدر وخيانة وتآمر وخلق ردىء ، فيؤمن بأنه لو أبقى على حياتهم لا يهدأ لهم بال حتى يؤلبوا الاحزاب من جديد ضد المسلمين ، ولو ظفروا بهم لقطعوهم اربا اربا . فالحكم الذى أصدره سعد على قسوته انما أصدره متأثرا بالدفاع عن النفس معتبرا بقاء اليهود أو زوالهم مسألة حياة او موت بالنسبة للمسلمين فهو حكم تقره قوانين الحرب ، وقوانين السلم ولا عجب فهو حكم السماء الهمه الله لسعد .

ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم الا منفذا ، فأمر بقتل المقاتلة ، وسبى الذرية والنساء ، وقسم الاموال ، وأورث الله المسلمين أرضهم وديارهم فنالوا جزاءهم وشربوا الكأس المرة . كما تجرعها فى الوقت نفسه اخوانهم بالشام من يد (هرقل) بعد غلبته (كسرى) من جراء ما فعلوه بنصارى الشام حينما كان الظفر لفارس .

وأيا ما كان الامر فقد طهرت قاعدة الاسلام (المدينة) من الخطر اليهودى الذى كان مسيطرا على جزء من منطقة قلب المدينة ، وعلى نقطة حاكمة فى الجنوب الشرقى . وأراح الله المسلمين من شر مجاورة اليهود الذين تعودوا الغدر والخيانة ، ولم يبق الا بقية من كبارهم بخيبر من أهلها ، وعما قريب يشربون الكأس حتى الثمالة .

ووطد القضاء على طوائف اليهود الثلاث للمسلمين فى المدينة فقد كسرت شوكة المنافقين حلفاء اليهود وخفت حدتهم ، وقل خطرهم ، ولم يعد فى المدينة قوة غير قوة المسلمين، وذهبت العرب تتحدث بقوة المسلمين وسلطانهم وقوة محمد ورهبة جانبه، فمهد هذا لنشر الدعوة الاسلامية على اوسع نطاق ومهد للقضاء على اليهود الذين يقيمون قرب المدينة .

حتى تطهر بلاد العرب من رجسهم ، وتستقر الدولة الاسلامية ، فكان غزو خيبر ، وفدك ، وتيماء ووادى القرى ..

فالى خيبر ..

مائدة القارئ

الزهـــراوان

روى ابو امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال :
اقرءوا الزهراوين البقرة وآل عمران ، فانهما ياتيان يوم القيــامة كأنهما غمامتان او غيايتان او فرقان من طير صواف . اقرءوا البقــرة فان اخذها بركة ، وتركها حسرة ولا تستطيعها البطلة .

رواه مسلم

عـد الى ظـلك

بينما عثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ في ارض له ، في العالية ، في يوم صائف اذ راى رجلا يسوق جملين ، ، وعلى الأرض مثل الفراش من الحر !!.. فقال عثمان : ما على هذا لو اقام بالمدينــة حتى يبرد ثم يخرج حينئذ ؟.. ثم دنا الرجل ، فقال عثمان لمولى له : انظر من هذا ؟.. فقال : ارى رجلا معمما بردائه يسوق بكرين ، ثم دنا الرجل ، فقال : انظر من هذا ؟.. فنظر .. فاذا هو عمر ابن الخطاب .. فقال: هذا امير المؤمنين ! فقام عثمان فاخرج راسه من الباب ، فاذا لفح السموم !!.. فاعاد راسه ، حتى اذا حاذاه قال : ما اخرجك في هذه الساعة ؟ فقال : بكران من ابل الصدقة تخلفا ، وقد مضى بابل الصدقة ، فأردت ان الحقهما بالحمى ــ المرعى ــ وخشيت ان يضيعا فيسألني الله عنهما ..!! فقال عثمان : هلم الى الظل والماء ونكفيك !. قال : عد الى ظلك قال عندنا من يكفيك !. قال : عد الى ظلك !!. ومضى ..
فقال عثمان : (من احب ان ينظر الى القوى الأمين فلينظر الى هذا !!) .

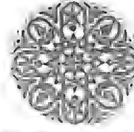
جهـــاد العلمـــاء

استدعى المندوب السامى الفرنسى الشيخ عبد الحميد الجزائرى وقال له : اما ان تقلع عن تلقين تلاميذك هذه الافكار والا ارسلت جنودا لاغلاق المسجد الذى تنفث فيه هذه السموم ضدنا واخماد اصواتكم المنكرة .

فاجاب الشيخ عبد الحميد : ايها المسيو الحاكم انك لا تستطيع ذلك ..

فاستشاط غضبا وقال : كيف لا اســتطيع ؟.

فقال له : اذا كنت فى عرس علمت المحتفلين ، واذا كنت فى مأتم وعظت المعزين ، وان جلست فى قطار علمت المسافرين وان دخلت السجن أرشدت المسجونين ، وان قتلتمونى التهبت مشاعر المواطنين ، وخير لكم ايها المسيو ان لا تتعرضوا للامة فى دينها ولغتها .



(وجاءوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم انفسكم امرا فصبر جميل والله المستعان على ما تصفون)

سورة يوسف

التسبيح او الاستغفار

قال رجل للامام ابن الجوزى :
أسبح او استغفر ؟.
فقال : الثوب الوسخ احوج الى الصابون منه الى البخور .

مع الامام الشافعى

لما قدم الشافعى مصر قال له عبد الله بن الحكم :
اذا اردت ان تسكن هذا البلد فليكن لك قوت سنة ، ومجلس من السلطان تتعزز به .
فقال له الشافعى :
يا ابا محمد من لم تعزه التقوى فلا عز له .. ولقد ولدت بغزة وربيت بالحجاز ، وما عندنا قوت ليلة ، وما بتنا جياعا قط .

ابو العتاهية وخادمه

عرف ابو العتاهية بالبخل والتقتير ، وتندر به الرواة :
يقول ابو الفرج عن الخريمى : (كان لابى العتاهية خادم اسود طويل كانه محراك اتون ، وكان يجرى عليه فى كل يوم رغيفين ، فجاءنى الخادم يوما ، فقال : والله ما اشبع ، فقلت وكيف ذاك ؟ قال : لانى لا افتر عن الكد وهو يجرى على رغيفين بغير إدام فان رايت ان تكلمه حتى يزيدنى رغيفا فتؤجر ، فوعدته ذلك فلما جلست معه مر الخادم بنا ، فقلت : يا ابا اسحاق . كم تجرى على هذا الخادم فى كل يوم قال : رغيفين . فقلت : لا يكفيانه . قال : من لم يكفه القليل لم يكفه الكثير ، وكل من اعطى نفسه شهواتها هلك .
ثم مات الخادم فكفنه فى ثوب خلق ، فقلت : خادم قديم الحرمة طويل الخدمة تكفنه فى ازار خلق ، وانما يكفيك له كفن بدينار ، فقال : انه يصير الى البلى والحى اولى بالجديد من الميت ، فقلت له : يرحمك الله فقد عودته الاقتصاد حيا وميتا) .

المفاوضات بين العرب

ابان فتوح الشام في ضوء ما ورد

للأستاذ احسان صدقي العمد

عرف العرب فى تاريخهم قبل الاسلام نماذج مختلفة من العلائق والاتصالات سواء فيما بينهم داخل الجزيرة العربية ، أو بينهم وبين الدول والشعوب المجاورة لجزيرتهم ، وكان يحكم هذه العلاقات بصفة عامة عوامل اقتصادية سياسية كما هو الحال بالنسبة لنظام الايلاف الذى وطدته قريش وامنت بموجبه الطرق التجارية داخل الجزيرة وحرية التبادل التجارى والاقتصادى مع الاقطار المجاورة ، وما كان من تحالف سياسى معروف بين مناذرة الحيرة والفرس من جهة والغساسنة والروم من جهة أخرى .

لكن جوهر تلك العلاقات وهدفها كان فى المقام الاول تحقيق المنافع المادية والمصالح المشتركة بين الاطراف المعنية دون النظر الى أى اعتبار آخر ، وهو أمر طبيعى فى غياب حمل أى من تلك الاطراف لعقيدة سامية أو مذهب صالح يسعون لنشره والانتصار له .

الاسلام والجهاد فى سبيله :

واستمر الحال على هذا المنوال حتى ظهر الاسلام فى جزيرة العرب ، وقضت حكمة الله عز وجل ان تكون الامة العربية طليعة المؤمنين بالدين الجديد والمكلفة بتبليغ رسالته الى أمم الارض وشعوبها . فكان أبناؤها خير أمة اخرجت للناس يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر . وقد اختط الله لهذه الأمة طريق الجهاد فى سبيل الله وأمرهم بازالة الحواجز والقوى المعادية التى تقف فى وجه انتشار دعوة الاسلام ووصولها بحرية وسلام الى عقول الناس وأفئدتهم كما نص على ذلك العديد من الآيات البينات وبخاصة فى سورة التوبة .

وحياة الرسول صلى الله عليه

المسلمين والروم
في كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفي

وسلم كلها كانت جهادا فى سبيل الله، وكان آخر عمل قام به من أجل هذه الغاية ، هو تجهيز جيش عربى اسلامى لفتح بلاد الروم التى تم فتحها فى عهد خليفتيه أبى بكر وعمر . ذلك ان الاسلام حدد موقفه بشكل واضح وصريح من جميع أقطار الارض وشعوبها . فهو يرى ان الارض ملك لله الذى استخلف عليها الناس ، وان أحق من يمتلك هذه الارض عباده الصالحون . ووفقا لهذه النظرية ينقسم العالم كله فى نظر الاسلام الى منطقتين أو دارين كما يذهب الفقهاء دار اسلام ودار كفر أو دار سلام ودار حرب . لان المنطقة التى يظلها الاسلام هى دار السلام ، والتى يسيطر عليها الكفر انما هى دار حرب ينبغى على المسلمين مجاهدة أهلها حتى يدخلوا فى ظلال الاسلام . ولم يكتف الاسلام بذلك بل حدد طريقة الجهاد ونشر الرسالة الاسلامية وذلك بالدعوة الى سبيل الله أولا بالحكمة والموعظة الحسنة وهو ما يعرف بالدعوة السلمية ، فأذا لم يستجب أهل الكفر لهذه الدعوة كان عليهم أن يختاروا بين اثنين لا ثالث لهما فأما الحرب والقتال ، واما القبول بحكم الاسلام حتى يتسنى للكافرين ان يتصلوا بالمسلمين اتصالا مباشرا فى حرية ويتعرفوا منهم على دينهم واخلاقهم ومعاملاتهم . فأذا تم لهم ذلك انشرح صدرهم للاسلام ودخلوا فى دين الله أفواجا دون جبر أو اكراه ، لان الاسلام دين الفطرة يقبله ويقبل عليه كل صاحب عقل منزه عن التعصب والهوى .

وعلى هذا الهدى وهذه المبادىء وليس غيرها خرجت طلائع جيوش العرب المسلمين للجهاد والفتح . وقراءة متأنية فى المصادر والاصول

تكشف عن يقين أى امة كنا واى ايمان كان يحرك المسلمين ويجعل منهم عمالقة تتضاءل عند أقدامهم قامات الرجال .

كتاب الفتوح لابن اعثم الكوفى :

وتلك وقفة قصيرة لا بد منها لفهم المفاوضات التى جرت بين العرب المسلمين والروم ابان فتوح الشام ، كما أوردها الأخبارى المؤرخ احمد بن محمد بن على المعروف بابن أعثم الكوفى المتوفى عام ٣١٤هـ/٩١٦م ، فى كتابه المسمى كتاب الفتوح ، والذى يطلق عليه صاحب الذريعة فى تصانيف الشيعة اسم كتاب فتوح الاسلام . ويتناول الكتاب فتوح المسلمين الاولى حتى نهاية الدولة الاموية ويذيله بأهم الوقائع التى حدثت فى عهود الخلفاء العباسيين الاول حتى المعتصم بالله . وبالرغم من ان الكتاب كان معروفا بين كتب التاريخ الاسلامى حتى أنه ترجم الى الفارسية أواخر القرن السادس الهجرى ، الا أنه لم يعثر الا مؤخرا على نسخ عربية مخطوطة عنه . وتقوم بنشره حاليا مشكورة دائرة المعارف الاسلامية بحيدر آباد الدكن بالهند ، وتوجد منه بجامعة الكويت نسخة مصورة عن نسخة استانبول . وقد بدأ هذا المخطوط يحظى باهتمام المشتغلين بالدراسات الاسلامية لما يتضمنه من معلومات قيمة وتفصيلات ضافية ، توضح بعض الروايات المختصرة لدى الطبرى بالاضافة الى انفراده ببعض الاخبار المتعلقة بحروب الردة وفتوح العراق والشام وخراسان وارمينيا واذربيجان والحروب بين العرب والخزر والعلاقات بين العرب والبيزنطيين .

بدء المفاوضات بين المسلمين والروم :

ويهمنا فى هذا المقال روايات انفرد صاحب الكتاب بذكرها حول مفاوضات جرت بين المسلمين والروم ابان فتوح الشام . ذلك ان ابا عبيدة عامر بن الجراح قائد جيوش المسلمين التى توجهت الى بلاد الشام ، أراد قبل أن يباشر الروم وحلفاؤهم من العرب الفساسنة القتال . ان يدعوهم الى الاسلام بالحكمة والموعظة الحسنة ويقيم الحجة عليهم فأرسل اليهم بعثة سلام وهداية برئاسة هشام بن العاص شقيق عمرو ابن العاص ضمت جماعة من المسلمين من أهل الدين والحسب . ويصور لنا ابن اعثم لقاء البعثة أول الأمر بجبلة بن الايهم زعيم الغساسنة الذى كان يعسكر فى أربعين الفا من العرب المتنصرة فى غوطة دمشق ، فيقول ان افراد البعثة المسلمين « دخلوا عليه فى مجلس له مزخرف وعلى يمينه كراسى الذهب والفضة ... وعلى جبلة يومئذ ثياب سود وتاجه على رأسه فلما نظر المسلمين أومأ اليهم ان اجلسوا ، فجلس المسلمون بعيدا منه واذا رسول جبلة قد اقبل اليهم فقال لهم : يقول لكم جبلة ما حاجتكم ؟ فقال هشام للرسول : ارجع اليه فقل له : ان اردت كلامنا فانزل عن فرشك وكلمنا ، فانطلق اليه الرسول فخبره بذلك ، فنزل جبلة عن فرشه تلك المرتفعة التى كان عليها الى فرش دونها ، ثم جلس عليها واومأ الى المسلمين تقدموا ، فتقدموا وجلسوا قريبا من فرشه ، ثم كلمه هشام بن العاص ودعاه الى الاسلام ورغبه فيه وقرأ عليه كتاب الله عز وجل وخبره بأمر الجنة والنار ، فأبى جبلة ذلك ونفر من الاسلام نفرا شديدا . فقال له

هشام : اذ قد ابيت ما دعوناك اليه فانى مسائلك ما هذه الثياب السود التى أراها عليك ؟ فقال جبلة : انى لبستها نذرا على ان لا انزعها حتى أخرجكم من الشام . فتبسم هشام ثم قال : يا جبلة انك والله لن تقدر ان تمنع مجلسك هذا منا والله لنأخذنه ولناخذن ملك الملك الأعظم (قيصر الروم) وبذلك خبرنا نبينا الصادق عليه السلام ... فلا تشك فى ذلك يا جبلة فأسود وجه جبلة ... ثم قال : الى بعثتم أم الى الملك الاعظم ؟ فقال هشام بعثنا اليك واليه . قال : فسيروا اذا اليه فأن اجابكم الى ما تريدون اجبتكم ولم اتأبى عليكم .

وهكذا أدت البعثة الاسلامية دورها المشرف وختمت مهمتها بتوجيه انذار شديد اللهجة الى جبلة الذى اضطر الى تعليق قبوله مطالب المسلمين على موقف قيصر الروم .

قيصر يرفض دعوة البعثة :

غادرت بعثة المسلمين برئاسة هشام بن العاص مقر جبلة فى غوطة دمشق وتوجهت الى انطاكية لتبليغ قيصر الروم رسالتها . ويحدثنا ابن أعثم كيف كبر المسلمون لدى وصولهم باب قيصر حيث منعهم من مواصلة التكبير وادخلهم قصره باعتبارهم رسلا . وكيف كان الروم يحسبون الحساب كله للتكبير الذى كان يطلقه المسلمون لدى فتحهم المدن والحصون .

غير ان هرقل قيصر الروم الذى أكرم وفادة البعثة رفض دعوة الاسلام خوفا من أن يؤدى ذلك الى انتزاع ملكه وسلطانه . وقد رفض هشام واصحابه قبول أى هدية من هرقل ، وعادوا الى ابى عبيدة بن الجراح ، فاخبروه بما كان من أمر جبلة وهرقل . فاستشهد أبو عبيدة بالآية الكريمة « ختم الله على قلوبهم وعلى سمعهم وعلى أبصارهم غشاوة ولهم عذاب عظيم » .

وهنا لم يبق امام المسلمين من خيار سوى قتال المشركين فاجتاح المسلمون البلقاء فى شرق الاردن ، وواصلوا تقدمهم شمالا حتى افتتحوا دمشق واوقعوا فى جموع الروم وحلفائهم فى اجنادين بفلسطين . الا أن الروم لموا شعثهم من جديد وجاءتهم أمداد كثيرة من الشمال حتى اجتمع لديهم حوالى مائة الف ، لقيهم المسلمون فى موقعة فحل شمال وادى الاردن ، وانتصروا عليهم بالرغم من أن عدد المسلمين لم يكن يزيد على عشرين ألفا .

مفاوضات بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل :

ويورد ابن أعثم أخبار مفاوضات طويلة جرت بين الروم والمسلمين قبيل موقعة فحل ، نوردها بشىء من التفصيل باعتبارها نموذجا ممتازا لمفاوضات العرب المسلمين مع أعدائهم فى ذلك الوقت . فقد بعثت الروم برسالة شديدة اللهجة الى ابى عبيدة جاء فيها : « أيها الشيخ أخرج أنت ومن معك من أهل دينك من بلادنا هذه التى تنبت الحنطة والشعير والفواكه والاعناب والخير الكثير ، وارجعوا الى بلادكم بلاد القحط والجوع والبؤس والفقر ، والا اتيناكم فيما لا قبل لكم به من الخيل والجنود ثم لا تنصرف عنكم وفيكم عين تطرف وقد أعذر من أنذر . »

رد ابى عبيدة :

ولم يكن ابو عبيدة ولا اى فرد من المسلمين ليقبل هذه الرسالة أو الانذار

نحمل رسول الروم رسالة جوابية قال فيها : ان الله تبارك وتعالى هو الذى جاء بنا اليها — اى بلاد الشام ، ولم نكن بالدى نخرج عنها فقد ورثنا الله أياها فاخذناها باسيافنا وفتحناها عنوة وغنما ونزعها الله من ايديكم وجعلها فى ايدينا ، وانما البلاد بلاد الله والعباد عباد الله ، وهو ملك الملوك يؤتى الملك من يشاء وينزع الملك ممن يشاء ويعز من يشاء ويذل من يشاء بيده الخير وهو على كل شىء قدير .. ولما رأى الله تبارك وتعالى قلة صبركم وكثرة صبرنا وقلة شكركم وكثرة شكرنا ، رآنا لهذه البلاد أهلا وابدلنا بلاد البؤس والشقاء ببلاد الخير الكثير والعيش الرفيع والجناب الخصيب ، وكنا أحق بها وأهلها لايماننا بالله وكفركم به ، فلا تحسبونا تاركيها ومنصرفين عنها ولا خارجين منها الى غيرها ، فذروا عنكم تمنى الاباطيل والامانى الكاذبة . وأما قولكم بأنكم تأتوننا فيما لا قبل لنا به فوالله لا تأتوننا بجند الا أتيناكم بمثله أو أضعافه أن شاء الله ولا قوة الا بالله ، فكونوا من ذلك على يقين .

تراجع الروم عن التهديد والوعيد :

فلما أطلع الروم على هذا الجواب الشديد داخل قلوبهم الرعب والخوف وأرسلوا الى أبى عبيدة يقولون : « ابعث الينا رجلا من صلحاء اصحابك حتى نسأله عما تريدون وتطلبون وتسألون ، ونخبره بما عندنا وندعوكم الى حظكم ورشدكم . »

سفارة معاذ بن جبل :

لم يمانع ابو عبيدة فى ذلك حتى يقيم الحجة على الكافرين قبل قتالهم ، فأرسل اليهم معاذ بن جبل الصحابى المعروف ، فأقبل اليهم معاذ على فرس له أدهم كما يصفه ابن أعثم وعلى رأسه عمامة حمراء عليه درع له سابغ قد ظاهره بحريرة صفراء وقد تقلد بسيف له يمان ، حتى اذا دنا من القوم نزل عن فرسه وأخذ بعنانه وجعل يقوده وهو يمشى اليهم . فقال بعضهم لبعض غلمانه : اذهب فامسك عليه فرسه . فقال معاذ للغلام اليك عنى فانى أمسك فرسى ولا أحب أن يمسكه غيرى واستطاع معاذ بن جبل بنفاذ بضيرته وقوة موقفه وسلوكه ان يلتزع أعجاب أعدائه به من قبل أن تبدأ المفاوضات بينه وبينهم .

ونوجز ما فصله ابن أعثم من أمر هذه المفاوضات فى أن الروم سألوا معاذ عما يريد المسلمون وعن دعوتهم وحذروه من الاستهانة بقوة الروم . وقد أجابهم معاذ بأن الله تعالى قد أمر المسلمين بجهاد الكفار فى كل مكان حيث قال فى كتابه الكريم « يا أيها الذين آمنوا قاتلوا الذين يلونكم من الكفار وليجدوا فيكم غلظة » وأكد لهم أن المسلمين لا يعتمدون فى النصر على كثرة عددهم وانما يعتمدون فى ذلك على ربهم عز وجل . وقدم معاذ شرحا موجزا لرسالة الاسلام وبعض أحكامه الهامة وتعاليمه ، ومن بينها رأى الاسلام فى عيسى بن مريم عليه السلام . وأكد لهم أن دخولهم فى الدين الجديد هو الذى يضع حدا للقتال ويجعلهم أخوة فى الاسلام للعرب المسلمين فيتحد الجانبان لقتال الأعداء . وعرض عليهم أن أبوا ذلك دفع الجزية والاقرار بالولاء والا فالقتال والمناجزة .

الروم يبداون فى تقديم التنازلات للمسلمين :

وهنا حاول الروم ان يزحزحوا معاذا عن موقفه بتقديم بعض

التنازلات فقالوا له : « أنا نرى الأمر متباعدا بيننا وبينكم متفاوتا جدا . وقد بقيت خصلة واحدة نحن نعرضها عليكم ، نعطيكم أرض البلقاء وما والاها مما غلبتم عليه وتتنحون عن بقية أرضنا ومدائننا وتكتبون لنا عليكم بذلك كتابا نسمي فيه خياركم وصلحاءكم ونأخذ فيه عهودكم ومواثيقكم ، انكم لا تطلبون من أرضنا شيئا الا ما صالحناكم عليه ، ونعطيكم منا من الوفاء مثل ذلك وتنصرفون عنا ، وعليكم بأرض فارس فقاتلوا أهلها ونحن نعينكم على ذلك .

فأجابهم معاذ : أما ما ذكرتم أنكم تعطونا أرض البلقاء ، فأن البلقاء وغير البلقاء من أرضكم بأيدينا ونحن عازمون على ان نجليكم من جميع أرض الشام ، وتكون بأجمعها لنا ان شاء الله ولا حول ولا قوة الا بالله » .

غضب الروم من كلام معاذ وطلبوا منه الرجوع الى المسلمين ، بعد أن توعدوه وقومه بأن يشتتوا شملهم في الجبال لانه لم يقبل بشروطهم . فرد عليهم معاذ : أما في الجبال فلا يكون ذلك أبدا . ولكن والله لنقتلن عن آخرنا أو نخرجكم منها اذلة وانتم صاغرون . وفي ذلك دلالة وأي دلالة على مدى أصرار المسلمين على النصر أو الشهادة ورفضهم المطلق للتراجع أو الانسحاب .

الروم توفد مبعوثا آخر لابي عبيدة :

ويبدو أن الروم لم يكونوا ليتوقعوا هذا الموقف الصارم من المسلمين كما مثله معاذ ، وخشوا ان يكون معاذ قد سلك هذا الموقف من تلقاء نفسه ، دون موافقة أبي عبيدة ، فطلبوا من الاخير أن يرسل لهم رجلا آخر من المسلمين لتوضيح الامر ومواصلة التفاوض أو يرسلوا اليه رسولا من عندهم فوافق أبو عبيدة على استقبال مبعوثهم الجديد . ويحدثنا بن اعثم عن الحيرة التي انتابت المبعوث الرومي لما شاهده من بساطة المسلمين وعدم استطاعته التفريق بين أميرهم وعامة جنده . وقد عرض مبعوث الروم على أبي عبيدة أن يأخذ كل راجل من جند المسلمين دينارين والفارس خمسة دنانير وثوبين ، في حين يأخذ أبو عبيدة الف دينار ، وخالد بن الوليد خمسمائة ، ويرسلوا الى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب الفي دينار ، مقابل جلاء المسلمين عن بلاد الشام واحتفاظهم ان شاءوا بأرض البلقاء وما والاها من بلاد الاردن .

فرد عليه أبو عبيدة ردا واضحا فصلا قال فيه : اني أخبرك ما عندي يا رومي . ان الله تبارك وتعالى بعث الينا رسولا وانزل عليه كتابا جعله رحمة للعالمين وحجة على الكافرين ، وقد أمرنا نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال : اذا لقيتم الذين كفروا فادعوهم الى الايمان بالله ورسوله والاقرار بما جاء من عند الله ، فمن أجابكم منهم الى دينكم فهو أخوكم في دينكم وشريككم في حظكم له ما لكم وعليه ما عليكم . ومن أبى منهم الايمان فاعرضوا عليه اذا الجزية حتى يؤديها عن يد وهم صاغرون فأن كرهوا ان يؤمنوا وابوا أن يؤدوا الجزية فقاتلوهم . فأن قتيلكم المحتسب بنفسه شهيد في جنات النعيم ، وقتيل عدوكم في النار والعذاب الاليم ، فأن صدقتم يا رومي بما سمعتم وقبلتم ما أعلمتم فحظكم أصبتم والخير أريد بكم وان كرهتم ذلك وادبرتم عنه وكذبتم ، فابرزوا الينا حتى يحكم الله بيننا وهو خير الحاكمين » ..

وهو ما حدث فعلا في موقعة فحل

عام ١٣ هـ التى انتصر المسلمون فيها على جموع الروم بعد ان اقاموا عليهم الحجه ودعوهم الى دعوة الاسلام والسلام .

مفاوضات أخرى بين المسلمين والروم قبيل معركة اليرموك :

ويذكر ابن أعثم الكوفى أخبارا عن مفاوضات أخرى جرت بين المسلمين والروم قبيل معركة اليرموك فقد بعث ما هان قائد قوات الروم مبعوثا الى أبى عبيدة يطلب منه ارسال رجل من المسلمين له حب للتفاوض معه قبل الحرب . فاختار أبو عبيدة خالد بن الوليد للقيام بهذه المهمة التى رافقه فيها ميسرة بن مسروق العبسى مستشارا له .

خيمة المفاوضات :

ويصف لنا ابن اعثم الخيمة التى نصبها خالد لتكون مقرا لوفد المسلمين المفاوض بقوله « فلما أصبح ابن الوليد وعزم على المسير الى ماهان أمر بقبة حمراء فضربت له قريبا من معسكرهم ، ثم ركب خالد وركب معه ميسرة وسارا جميعا حتى نزلا على باب القبة ، ثم دخل خالد الى قبته فجلس وجلس معه ميسرة بن مسروق ووقف غلام ميسرة على باب القبة يمسك فرسيهما . » ويمضى ابن أعثم فى القول أن المفاوضات جرت فى مقر ماهان الذى أعجب بخالد ورجاحة عقله ، وبخاصة عندما أصر خالد على اصطحاب مستشاره ميسرة بن مسروق ، وأكد لماهان أن فى عسكر المسلمين أكثر من ألف رجل لا يستغنى عن رأيه ومشورته . وهنا يقف المرء اعجابا بالعبقرية العربية فى ذلك العصر ، ويفهم السر الكامن وراء الانتصارات الباهرة والمكانة المرموقة التى احرزها العرب المسلمون خلال فتره وجيزة من الزمن .

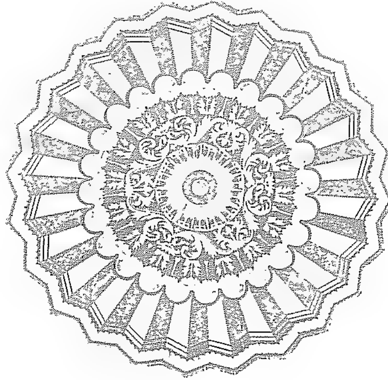
وقد حاول ماهان أن يتقرب الى خالد ويتودد له ، وابدى أعجابه بفسطاطه فوهبه خالد اياه ، ولكن ذلك لم يثن خالدا عن هدفه الاصلى وموقفه الثابت من المفاوضات وقد عرض ماهان على خالد ان يتنازل الروم للمسلمين عن جميع الاموال والاسرى الذين وقعوا فى قبضتهم خلال الحروب الاولى مع الروم ، وعرض دفع عشرة آلاف دينار لعمر ابن الخطاب وخمسة آلاف لابى عبيدة ومثلها لخالد ، ولمائة من رؤساء المسلمين لكل منهم ألف دينار ولكل من راجليهم خمسون دينارا . وذلك فى مقابل انسحاب المسلمين من بلاد الشام وعدم العودة اليها .

ولم يكن من الممكن قبول هذا العرض المادى الذى يصور المسلمين وكأنهم انما خرجوا طلبا لعرض الدنيا ومنافعها المادية لا لنشر الاسلام والدعوة الى رسالته الجديدة . وكان رد خالد واضحا كل الوضوح وهو أن المسلمين عندما خرجوا لفتح بلاد الشام كانوا يعرفون قوة الروم وحلفائهم وانهم انما خرجوا يحملون الاسلام لتبليغ رسالته للمشركين ، وبسط له تعاليم الدين الجديد ومبادئه وقال له : « ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أمرنا أن نقاتل من زعم ثانى اثنين أو ثالث ثلاثة حتى يقولوا لا اله الا الله وحده لا شريك له ، وأن محمدا عبده ورسوله ، فان قلتم ذلك فقد حرمت علينا دماؤكم واموالكم الا بحقها ، وانتم أخواننا فى ديننا وشركاؤنا فى حظنا ، وان انتم ابيتم ذلك فأدوا الجزية عن يد وانتم صاغرون ، فأن ابيتم ذلك قاتلناكم على

بصيرة ويقين انه من قتل منا كان حيا عند الله شهيدا مرزوقا ، ومن قتل منكم كان كافرا وصار الى النار مخلدا فيها ابدا . فاختر الآن يا ماهان ما احببت ، واعلم أنه قد جاءك قوم هم احرص على الموت منكم على الحياة ، فاخرجوا بنا على بركة الله حتى نحاكمكم إلى الله ، فأن الارض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين » .

وصدق الله العظيم وعده وكتب النصر للمجاهدين الصابرين على الروم المشركين الذين رفضوا قبول دعوة الهدى والايمان .

ونتبين من هذه المفاوضات التى يفيض ابن أعثم الكوفى فى ذكر تفاصيلها ، أن العرب المسلمين خرجوا من جزيرتهم مجاهدين فى سبيل الله ونشر دعوته الاسلامية متمسكين بتعاليم دينهم وقدموا المهج والارواح رخيصة من أجل انتصار الاسلام . وقد حرصوا على دعوة المشركين الى اعتناق الدين الجديد قبل قتالهم ، ومن اجل ذلك أرسلوا الوفود واستقبلوا رسل الكفار واتصلوا بهم لتوضيح موقفهم وتبليغ المشركين رسالتهم الاسلامية بالطرق السلمية . الا أن اعداءهم أصروا على رفض دعوة الحق ، ولم يفطنوا الى التغيير الشامل الذى أحدثه الاسلام فى نفوس العرب وجعل منهم خير أمة أخرجت للناس لهدايتهم . وظلوا يحسبون العرب المسلمين قوما خرجوا من الجزيرة من أجل الغزو والمغانم ، ولذلك كانت عروضهم خلال المفاوضات كلها تتمشى مع هذه النظرة الضيقة . وهو أمر كان لا بد أن يؤدى الى فشل جميع الاتصالات التى جرت مع الروم وبخاصة أن كل فرد من المسلمين كان يؤمن بحقه ويعرف هدفه ولا يفرط قيد انملة فيه ، مما أكسب العرب المسلمين قوة على قوة ومكنهم من الانتصار على أعدائهم ونشر الاسلام فى ربوع بلاد الشام وغيرها من أقطار المعمورة التى تعرف اليوم بالعالم الاسلامى .



مع الأمين العام للمنظمة الاسلامية العالمية

المؤتمر الإسلامي

تحقيق الأستاذ عبد الحليم عويس

منظمة المؤتمر الاسلامي

أسئلة كثيرة تتدافع الى ذهنك وأنت فى طريقك لمقابلة الأمين العام لمنظمة المؤتمر الإسلامى الاستاذ « حسن التهامى » .

إن منظمة « المؤتمر الاسلامى » هى المنظمة الرسمية المسئولة عن المسلمين فى شتى أرجاء الأرض ، وهى الجهة المخولة من قبل الحكومات الاسلامية بالنظر فى الامور التى تتعلق بالمسلمين فى حاضرهم ومستقبلهم .

وعقب قمة الملوك والرؤساء العرب فى الرباط (١٩٦٩ م) نشأت « منظمة المؤتمر الاسلامى » كتعبير عن ملامح مرحلة جديدة فى تاريخ المسلمين المعاصر .

وقبل ظهور المنظمة كان هناك « المؤتمر الاسلامى » الذى كان مقره القاهرة ، لكنه الغى بالاتفاق بين الدول المؤسسة له . ثم حاولت « رابطة العالم الاسلامى » ، وهى منظمة شعبية تتعاون مع الدول الاسلامية ، أن تلعب دور المؤتمر الاسلامى ، وقامت بجهود طيبة ، لكن المجال كان لا يزال بحاجة الى « منظمة رسمية » لها سمات العمل الرسمى وتنظيماته وامكاناته .

ومن هذا المنطلق ، ولدت منظمة المؤتمر الاسلامى ، التى يتولى أمانتها المستشار الاستاذ « حسن التهامى » الذى أعطانا — مشكورا — ساعة من وقته ، أثناء زيارة رسمية قصيرة (ليوم واحد) قام بها لدولة الكويت .

كن مع المتفائلين :

— هل نبدأ حوارنا مع الأمين العام للمؤتمر الاسلامى من نقطة « واقع

○ "القدس" المقر الدائم لمنظمة المؤتمر الاسلامي ..
○ بليون دولار : رأس مال البنك الاسلامي ..
○ جامعتان اسلاميتان في أوغندا والنيجر ..
○ قضية مسلمي الفلبين قضية ساخنة ..
○ تقنين الشريعة الاسلامية هو البداية لوجود الدولة الاسلامية

المسلمين » أم من نقطة « مستقبلهم »؟
— لقد حدد الأمين العام مسار الحوار (ومسار الاتجاه الحديث الذي يجب أن يتسم به العمل الاسلامي) حين قال لي :
« كن مع المتفائلين » ان كل الدعوات التي غيرت وجه التاريخ قد انطلقت من نقطة « تجاوز الواقع » ودعوتنا الاسلامية الانسانية العامة على رأس هذه الدعوات . ان الواقع المزلزل لم يمنع الرسول صلى الله عليه وسلم في « ظروف الخندق » أن يثق في أن الله سيحقق وعده ، وأن رسالة الاسلام ستمتد من فوق أسوار « المدينة » المحاصرة ، الى آفاق الأرض كلها .. حتى يفتح الله بلاد كسرى وقيصر !!
— ومنظمة المؤتمر الاسلامي تنطلق في « استراتيجيتها العليا » من هذه النقطة ... نقطة « استيعاب الواقع » والامساك بخيوط الأمل والنور من خلاله ، والتخطيط بالتالي للمستقبل .

● كيف .. ؟
أجاب الأمين العام :
— ان مقر الأمانة العامة للمؤتمر الاسلامي موجود في « جدة » بصفة مؤقتة ، لكن مقره الرسمي ومركزه الاساسي الدائم في مدينة « القدس » — كما قرر مؤتمر الرباط — ووجودنا في « جدة » وجود مرحلي مؤقت .
ونحن — في المنظمة — نواجه العصر ببرنامج انساني عالمي ملائم لعالمية الدعوة الاسلامية .. اننا لا نريد أن تحد انطلاقتنا « جزئية وقتية » ولا « وجهة نظر عابرة » .. هناك — بجانب « مشروع عالمية الدعوة الاسلامية » — برنامج « النشاط العالمي للشباب المسلم » في البلاد الاسلامية وغيرها .
وهناك برامج ثقافية وفكرية ورياضية واجتماعية ،سترصد لها أجهزة الرعاية الملائمة ، على مستوى الامكانات المادية وغيرها من العناصر اللازمة للنجاح . وهذه البرامج كلها عالمية الطابع .

● وعن المشروعات الأخرى التى طال انتظارنا لها .. البنك الاسلامى مثلا .. ؟

ـ أطمئنك ، وأطمئن الذين طال انتظارهم مثلك ، نحن فى عصر الدراسات الأكثر عمقا وأناة .. وفى ١٥ مايو الماضى ، عقد اجتماع للنظر فى اتمام الدراسات اللازمة التى قام بها المختصون . وبعرض المشروع على مؤتمر وزراء خارجية الدول الاسلامية المنعقد بماليزيا ، يعلن قيام البنك الاسلامى ، وتتحدد فيه حصص الدول الاسلامية للمشاركة فى رأس المال ، ويتم ـ بالتالى ـ تشكيل مجالس ادارته ، ومشروعاته فى خدمة العالم الاسلامى .

ومن المقرر أن يبدأ « البنك الاسلامى » خطوته الأولى برأس مال قدره بليون دولار (ألف مليون دولار) .

● ووكالة الأنباء الاسلامية ؟

ـ لقد دخلت ضمن مشروع « التضامن الاسلامى » ، وبازدياد تجميع رأس المال اللازم ستقوم هذا العام (١٩٣٤ هـ) ، فان مشروعها المدروس مشروع متكامل ، وسيتم تمويله هذا العام ان شاء الله .

● ونمد الطرف قليلا ، لنتعرف على خطة « المؤتمر الاسلامى » فى نشر الاسلام بافريقيا .. ؟

أجاب أمين عام المؤتمر الاسلامى :

ـ يقوم تخطيط منظمة المؤتمر الاسلامى لنشر الاسلام فى أفريقيا على ثلاث دعائم ، تمثل حصاد دراسة علمية طويلة واعية .

أولا : رعاية الشعوب الاسلامية والجماعات الاسلامية بافريقيا ، وذلك لتثبيت انتمائهم للأمة الاسلامية . وأهم وسائلنا لتحقيق هذه الغاية معاونة هذه الشعوب وتلك الجماعات على الحياة ، فقد أصاب الجفاف والقحط كثيرا من البلاد التى يقطنها هؤلاء . وان معاونتهم فى هذه الناحية ستفيدهم فى التغلب على هذه المصاعب ، وتثبيت قضية وجودهم وانتمائهم الاسلامى ، فضلا عن سد الباب امام الذين يستغلون امثال هذه الظروف لحرب الاسلام وغرس المبادىء المستوردة .

ونحن نأمل أن يتم ذلك التعاون ، بجانب اطار التعاون العربى الافريقى ودعما له .

ثانيا : تعليم الدين الاسلامى وتحفيظ القرآن الكريم ، وذلك عن طريق مد هذه الدول بالمدرسين والمبعوثين المسلمين . وهذا يتم ثنائيا بين الدول الأعضاء فى منظمة المؤتمر الاسلامى وافريقية .

والمنظمة بصدد دعم وتوسيع رقعة التعاون فى هذا المجال وتمويله .

ثالثا : تدعيم المراكز الاسلامية فى هذه البلاد ـ برسالتها المعروفة ـ وانشاء عدد من الجامعات الاسلامية بها . وهى آخر ما تقرر فى مؤتمر لاهور ، لكى تتخرج من هذه الجامعات أجيال من المثقفين ، يشاركون فى اقامة نظام الدولة الاسلامية ، واطارات الحكومة الاسلامية الطابع ، بما فى ذلك تأسيس كليات « للتكنولوجيا » والطب وغيرهما .

ونحن نرى أن الدول الافريقية تحتاج وتهتم فعلا بهذا المستوى الرفيع من الثقافة الاسلامية ، وتتمنى أن تحل محل الثقافات الأخرى الدخيلة عليها .

ـ والمؤتمر الاسلامى ، بصدد تنفيذ قرار « مؤتمر لاهور » الخاص بدراسة امكانية اقامة كليات الجامعات الاسلامية على أحدث النظم وأكثرها أصالة ، وضرورة دعم الفكر والعلوم والثقافة الاسلامية فى شتى ميادين الحياة الاسلامية .

ومعروف أن مؤتمر لاهور قد قرر ـ كبداية ـ بناء جامعتين : احداهما

فى أوغندا والأخرى فى النيجر .

وليس ثمة مانع من زيادة عدد الجامعات فى البلاد الافريقية — بعد ذلك — فالاستعداد والقبول متوفران لدى كل دول المنظمة .

● **الأقليات الاسلامية — كما تعلم سيادتكم — تؤرق الضمير الاسلامى . ولكى أكون « عمليا » أركز — فى سؤالى حول قضية الأقليات — على قضيتين ، يتميزان بمستويين مختلفين : الفلبين وتايلاند .. ؟**

— أبدأ بالفلبين ..

المؤتمر مهتم بالفلبين ، لأنها قضية « ساخنة » كما يقولون . وقد نجحت المنظمة فى أن تصل مع الرئيس الفلبينى « ماركوس » الى نتيجة ايجابية .. فقد وافق ماركوس « كتابيا » لدول المؤتمر الاسلامى على اقامة وكالة اغاثة للمسلمين فى الفلبين . ويتركز البحث الآن فى وسيلة اقامتها وأسلوب عملها ورأس المال اللازم لها .

— أما قضية « تايلاند » فليست « ساخنة » على مستوى الفلبين . ومسلمو تايلاند يلقون رعاية واستعدادا طيبا للتفاهم من حكومتهم ولا تشابه بين مشكلتهم ومشكلة الفلبين .

والذى نسعى اليه الآن هو تثبيت دعائم المسلمين فى جنوب تايلاند ومشاركتهم فى الحكم .

وقد لقيت شخصيا من المسئولين الكبار فى حكومة تايلاند الاستعداد الطيب لهذا التعاون ، وسأقوم بجولة لاحقة لإتمام ذلك ان شاء الله .

● **والتبشير ، بوسائله المعروفة ، أيضا ، من مؤرقات الضمير الاسلامى . كيف يخطط المؤتمر الاسلامى لمواجهته ؟**

— نحن — فى المؤتمر الاسلامى — نواجه التبشير ببرنامج ايجابى محدد ، انه برنامج « احياء الدعوة الاسلامية » على مستوى عالمى ، وفق تنظيم عالمى وتمويل اسلامى عالمى . وذلك هو الطريق الوحيد القادر — بعون الله — على وقف التيار الزاحف على أطراف الأمة الاسلامية ، ومواجهته ، وتثبيت عقائد الأمة الاسلامية ، بل وتنميتها .

ومن الواجب علينا ألا ننزعج كثيرا مما حدث فى العامين الأخيرين من منجزات تبشيرية ، لأن الدين الاسلامى قوى متين ، سوف لا يلبث أن يعيد الأمور الى نصابها ، بمجرد أن يبدأ هذا البرنامج . ومن واجبنا كذلك أن نخاطب وجدان المسلمين فى المناطق النائية التى تتعرض للزحف التبشيرى ، ونرعى مصالحهم ، ونحميهم من ذلك الزحف الطارىء المؤقت الانتهازى الطابع .

● **ومسلمو أوربا — سيادة الأمين العام — هل يلقون رعاية ثقافية من المنظمة .. ؟**

— هناك مشروع قائم بذاته خاص بأوربا ، يهدف الى رعاية المراكز الثقافية الاسلامية بها .

وقد تشكلت — فعلا — لجنة دائمة لمتابعة تحقيق هذا الهدف . وسوف يتبعها عمل مماثل فى الأمريكتين هذا العام (١٣٩٤ هـ) . وكلما توفر المال اللازم لهذه النشاطات ، كلما زادت خطى السعى فى هذا الشأن .

ولست أخفى أن المؤتمر الاسلامى يرحب بمعاونة الدول الاسلامية فى دعم المنظمة العالمية بالمال والجهد . ونعتبر ذلك ركنا أساسيا من أركان الجهاد فى سبيل الله ، فى عصرنا الحالى .. عصر العلم والحضارة والاقتصاد والفكر والحرب والسلام .

● **هل تتكرمون بتحديد موقف المنظمة من قضية « تغريب » المرأة المسلمة .. ؟**

— للمرأة فى الاسلام دورها وكرامتها وشرفها وأصالتها واحترامها ، سواء كانت ربة بيت أو عاملة فى

المجتمع . لكن الاسلام عندما يقيم دعائم المجتمع المتين ، يصر على احترام وضع المرأة المسلمة ، في الدرس والبيت والمجتمع .

ويفكر المسئولون في المؤتمر الاسلامي ، كجزء من برامج النشاط الاسلامي — في افريقيا مثلا — في احياء المجتمع الاسلامي ، حتى يتحقق المستوى الرفيع لكيان هذا المجتمع بشتى أفراده وطبقاته .

وفي رأيي .. أنه مهما تحدثنا عن دور المرأة في بناء المجتمع الاسلامي ، فانه يبقى علينا أن نقرر في كل تشريعاتنا تنظيم مشاركة المرأة في العمل الايجابي ، بحيث تتحقق لها كرامتها الآدمية ، ويتحقق لها احترامها كامرأة ، وأيضا .. نحافظ على شعور المجتمع الاسلامي .

فاذا شاركت المرأة في عمل رسمي فلا بد أن ترعى هي — أولا — شروط الشريعة الاسلامية في معاملاتها وآدابها .. ويبقى على المشرع — بعد ذلك — أن ينظم تعاملها مع المجتمع ، وينسق ذلك في اطار حياة الأمة الاسلامية .

وعلينا جميعا شبابا وشيوخا — كمسلمين — أن نقف حراسا على المرأة ، حتى تنسجم مع المجتمع الاسلامي ، وحتى نحافظ على كرامتها وشرفها وسترها ، مهما تشعبت بنا السبل في عملية تخويلها ممارسة أعمال ما في الدولة الاسلامية .

● وسؤالنا الأخير — مع الشكر — يتعلق بموقف المنظمة الاسلامية العالمية من « القوانين الوضعية » في العالم الاسلامي .. ؟

— ثمة محاولة في « المؤتمر الاسلامي » لتقنين الشريعة الاسلامية في شتى المجالات ، بل حتى في الاقتصاد والقانون والتعليم ، بل وفي نظم الحرب وآدابها .

وغني عن القول : ان هذه الأمة الاسلامية ، والانسانية بعامة ، لن تجد خيرا من الشريعة الاسلامية أساسا رئيسيا لكل قوانينها . والمهم الآن : تقنينها ، بالشكل الذي يغني الأمة الاسلامية — تلقائيا — عن الرجوع الى دساتير وقوانين أجنبية .

واني لآمل من الله سبحانه وتعالى أن يمكن منظمة العالم الاسلامي من ايجاد هذه الموسوعة القانونية الشرعية في مدى عام ، لتكون مرجعا لكل الدول الاسلامية في التشريع . وأحمد الله ، فان لدى العالم الاسلامي من المفكرين والباحثين ما يكفي لانجاز هذا العمل العظيم . ولا ينقصنا الا جمعهم على مستوى عالمي ، بعد توفير الامكانات اللازمة ، وبذل الجهد — بعد ذلك — لاخراج هذه الموسوعة ، وتعميمها بالطرق الممكنة .

وهذا العمل — من وجهة نظري — هو بداية وجود الدولة الاسلامية الكبرى ، حيث تعم الشريعة والقانون والدستور الاسلامي كل هذه الرقعة العريضة من الارض التي تعيش عليها الأمة الاسلامية ، وحيث يتمكن قادتنا وزعماؤنا الذين تضمهم منظمة « المؤتمر الاسلامي » العالمية — من الاستناد الى ذلك التشريع ، لتطوير النظم التقليدية الوضعية الأجنبية ، على الأسس الاسلامية ، بالتدريج ، عاما بعد عام . فيحققون — بذلك — الوجود الحضاري الأمثل للأمة الاسلامية .

نحو اقتصاد اسلامي متحرر – ٢

للدكتور : ابراهيم فؤاد احمد على

تعرضت فى المقال السابق الذى تفضلت المجلة بنشره فى عددها الممتاز رقم ١٠٩ الصادر فى غرة المحرم ١٣٩٤ هـ – يناير ١٩٧٤ م ، الى الدعوة الى الاخذ بالنظم الاقتصادية الاسلامية ، واشرت الى بعض المفاهيم الاسلامية التى تعتبر أساسا للمذهب الاسلامى والتى يدور فى اطارها النظم الاسلامية المختلفة بحسب الظروف الاقتصادية والاجتماعية لكل دولة اسلامية ، كما أوردت فى ختام ذلك المقال بيانا بموارد بيت المال الاسلامى .

وفى هذا العدد أتعرض لمورد (الزكاة) وهو من الموارد الرئيسية الشرعية لاية وزارة للخزانة أو المالية فى كل بلد اسلامى .

اولا – تعريف الزكاة

الزكاة فى اللغة هى الطهارة والنماء « خذ من اموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » والصدقة زكاة والزكاة صدقة ، يفترق الاسم ويتفق المسمى ، سميت بذلك لأنها تطهر المال وتنميه . يقال زكا الزرع اذا كثر ريعه ، وزكت النفقة اذا بورك فيها . والزكاة فى الشريعة هى « حق واجب فى مال خاص لطائفة مخصوصة فى وقت مخصوص » فهى عبادة من ناحية ، وواجب اجتماعى من ناحية أخرى ، وهى طهارة للضمير والذمة باداء الحق المفروض ، وطهارة للنفس من فطرة الشح وغريزة حب الذات ، فالمال غال وحين تجود به النفس للآخرين انما تطهر وتسمو وتشرق ، وهى طهارة للمال بأداء حقه وصيرورته بعد ذلك حلالا خالصا لصاحبه .

ولان فى الزكاة معنى العبادة لطلبها من المسلمين ، بلغ من لطف الاسلام الا يطلب من أهل الذمة من أهل الكتاب (النصارى واليهود مثلا) اداؤها واستبدل بها الجزية ليشتركوا فى النفقات العامة للدولة دون أن تفرض عليهم عبادة خاصة من عبادات الاسلام .

والزكاة ركن من أركان الاسلام الخمسة ، وفرض عين على كل من توافرت فيه شروطها . وقد فرضت فى السنة الثانية من الهجرة ، ودليل فرضيتها الكتاب والسنة والاجماع ، قال تعالى « واقيموا الصلاة وآتوا الزكاة » ، وقال الرسول عليه الصلاة والسلام : « بنى الاسلام على خمس : شهادة أن لا اله الا الله وأن محمدا عبده ورسوله وأقام الصلاة وايتاء الزكاة ، وحج البيت ، وصوم رمضان » وحين بعث الرسول معاذ بن جبل الى اليمن قال له « ادعهم الى شهادة أن لا اله الا الله وأنى رسول الله ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم خمس صلوات فى كل يوم وليلة ، فان هم أطاعوا لذلك فأعلمهم أن الله قد افترض عليهم صدقة فى أموالهم تؤخذ من أغنيائهم وترد على فقرائهم » وهذا الحديث يشير اشارة صريحة الى أن الزكاة من الموارد المالية الرئيسية للهيئات المحلية ، اذ أن الرسول أمر بجبايتها من أغنياء اليمن وانفاقها على فقرائهم .

وقد تشدد الاسلام فى ضرورة أداء الزكاة حتى أن الامر بأدائها ورد مقرونا بالصلاة فى اثنين وثمانين موضعا فى القرآن الكريم وتوعد مانعها بالعقاب الشديد ، قال تعالى « والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل الله فبشرهم بعذاب اليم . يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم هذا ما كنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون » سورة التوبة ٣٥ ، ٣٦ . وعن النبى انه قال « ان الله فرض على أغنياء المسلمين فى أموالهم بقدر الذى يسع فقراءهم ، ولن يجهد الفقراء اذا جاعوا وعروا الا بما يصنع أغنياؤهم ، الا وان الله يحاسبهم حسابا شديدا ويعذبهم عذابا اليما » .

وقد قرر الفقهاء أن من منع الزكاة معتقدا وجوبها أخذت منه قهرا ، أما من انكر وجوبها وكان ناشئا ببلاد الاسلام بين اهل العلم فهو مرتد تجرى عليه أحكام المرتدين ويستتاب ثلاثا فان تاب والا قتل . وما حروب الردة التى قام بها الخليفة الاول أبو بكر الصديق حين منعت بعض قبائل العرب اداء الزكاة الا تطبيق عملى لبيان أهمية استيفاء الزكاة بمعرفة الدولة ، ولبيان عقوبة من يمتنع عن أدائها أو ينكر فرضيتها .

ثانيا ــ خصائص الزكاة

للزكاة خصائص متعددة لا يتسع هذا المقال القصير لتناولها ، ولكنى سأقتصر على ابراز أهم خصائصها باختصار . ومن خصائص الزكاة ما يأتى :

اولا ــ الزكاة ضريبة للدولة حق جبايتها وانفاقها :

يعتقد الكثيرون أن الزكاة احسان فردى متروك للفرد الحرية فى منحه أو منعه ولكن المدقق فيها يجد أنها ضريبة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان ، وأنها من أهم الموارد الرئيسية للتكافل الاجتماعى فى المجتمع الاسلامى ، كما أن الحاكم مأمور بجبايتها وانفاق حصيلتها فى الأوجه التى حددها القرآن الكريم ، قال تعالى آمرا الرسول بجبايتها « خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيهم بها » وقال تعالى مبينا أوجه انفاقها « انما الصدقات للفقراء والمساكين » الآية . ويتبين أن مصارفها كما توجه لنواحى التكافل الاجتماعى فى معظمها ، فانها توجه كذلك لقضاء المصالح العامة فى الدولة . وقد قام الرسول بجبايتها وانفاقها ، كما أرسل عماله لجبايتها من القبائل ، وبين لهم وعاءها وكيفية انفاقها . وقام بذلك الخلفاء الراشدون من بعده . وأبادر الى بيان أن الامر بأخذ الصدقة فى الآية

الشريفة المقصود به صدقة الفريضة وهى الزكاة ، وهي بخلاف صدقة التطوع المتروك امر منحها او منعها للفرد ، فان اداها استحق المثوبة وان منعهـــا فلا تثريب عليه .

ونحاول الآن اثبات ان الزكاة ضريبة . فالضريبة تعرف بأنها فريضة من المال تستأديها الدولة أو السلطات المحلية من رعيتها والقاطنين بها على قدر يسار كل مكلف لتمكينها من أداء المرافق العامة التى تضطلع بها . ولنبحث الآن اركان الضريبة لنرى مدى انطباقها على الزكاة :

١ ــ الضريبة فريضة ، أى ان اداءها واجب على المكلف فهو ليس حرا فى ادائها ولا فى اختيار مقدار ما يدفع منها ، ولا فى كيفية الدفع وموعده ، بل يحدد المشرع ذلك كله ويلزم الكافة باحترام هذا التحديد حتى ولو كان منهم من يعارضها . والزكاة أيضا فريضة فأداؤها واجب على كل من عنده النصاب حتى أن اليتيم يكلف وليه بأدائهـــا ، وحدد الشرع كيفية أدائها وموعده ، فمثلا زكاة الزروع تستحق عند نضج المحصول « وآتوا حقه يوم حصاده » .

٢ ــ لا تفرض الضريبة الا على الاشخاص لأن الضريبة تكليف او واجب وليس غير الشخص من يؤدى هذا الواجب فاذا فرضت ضريبة على المبانى مثلا فان الذى يكلف بدفعها هو صاحب المبانى وكذلك الزكاة فان محل التكليف فيها الاشخاص مع انها مفروضة فى اموال مختلفة .

٣ ــ أن الضريبة لا تكون ضريبة الا اذا فرضتها سلطات عامة كالدولة بالنسبة للضرائب المركزية والسلطة المحلية بالنسبة للضرائب المحلية . وكذلك الزكاة فلم يتركها الله سبحانه وتعالى للحكام يفرضونها حسب أهوائهم ، بل فرضها الله وجعل ولاية جبايتها وانفاقها للسلطات العامة بشروط معينة ، وقد اوجب كثير من الفقهاء دفعها الى الامام حتى ولو كان جائرا .

٤ ــ تجبى الضريبة لاداء المرافق العامة التى تضطلع بها الســـلطات العامة ، فلا يدخل فى حسبان مقدار ما يفرض منها على المكلف مقدار النفع الذى سيؤول اليه بالذات من اداء هذه المرافق بل يوزن هذا التكليف بمقدار اليسار قل نفع المكلف أو كثر أو انعدم . وكذلك الزكاة فانها تجبى وينفق جزء منهـــا لأداء المرافق العامة فى الدولة بصرف النظر عما يعود على دافعها من منافع مادية وبقدر يسار كل مكلف تفرض الزكاة الواجبة فى أمواله .

ويتبين من هذا مدى توافر أركان الضريبة فى الزكاة والتى تجعلنا نحكم عليها بأنها فريضة تقوم الدولة بجبايتها وانفاقها ، وليست كما قد يظن البعض فى عداد الصدقات الفردية والتى يترك أمرها للافراد أنفسهم يخرجونها ان شاءوا او يمنعونها .

ثانيا ــ الزكاة من الضرائب المحلية :

من المعروف فى المالية الحديثة أن هناك ضرائب تفرضها الحكومة المركزية تتسم بالطابع الشخصى كضرائب الدخل واخرى تفرضها الحـــكومات المحلية تحصلها وتنفقها فى نطاقها المحلى وان لم تف الضرائب المحلية بنفقات الهيئات المحلية ، فعلى الحكومة المركزية أن تمدها باعانات مالية . والمعروف كذلك أن الاساس فى مالية الدولة الاسلامية أنها قائمة على أساس اللامركزية أو على نظام مالية الهيئات المحلية فى العصر الحديث ، فكل اقليم له موارده المـــالية الخاصة به ينفق منها ما يحتاج اليه من نفقات فى المرافق والمصالح المختلفة فان

بقى فضل من موارده أرسل الى بيت المال المركزى وان لم يبــق شىء من تلك الموارد واحتاج الاقليم الى معونة بيت المال الرئيسى كان عليه اعانته .

والزكاة من الضرائب المحلية التى تؤخذ من المكلفين فى مكان وتنفق على المستحقين من أهل ذلك المكان وما بقى بعد ذلك يرسل الى بيت المال الرئيسى لينفق على القرى القريبة من ذلك المكان والتى تحتاج الى الاعانة ، وقد اهتدت كثير من الدول حديثا مثل انجلترا وفرنسا والولايات المتحدة الامريكية وغيرها من الدول الى قواعد مالية الهيئات المحلية التى عرفها الاسلام منذ حوالى أربعــة عشر قرنا وجعلت للضرائب المحلية أهمية كبيرة من ناحية تحصيلها وانفاقها فى مكانها .

وهناك الكثير من الأدلة التى تثبت أن ضرائب الزكاة بأنواعها المختلفة من الموارد المحلية ، أولها الحديث الشريف الذى أوردناه عندما أرسل النبى معاذا الى اليمن وأمره بأن يأخذ الزكاة من أغنيائهم وينفقها على فقرائهم ، وكذلك فان معاذا مكث باليمن أيام الرسول وأيام خلافة الصديق أبى بكر وأيام خلافة عمر بن الخطاب وحدث أن بعث معاذ الى عمربن الخطاب بثلث صدقة الناس فأنكر عليه عمر ذلك وقال له : لم أبعثك جابيا ولا آخذ جزية ولكن بعثتك لتأخذ من أغنيـــاء الناس فتردها على فقرائهم . فرد عليه معاذ بقوله : « ما بعثت اليك بشىء وأنا أجد أحدا يأخذه منى » فلما كان العام الثانى بعث اليه بشطر (بنصف) الصدقة فتراجعا بمثل ذلك فلما كان العام الثالث بعث اليه بها كلهـــا (أى بعث اليه بالصدقة كلها) فراجعه عمر بمثل ما راجعه قبل ذلك فقال معاذ « ما وجدت أحدا يأخذ منى شيئا » ويتبين مما حدث بين معاذ وعمر بن الخطاب أن الوالى على اليمن وهو معاذ لم يرسل الى بيت المال المركزى الا الفائض من موارد بيت المال الفرعى باليمن وأن مفهوم مالية الهيئات المحلية كان متأصلا فى فهمه وثابتا لديه بدليل انه كان يرد على عمر بقوله : إنه انما بعث اليه الفائض وانه لم يجد أحدا يستحق شيئا من أهل اليمن .

وهناك دليل آخر على أن موارد بيت المال الفرعى ــ ومنها الزكاة ــ تنفق حيث تجبى وهذا الدليل يبين من انه روى أن زيادا أو أحد الأمراء بعث عمران على الصدقة فلما رجع عمران للأمير قال له الامير : أين المال ؟ فقال له عمران « اللمال بعثتنى » ؟ « أخذناها من حيث كنا نأخذها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ووضعناها حيث كنا نضعها على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم » وهذه الواقعة تبين أن الامير سأل عن المال اعتقادا منه أن عمران كســائر العمال الذين يجمعون الاموال ويحملونها الى الامراء ليصرفوها فى مصارفهم الخاصة فأنكر عليه عمران ذلك وأوضح له أن المتبع فى عهد النبى هو صرف الزكاة لمستحقيها فى المكان الذى جبيت منه . الا اذا فاض منها شىء فانه ينقل الى مكان آخر عن طريق بيت المال الرئيسى .

وحديث آخر عن الامام أحمد بن حنبل أنه قال : « لا تخرج صــدقة قوم من بلد الى بلد الا أن يكــون فيها فضــل عنهــم لأن الــذى كان يجىء النبى صلى الله عليه وسلم وأبا بكر وعمر من الصدقة انما كان فضل عنهم يعطون ما يكفيهم ويخرج الفضل عنهم » ومن هذا يتضح أن نظام جباية الزكاة وانفاقها يتفق مع أحدث النظم المالية للهيئات المحلية .

ثالثا ــ الزكاة ضريبة على راس المال والدخل :

من القواعد الاساسية فى النظم المالية أن الضرائب لا تقع الا على الدخل

لانها تتجدد سنويا فيجب ان يكون وعاؤها مماثلا لها فى التجدد والتـــكرار والوعاء الذى تنطبق عليه تلك الشروط هو الدخل حيث أنه مال دورى يؤول للفرد . اما اذا تجاوزت الضرائب دخول الافراد وامتدت الى رؤوس أموالهم المنتجة لهذا الدخل وأخذت جانبا منها فانها تلتهم الثروة القومية تدريجيا وتمحق شيئا فشيئا راس المال القومى ولو انه قد تحصل بعض الاستثناءات لهذه القاعدة وتفرض الضريبة على راس المال بنسبة كبيرة بقصد الاستيلاء على جانب منه يفوق الدخل الذى يدره .

وهناك اسلوبان لربط الضرائب المباشرة على الدخل احدهما ربطها على اساس راس المال المنتج لهذا الدخل بحيث لا تقع الضريبة الا على الدخل المنتظر نتاجه من هذا المال ، والاسلوب الثانى ربطها على الدخل مباشرة بعد أن يقاس هذا الدخل باحدى طرق القياس المعروفة لدى السلطات المالية ، وللدولة الخيار فى اصابة دخل الفرد بطريق الضرائب المباشرة بين ربطها على الدخل ذاته أو ربطها على راس المال لاصابة الدخل المنتظر أو الجائز نتاجه منه .

وقد روعى فى فرض الزكاة أنه لا بد من توافر النصاب المحدد لها والذى يختلف بحسب نوع المال المفروضة فيه كما أنها لا تجب الا فى مال نام فعلا أو تقديرا حال عليه الحول (أى مضى عليه سنة) الذى هو مظنة انتاجه وأثماره ومظنة لأن يكون أداء الزكاة من ثمرته لا من أصله وقد أوصى الرسول باســتثمار الاموال لتعطى عائدا تؤدى منه الزكاة فتحافظ بذلك على رؤوس الاموال وتكون متداولة غير عاطلة . ويؤيد ذلك الحديث الشريف « الا من ولى يتيما له مال فليتجر له فيه ولا يتركه فتأكله الصدقة » وفى هذا الحديث اشارة واضحة الى استثمار الاموال بمعرفة ولى اليتيم فما بالنا بأموالنا نحن .. ؟ من البديهى انها اولى بالاستثمار ليمكن أداء الزكاة من عائدها .

وعلى ذلك فهل الزكاة ضريبة على راس المال أم على الدخل .. ؟ الواقع أن للزكاة وضعا فريدا بين الضرائب فهى تجب فى راس المال المتداول كالنقود وعروض التجارة (السلع المعدة للاتجار) ولا تجب فى راس المال الثـــابت كالمبانى والارض وأدوات الحرفة التى يستعملها الصناع والحرفيون .. الخ . والزكاة بالنسبة للنقود وعروض التجارة تعتبر ضريبة على راس المال المتداول والدخل معا حيث أنها تفرض فى نهاية العام على هذه الاموال بالنسبة لأصلها والدخول التى تولدت عنها ، أما بالنسبة لراس المال الثابت فانها لا تجب فيه انما تجب على الدخل الناشىء عنه فقط ، فمثلا فى زكاة عروض التجارة فانهـــا تجب على راس المال المتداول وصافى الربح معا حسب نتيجة الجرد والحسابات الختامية فى نهاية العام اذ على التاجر أن يجرد ما عنده من ســـلع ويقومها ويضيف الى قيمتها ما عنده من أموال وديون قوية له فى ذمة الغير ويخصم من ذلك الديون التى عليه للغير (المطلوبات) والناتج هو وعاء ضريبة الزكاة . اما فى حالة المحاصيل الزراعية فان الزكاة لا تجب على الارض الزراعية وهى أصل ثابت بل تجب على المحصول الناتج منها بنسب خاصة فهى ضريبة على الدخل فى حالة راس المال الثابت .

ونخلص من ذلك الى أن ضريبة الزكاة تجب على راس المال المتداول أو العامل والايراد معا ، لا الايراد وحده كما هو الحال فى الضرائب الحديثة .

وسيكون موضوع المقال التالى باذن الله أنواع الاموال التى تجب فيها الزكاة .

قالت صحف العالم

وليس هو إلا الدين

لم يتعرض الدين أى دين كان ، والدين الحق بالخصوص ، فى جميع العصور الماضية ، لمثل ما يتعرض له فى العصر الحاضر من انكار وتشنيع ، فمن وصفه بأنه خرافة ، وانه أفيون الشعوب ، وانه ضد العلم وضد الحضارة .. الى الازراء على أهله ورميهم بأقبح التهم كالتعصب والنفاق والتخلف والرجعية ، وما الى ذلك ، هذا على حين أن الأكثرية من الأمم والشعوب ما تزال متمسكة بعقيدتها الدينية ، ومتشبثة بشعائرها من عادات وعبادات ، سواء كانت من أتباع الأديان السماوية أو من منتحلي الأديان الأخرى حتى الوثنية منها ، وذلك لأن حاجة البشر الى الدين كحاجتهم الى الطعام والشراب ، فإذا كان الجسم لا بد له من غذاء لاستكمال نموه والمحافظة على سلامته واستوائه ، فان الروح التى بها يعد الانسان إنسانا ، أولى بما يقيم أودها ويذكى شعلتها ، وليس هو إلا الدين .

وإنك لترى كثيرا من المسرفين على أنفسهم فى ساعات الحسرة والضيق والاضطرار ، فتلاحظ من تعلقهم بالله والتضرع اليه ورجاء رحمته ما تقضى منه العجب ، بل انى لا أشك فى أن أكبر الملحدين حين تنزل به النازلة لا يقوى لها على دفع ، من خطر عظيم يتعرض له ، أو داء عضال يصيبه ، بله حادث الموت إذ يستيقنه ، لن يتردد فى التطلع الى السماء والرجوع عن غلوائه ، مما يدل على أن التدين غريزة طبيعية فى الانسان لا يمكنه أن يتخلص منها ولا أن يتخلى عنها وأن أنكرها أحيانا وتوهم انه يستطيع أن يعيش بدونها ، ولنقرأ على سبيل المثال قوله تعالى فى شأن فرعون : **(فلما أدركه الغرق قال آمنت)** ، والأمثلة على ذلك من غير القرآن فى الواقع المحسوس ، والتاريخ المتداول ، والنصوص الأدبية ، شعرية ونثرية ، وصفية وذاتية ، كثيرة لا نستطيع أن نلم بها هنا .

إنما المشكل الذى تحار فيه الأذهان ، هو أن يكون هذا مقام الدين فى النفوس وعلى الصعيد العملى ، فى الوقت الذى تشن عليه الحرب التى لا هوادة فيها ، ويقاوم بكل الوسائل ، سواء فى البلاد التى أعلنت لا دينيتها بصراحة ، أو التى ما تزال تدعى بأنها متدينة رسميا .

والحقيقة أن المعركة ضد الدين ، ليست معركة الأمم والشعوب ؛ وإنما هى معركة طائفة من الناس استولوا على مقدرات بلادهم وأخذوا زمام السلطة فيها أما باستعمال القوة والعنف أو بطريق المكر والخداع ، فاستطاعوا أن ينفذوا مخططاتهم فى السياسة والاقتصاد ، وأن ينشروا أفكارهم التى تهدم دعائم المجتمع المتدين ، لأنه لا يتلاقى ومخططاتهم المبنية على فلسفة مادية إلحادية .

عن مجلة (الرائد) الهندية

الفتاوى

اذان الفجر

السؤال :

يطالب بعض الناس بمنع اذان الفجر من مكبرات الصوت بدعوى انه يزعج الاطفال ويؤذى المرضى ، فما راى الاسلام فى هذه الدعوى .. ؟

الاجابة :

الأذان شرع لاعلام أهل المدينة أو القرية أو الحى بدخول وقت الصلاة للتوافد على المسجد لأداء الفريضة ، ونظرا لاتساع المدن والقرى والأحياء وما تحدثه المواصلات والمصانع وازدحام الناس من جلبة وضوضاء فان الحاجة ماسة الى استعمال مكبرات الصوت للاعلام بدخول وقت الفريضة ، وصلاة الفجر تحين والناس نيام ، فهم فى امس الحاجة الى صوت يسمعهم ، ونظرا لما يطرأ على المسلمين فى هذه الفترة من كسل وتراخ واستسلام للنوم الذى يحرمهم من ثواب حضور هذه الصلاة المشهودة كانت الحاجة أشد الى من يهزهم للمبادرة لادراك فضل الله الذى يفيضه على من يشهد هذه الصلاة .

ولصلاة الفجر اهمية خاصة فقد قال الله تعالى : « وقرآن الفجر ان قرآن الفجر كان مشهوداً » وقال صلى الله عليه وسلم « ركعتا الفجر خير من الدنيا وما فيها » والتبكير فى اليقظة من النوم من أمارات النشاط والصحة والتأخر فى النوم من علامات الخمول والضعف ، ونحن فى عصر ننادى فيه بمضاعفة الانتاج ، واليقظة مبكرا خير عون على النشاط والعمل ، والاعتراض على أذان الفجر فى مكبر الصوت نتيجة لعدم تذوق حلاوة وثمرة اليقظة المبكرة ، ونتيجة لعدم تذوق حلاوة الطاعة والوقوف بين يدي الله سبحانه في هذه الفترة من اليوم ، ونتيجة للسهر المضنى فيما لا ينفع ولا يفيد ، ولماذا لا نعود أطفالنا منذ نعومة أظفارهم هذه العادة الاسلامية الكريمة ، وأى شىء يقوى نفسية المريض أكثر من ذكر الله والالتجاء اليه سبحانه وطلب الشفاء من عنده ؟.

على أصحاب هذه الدعوة أن يتقوا الله ويجربوا بأنفسهم حلاوة الطاعة والعبادة والامتثال لأمر الله .

اجرة المواصلات

السؤال :

ركبت سيارة عامة ، واعطاني راكب (تذكرته) قبل ان ينزل فامسكتها بيدى ، ولما رآها المحصل لم يطالبنى بثمن تذكرة ، فهل هذا حرام ام حلال .. وما الحل اذا كان حراما .. ؟

الاجابة :

هذا تهرب واحتيال على دفع ثمن اجرة الركوب ، والراكب الذى اعطاك تذكرته شريك لك في الاثم ، ويجب عليك أن ترده (للهيئة التى تملك السيارة) وذلك بأن تشترى تذكرة ولا تركب بها ، أو تشترى تذكرتين واحدة لسداد الدين الذى عليك ، والاخرى ثمنا لركوبك مرة ثانية ، ولا داعى لاعلام المحصل بالقصة والله ستار كريم .

تصفيف الرجال
شعر النساء

السؤال :

هل هناك مانع شرعا يمنع الرجال من تصفيف وقص شعر النساء .. ؟

الاجابة :

قيام الرجل بتصفيف ، أو قص شعر المرأة الاجنبية عنه حرام شرعا ، اذ يحرم على الاجنبى لمس جسم المرأة أو شعرها الا عند الضرورة ، كأن يكون طبيبا لتشخيص المرض والعلاج ، وتصفيف الشعر أو قصه ليس من الضرورات التى تبيح ذلك .

ويجوز للمرأة أن تقوم بهذا العمل .

فى الميراث

السؤال :

توفيت زوجة عن زوج وبنتين واب وام ، ولم تترك الا اثاث منزلهـــا ، وقدرت قيمته بالف دينار ، وتركت مؤخر صداقها وقدره ثلاثمائة دينار ، فهل يضم مؤخر الصداق الى التركة .. ؟ وهل يرث الزوج فيه .. ؟ وما نصيب كل وارث .. ؟

الاجابة :

مؤخرا الصداق يعتبر شرعا دينا للزوجة على الزوج ، يحل سداده أما بالطلاق أو بالوفاة ، وبناء على هذا اذا توفيت الزوجة كان مؤخر الصداق تركة لها ويورث عنها ، فيضم الى جميع تركتها ويأخذ كل وارث نصيبه الشرعى فيها بما فى ذلك مؤخر الصداق ، وتوزع التركة على النحو التالى :

— للزوج الربع . وللبنتين الثلثان . وللأب السدس وللأم السدس .

فتجمع التركة وتقسم على ١٥ مضروبة فى سهم كل وارث ليخرج نصيبه من التركة .

بريد الوعي الإسلامي

تفسير آيـة

أرسل القارىء السيد **وليد ابراهيم سعيد** يستفسر عن معنى قوله تعالى : **(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا . ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها جثيا)** .

• • • • •

ونقول للقارىء الكريم جاءت هذه الآية الكريمة فـى معرض الحديث عـن البعث والمنكرين له :

(ويقول الانسان أئذا ما مت لسوف اخرج حيا) ؟ .. ويقرر القرآن الكريم ان البعث اقرب الى التصور من النشأة الاولى (أولا يذكر الانسان أنا خلقناه من قبل ولم يكن شيئا) ؟ ثم يقسم الله سبحانه أنهم سيحشرون بعد البعث لا محالة **(فوربك لنحشرنهم)** ولن يكونوا وحدهم بل (والشياطين) جاثين على ركبهم فى ذلة وفزع حول جهنم .. ثم ينزع منهم من كانوا اشد عتوا وتجبرا ويلقون فى النار .. وان الله ليعلم من هم أولى بأن يصلوها .. وان المؤمنين ليشهدون هذا العرض الرهيب .. فهم يردون فيدنون منها وهى تتميز وتتلمظ ويرون الطغاة العتاة يقذفون فيها .. **(وان منكم الا واردها كان على ربك حتما مقضيا)** .. ثم يزحزح المؤمنون عنها وينجون بأعمالهم **(ثم ننجى الذين اتقوا)** ويبقى فى العذاب أولئك الطغاة **(ونذر الظالمين فيها جثيا)** .

ومن هنا نرى أن ورود الجحيم المقصود فى الآية الكريمة بالنسبة للكفـار دخول فيها .. وبالنسبة للمؤمنين مرور بها ومشاهدتها عن قرب ..

وقيل : جميع الخلق يدخلونها فتكون بردا وسلاما على المؤمنين .. ووبالا ونكالا على الكافرين .

وقيل : ان الورود ممر عليها .. قال ابن مسعود : يرد الناس النار ، ثـم يصدرون عنها بأعمالهم ، فأولهم كلمح البرق ، ثم كالريح ، ثم كحضر الفرس (أى : كعدو الفرس) ، ثم كالراكب فى رحله ، ثم كشد الرحل ، ثم كمشيه .

وقيل : ورودها : حضورها .

وقيل أيضا : ورود المسلمين مرور على الجسر ، وورود المشركين دخولها .

نظرية دروين

كلما قرأت عن نظرية دروين أجد شكا فى صدرى وحيرة وقلقا .. فبعضهم يقول : نظرية دروين تتعارض مع الدين .. وبعضهـم الآخـر يقول : بل هـى لا تتعارض مع الدين ...

ارجو إجابتي عن الآتي :

١ ـــ هل اصل الانسان قرد أو اصله انسان . وما راى العلماء ؟

٢ ـــ هل ما ورد في تفاصيل نظريه النشوء والارتقاء حقائق علميه يستطيع صاحبها ان يجزم بصحتها ام انها مجرد احتمالات ؟

٣ ـــ هل تتعارض فكره التطور مع الدين أم لا ؟

ارجو التكرم باجابتي مع الشكر .

على دهب عبد الجابر
كلية الاقتصاد ـــ جامعة الخرطوم

ونقول للقارىء الكريم :

اولا : ان اصعب مسألة من مسائل علم الحياة استبهمت على علماء الطبيعه هي : ما هو مبدأ الحياة ؟

ودينننا يجيب على هذه القضية في يسر وسهولة .. بما يتفق مع العقل الواعي والفطره السليمة .. فهناك قوة عليا هي التى أوجدت الحياة والاحياء .. وجعلت بين المخلوقات تنوعا وتفاضلا يدل على الخالق الحكيم .. الله سبحانه وتعالى (**إنما امره اذا أراد شيئا ان يقول له كن فيكون**) . وكل الآثار الموجودة فى الكون والمشاهدات والقوانين الطبيعية المحسوسة تدل عليه سبحانه وتعالى بما لا يدع مجالا للشك أو الجدل ..

أما بعض علماء الغرب : فلسبب او لآخر لم يشاءوا ان يؤمنوا بما هو فوق الطبيعة فراحوا يبحثون عن علة هذه الحياة .. وكيفية نشوئهاوتطورها ضاربين هنا وهناك محاولين التملص من الاقرار بوجود قوة عليا .. قادرة .. خالقة .. فلجأوا في تسفير ظواهر الحياة الى القياس والخرص والرجم بالغيب . وقد قال الله : (**ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق انفسهم**) .

لذا فالقول الحق هو قول القرآن الكريم (**لقد خلقنا الانسان في احسن تقويم**) .. فقد خلق الانسان انسانا منذ اللحظة الأولى .. ولم يكن شيئا آخر غير كونه انسانا ..

ثانيا : ما قال دروين انه قد ادرك الحقيقة .. والقائلون بنظريته لا يعتبرون قياسهم حقيقة وفكرتهم واقعا .. بل قال دروين وقالوا : (نظن كذا) .. و (لعل كذا) .. ولكنأناسا ادعوا العلم تلقفوا النظرية ولقنوها لتلاميذهم على أنها حقيقة واقعة بعد أن حذفوا (نظن) و (لعل) . فما تزال نظرية النشوء والارتقاء حتى اليوم مجرد نظرية خيالية لا أساس لها فى الواقع .. والأمر الجدير بالاعتبار هو اليقين والواقع لا التخمين والرجم بالغيب .

ثالثا : ان الله سبحانه وتعالى خلق جميع الخلائق على ما هى عليها .. وأبقي منها على قيد الحياة ما تدعو اليه حاجة الانسان .. وهلك ما لم تعد هناك حاجة له (الله خالق كل شىء) .. وقال تعالى (**يايها الناس ضرب مثل فاستمعوا له أن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيئا لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب**) .

فليس هناك دليل واحد على تطور هذا من ذاك .. ولو انطلق دروين فى بحثه من حقيقة وجود الخالق لعلم ان التنوع والتفاضل من الخلية الواحدة الى الانسان الكامل جاء نتيجة لتخطيط حكيم مدبر .. وان الحكيم المدبر ما زال يخرج كل الانواع الى حيز الوجود بمزاياها المخصوصة المتنوعة بالتدريج .. تعالى الله وجلت قدرته .

بأقلام القراء

للأستاذ : ق . ق

ان المبادىء البشرية مهما تعددت اسماؤها ، وتغيرت الوانها تجمعها سمة واحدة وميزة بارزة ، وهذه الميزة البارزة هى انها لا تعترف بتوحيد الله ، وهذه المبادىء البشرية تسلك احد سبيلين لا ثالث لهما فى انكار وحدانية الله .

السبيل الأول هو ان تغالط ، وتكذب ، فتنكر وجود الله متخذة من هـذا الانكار تبريرا لتصرفها فى وضع هذه المبادىء البشرية المعتمدة على الالحاد وانكار وجود خالق السموات والارض .

والسبيل الثاني ان تشرك بالله آلهة اخرى ، وتحدد واجبات كل اله .

وهذا النهج الذى نهجته المبادىء البشرية التى تدعى انها لا تنكر وجـود الله ، أو لا تمنع عبادته وتقصد بالعبادة المفهوم الضيق الذى تحدده هى ، أو انها لا تمنع الناس من دخول المساجد أو وجود بعض المساجد التى لم تستطع هدمها حتى الآن والتى يؤمها بعض العجزة فى الوقت الذى لا يكون للشريعة أو المسجد اى توجيه فى الحياة العامة ، انه مسلك تعدد الالهة الذى انتشر فى بـلاد اليونان فى عصرهم الذى يسمى بالعصر الذهبى فقد تعددت الالهة عندهم ، وحددوا واجبات كل اله ، فبعد ان صنعوا آلهة من حجر قالوا : هذا هو اله الجمال ، وهذا هو إله الحب ، وهذا هو إله الرياضة ، وهذا اله الحرب ، وهذا اله الزرع .

والمنطق الصحيح يقضى أحد أمرين ، اما أن تكون هذه آلهة حقا ، واما الا تكون كذلك ، فان كانت آلهة حقا فلا يستطيع أحد من البشر ان يحدد واجباتها . فيقول لها انت الهة للجمال فقط ، أو غيره . واياك اياك أن تتدخلى فـى أمـور اخرى . يا لها من آلهة عاجزة زائفة يحدد واجباتها المخلوق .

ولقد تكررت المهزلة فى القرن العشرين وظن مخترعو المبادىء البشرية ان خالق السموات والارض شانه شان الآلهة الزائفة ، التى اخترعها اليونان ، فقالوا انه داخل المسجد فاعبدوه داخله ، واياكم اياكم أن تعبدوه خارجه . وهذا يقال دائما على السنة انصار المبادىء البشرية بلسان الحال ان لم يكن بلسان المقال ، بل انهم يقولونه بلسان المقال وان اختلفت الاساليب والمعنى واحد ، فيقولون اتبعوا الاسلام داخل المسجد وادوا الصلاة لا نمنعكم منها ، ولكن إذا خرجتم من المسجد فاتبعوا سبيلا غيره اتبعوا للاقتصاد سبيل الاقتصاد الجماعى فانه لا

يتعارض مع الاسلام واتبعوا سبيل الديمقراطية للسياسة فان الاسلام ديمقراطي واتبعوا سبيل الوجوديه للتفكير فان بعض فلاسفة الوجوديه مؤمنون ، فلا ضير عليكم اذا اتبعتم سبيلها ، وعليكم باتباع فلسفة البراجماتزم النفعيه للاخلاق أو فلسفة فرويد سواء بسواء ، أما قواعد علم الاجتماع فعليكم باقتباسها من الغرب فان الاسلام يؤيد الحضارة الغربية بقضها وقضيضها وبشرها وخيرها (ان كان فيها خير) هذه الاقوال التي يرددها الكثيرون ، ويرددها البعض بجدية تامة لا اثر فيها للهنه ، ولا ادري من يخادع هؤلاء ، الا يعلم هؤلاء انهم اذا استطاعوا خداع بعض السذج والبسطاء فانهم لا يستطيعون مخادعة رب السماء وهم يتجرأون على مبارزته ومسخ شرعه .

ان مثل هذه الحكايات التي تصدر من هؤلاء الذين يريدون تطبيق شرائعهم بدلا من شرع الله بدعوى أنهم مسلمون وانهم مؤمنون وانهم يحبون الاسلام ويريدون الخير له وهم يتصدرون لتصحيحه في نظرهم أو بالاحرى لتحريفه ان هذه الحكايات لا تروج الا على الجهلة فكيف على رب العالمين ؟ ان هؤلاء فيما اعتقد لم يبلغ بهم الغباء الى هذه الدرجة ، ولكنهم يريدون شق الطريق لدعواتهم الباطلة وأوهامهم الزائفة بالخداع والغش .

والخلاصة هناك ثلاثة طرق فحدد ايها المسلم موقفك منها :

١ ــ طريق الاخلاص والوضوح والاستقامة وذلك بتوحيد الله واتباع نظامه الذي انزله من السماء وقام رسوله محمد صلى الله عليه وسلم بتبليغه الى الناس على صورته النهائية سالما من التحريف والتغيير ، ومن مستلزمات اتباع هذا الطريق أن يكفر الانسان بما عداه لانه النظام الحق ، وما عداه باطل ، وهذا هو سبيل الاسلام ، وهذا هو المبدأ الذي مبناه على شهادة ان لا اله الا الله وان محمدا رسول الله ، ولا يبنى مبدأ سواه على هذا الاساس .

٢ ــ طريق التلون والخداع وانصاف الحلول والتسليم الجزئي ايثارا للسلامة ومعرفة الضعف الكامن في السبيل الذي يتبعونه وهو سبيل الاشراك بالله آلهة أخرى ، وهو الجانب النظري في هذا الطريق ، وأما الجانب العملي فهو الاشراك مع نظام الاسلام انظمة أخرى ، وهو في الحقيقة عقد الهدنة بين الكفر والايمان وهي محاولة باطلة ، فهؤلاء يقومون بتشريع ما يشاؤون ، ثم يقولون ان هذه الامور خارج نطاق صلاحية الخالق ، ويشمل هذا الطريق جميع الانظمة التي اخترعها البشر خارج حدود الخلافة التي منحها الله للبشر للتصرف في هذه الارض بمقتضى حدود الله وتشريعه واوامره ونواهيه ، وهذه هي الانظمة التي تزعم انها لا تحارب الدين أو لا تتعارض معه أو تؤيده مثل الديمقراطية والراسمالية والاقطاعية والفوضوية والوجودية والجاهلية العربية التي تزعمها ابو جهل وابو لهب والتي حاربها محمد بن عبد الله صلى الله عليه وسلم رضخت لله في كل شأن من شؤون حياتها وكل مبدأ يدعى أنه لا ينكر الله صراحة أو جهرة وهذه المبادىء تقول ان هناك آلهة أخرى سوى الله بلسان الحال ان لم تقلها بلسان المقال .

٣ ــ طريق المكابرة والمغالطة وتزوير الحقائق وهو طريق انكار الله ، وهذه الفكرة ترتكز عليها كافة المبادىء الالحادية التي تنكر الله جهرة وعلى هذا الاساس وهو انكار الله سولت لنفسها أن تضع تشريعا بدلا من تشريع الله ، وقد تكون منطقته أكثر من الثانية لولا أن اثبات ما استندت عليه ضرب من المحال .

والله سبحانه وتعالى لن يقبل من البشرية الا أن تتبع الطريق الاول « ان الدين عند الله الاسلام » « ومن يبتغ غير الاسلام دينا فلن يقبل منه » .

أخبار العالم الإسلامي

اعداد الاستاذ فهمى الامام

الـكويت :

● احتفل بتخريج الدفعة الرابعة من الطلبة الضباط فى كلية الشرطة برعاية سمو ولى العهد ورئيس مجلس الوزراء ، وتتألف الدفعة من خمسين ضابطا كويتيا وضابطين من دولة الامارات العربية ودولة البحرين .

● أعلن الشيخ صباح الأحمد وزير الخارجية والاعلام بالوكالة أن دعم الكويت لنضال الدول العربية يتم بدون أية مطالبة بثمن لهذا الدعم ، وأوضح أن تأييد الكويت المطلق لدول المواجهة لا صلة له بأى اعتبار آخر غير التضامن الحقيقى والطبيعى بين الدول العربية .

● شاركت وزارة الاوقاف والشئون الاسلامية فى الاحتفال بيوم البيئة العالمى ، وذلك عن طريق الوعظ والخطب لزيادة توعية المواطنين للمحافظة على نظافة بيئتهم .

● انتهت لجنة التقويم الاسلامى المنبثقة عن مؤتمر وزراء الأوقاف والشئون الدينية والاسلامية العرب من وضع مشروع التقويم وفقا للأسس المتفق عليها ، والتى تجمع بين الحكم الشرعى والحساب الفلكى .

● أعلنت نتيجة امتحان الدور الأول فى دار القرآن الكريم ، وكانت نسبة النجاح كالآتى :

السنة الاولى : فترة صباحية ٦٢٪ فترة مسائية ٨٠٪ .
السنة الثانية : فترة صباحية ٧١٪ فترة مسائية ٦٧٪ .
السنة الثالثة : فترة صباحية ٨٢٫٥٪ فترة مسائية ٩٠٪ .



● يبدو فى الصورة سيادة الوكيل الاستاذ عبد الرحمن المجحم وسيادة الوكيل المساعد الاستاذ عبد الرحمن الفارس وهما فى زيارة لدار القرآن الكريم أثناء الامتحان .

● بدأت الدراسة الصيفية فى مراكز جمعية الاصلاح الاجتماعى لتحفيظ القرآن الكريم ، وعددها ١٧ مركزاً للبنين و ٣ مراكز للبنات ومما يذكر أنه مع تحفيظ القرآن الكريم تلقى دروس فى التفسير والحديث والسيرة والفقه .

● وافق مجلس الوزراء على

المساهمة بمبلغ ٣٦ الف دينار . فى دعم المختبرات والمعامل العلميه لجامعة الازهر .

● اصدرت وزارة العدل احصائية بحالات اشهار الاسلام التى تمت فى قسم الاحوال الشخصية خلال عام ٧٣ . وقد بلغ عدد من اشهروا اسلامهم ٤٥ شخصا من جنسيات مختلفة .

مصر :

● صرح الأمين العام للجامعة العربية بأن مؤتمر القمة العربى سيعقد فى الأسبوع الأول من شهر سبتمبر المقبل بالرباط .

● استنكر مجمع البحوث الاسلامية فى اجتماع عقده برئاسة الامام الأكبر الدكتور عبد الحليم محمود شيخ الازهر مشروع تيسير اللغة العربية وذلك بالتخلى عن القواعد الأساسية للغة واحلال العامية مكان الفصحى .
وحذر المجمع من خطورة هذا المشروع الذى يهدف الى قطع صلة المسلمين بقرآنهم وتراثهم الاسلامى .

السعودية :

● أمر جلالة الملك فيصل بتسليم قصر النيابة بجدة ليكون مقرا مؤقتا للبنك الاسلامى .

● بلغ عدد المسلمين فى الدنمرك ١٥ الف مسلم ، وقد تبرع جلالة الملك بمبلغ ١٠٠ الف جنيه استرلينى لمشروع بناء مركز اسلامى هناك .

● تلقى الأمين العام لرابطة العالم الاسلامى قائمة تتضمن أسماء ثلاثين ضابطا فى حكومة الغابون قد اعلنوا اسلامهم .

ابو ظبى :

● بدأت وزارة الشئون الاسلامية الحديثة عملها بفتح مدارس لتحفيظ القرآن الكريم ، وتعميمها فى جميع الامارات .

عمان :

● تقدمت وزارة الاوقاف وشئون المقدسات الاسلامية في الاردن مجموعة من الكتب الثقافية الاسلامية الى الجامعة العربية الاسلامية فى الولايات المتحدة .

ليبيا :

● وافقت الحكومة الايطالية على انشاء مركز ومسجد ومكتبة اسلامية بروما وستتولى ليبيا الاشراف على هذا المشروع الاسلامى .

لبنان :

● افتتح فى بيروت المؤتمر الاسلامى العام . اشتركت فيه مختلف الهيئات الاسلامية فى لبنان . . وذلك للتنسيق بينها وتوحيد جهودها فى محيط الدعوة الى الله والعمل المثمر .

اخبار متفرقة

روما :

● وافق المجلس البلدى لمدينة روما على منح قطعة أرض مساحتها ٣٠ الف متر مربع فى شمال المدينة لمشروع بناء مسجد وقاعة محاضرات ومركز اسلامى .

اكرا :

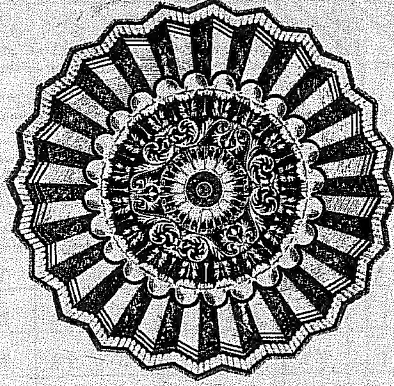
● تدرس منظمة الاغاثة الدولية الخاصة بالمسلمين انشاء جامعة اسلامية فى مالى تكون مهمتها الاشراف على كافة الدورات الاسلامية التى تعقد فى جامعات غرب افريقيا .

جاكرتا :

● أصدر وزير الداخلية قرارا باغلاق دور الفسق فى جاكرتا الشمالية .

مواقيت الصلاة حسب التوقيت المحلي لدولة الكويت

أيام الأسبوع	جمادى الآخرة	يونيو	المواقيت الشرعية بالزمن الزوالي						المواقيت الشرعية بالزمن الغروبي				
			فجر	شروق	ظهر	عصر	مغرب	عشاء	فجر	شروق	ظهر	عصر	عشاء
			د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س	د س
الجمعة	١	٢١	٣ ٢	٤٤٨	١١٤٨	٣٢٣	٦٥٠	٨٢٣	٨١٢	٩٥٨	٤٥٩	٨٣٣	١٣٣
السبت	٢	٢٢	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاحد	٣	٢٣	٢	٤٨	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاثنين	٤	٢٤	٢	٤٩	٤٨	٢٣	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الثلاثاء	٥	٢٥	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥٠	٢٣	١٢	٥٨	٥٩	٣٣	٣٣
الاربعاء	٦	٢٦	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الخميس	٧	٢٧	٣	٤٩	٤٩	٢٤	٥١	٢٤	١٢	٥٨	٥٩	٣٤	٣٣
الجمعة	٨	٢٨	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٥٠٠	٣٤	٣٣
السبت	٩	٢٩	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاحد	١٠	٣٠	٤	٥٠	٥٠	٢٥	٥١	٢٤	١٣	٥٩	٠٠	٣٤	٣٣
الاثنين	١١	يوليو	٥	٥١	٥١	٢٥	٥١	٢٤	١٤	١٠٠٠	٠٠	٣٤	٣٣
الثلاثاء	١٢	٢	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الاربعاء	١٣	٣	٥	٥١	٥١	٢٦	٥١	٢٤	١٤	٠٠	٠٠	٣٥	٣٣
الخميس	١٤	٤	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	١	٣٥	٣٣
الجمعة	١٥	٥	٦	٥٢	٥٢	٢٦	٥١	٢٤	١٥	١	٢	٣٥	٣٣
السبت	١٦	٦	٧	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٦	٢	١	٣٦	٣٣
الاحد	١٧	٧	٨	٥٣	٥٢	٢٧	٥١	٢٣	١٧	٢	١	٣٦	٣٣
الاثنين	١٨	٨	٨	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٣	١٨	٣	٢	٣٧	٣٢
الثلاثاء	١٩	٩	٩	٥٤	٥٢	٢٧	٥٠	٢٢	١٩	٤	٢	٣٧	٣٢
الاربعاء	٢٠	١٠	١٠	٥٥	٥٣	٢٧	٥٠	٢٢	٢٠	٥	٣	٣٧	٣٢
الخميس	٢١	١١	١١	٥٥	٥٣	٢٨	٥٠	٢٢	٢١	٥	٣	٣٨	٣٢
الجمعة	٢٢	١٢	١١	٥٦	٥٣	٢٨	٥٠	٢١	٢٢	٦	٣	٣٨	٣١
السبت	٢٣	١٣	١٢	٥٦	٥٣	٢٨	٤٩	٢١	٢٣	٧	٤	٣٩	٣١
الاحد	٢٤	١٤	١٣	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٤	٨	٤	٣٩	٣١
الاثنين	٢٥	١٥	١٤	٥٧	٥٣	٢٨	٤٩	٢٠	٢٥	٩	٥	٤٠	٣١
الثلاثاء	٢٦	١٦	١٤	٥٨	٥٣	٢٨	٤٨	١٩	٢٦	١٠	٥	٤٠	٣١
الاربعاء	٢٧	١٧	١٥	٥٨	٥٣	٢٩	٤٨	١٩	٢٧	١٠	٥	٤١	٣١
الخميس	٢٨	١٨	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٨	١٨	٢٨	١١	٦	٤١	٣١
الجمعة	٢٩	١٩	١٦	٥٩	٥٣	٢٩	٤٧	١٧	٢٩	١٢	٦	٤٢	٣٠



ام المؤمنين ..
السيدة زينب بنت جحش (رضى الله عنها)

اسمها : زينب بنت جحش بن رئاب بن يعمر بن صبرة بن مرة بن كثير بن غنم بن دودان بن أسد بن خزيمة .

امها : أميمة بنت عبد المطلب بن هاشم . عمة الرسول صلى الله عليه وسلم .

زواجها : تزوجها الرسول صلى الله عليه وسلم بعد تطليقها من مولاه ومتبناه زيد بن حارثة .. لتشريع ابطال عادة التبنى التى كانت معروفة عند العرب ، وقد ذكر الله قصتها فى القرآن « فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها لكى لا يكون على المؤمنين حرج فى أزواج أدعيائهم اذا قضوا منهن وطرا » .

روايتها للحديث : روت عن النبى صلى الله عليه وسلم أحاديث .. وروى عنها عدد من الصحابة .

فضلها : قال الرسول صلى الله عليه وسلم عنها : « ان زينب بنت جحش أواهة » فقال رجل يا رسول الله : ما الأواه ؟ قال : « الخاشع المتضرع وان ابراهيم لحليم أواه منيب » .
وقالت عنها أم سلمة : « كانت صالحة صوامة قوامة » .
وقالت عنها عائشة حين ماتت : لقد ذهبت حميدة متعبدة مفزع اليتامى والأرامل . وكانت رضى الله عنها تصنع بيديها أشياء وتتصدق بها فى سبيل الله .

وفاتها : قالت حين حضرتها الوفاة : انى قد أعددت كفنى وان عمر سيبعث الى بكفن فتصدقوا بأحدهما وان استطعتم أن تتصدقوا بحقوى فافعلوا . وكانت أول من ماتت بعد النبى صلى الله عليه وسلم من أزواجه .
رحلت الى جوار ربها سنة عشرين ، وقد صلى عليها عمر بن الخطاب .
رضى الله عنها وأرضاها .

« الى راغبى الاشــتراك »

تصلنا رسائل كثيرة من القراء بقصد الاشتراك فى المجلة ، ورغبة منا فى تسهيل الأمر عليهم ، وتفاديا لضياع المجلة فى البريد ، رأينا عدم قبول الاشتراكات عندنا من الآن ، وعلى الراغبين فى الاشتراك أن يتعاملوا رأسا مع متعهد التوزيع عندهم ، وهذا بيان بالمتعهدين :

مصـــر	:	القاهرة : شركة توزيع الأخبار / شارع الصحافة.
السودان	:	الخرطوم : دار التوزيع ــ ص.ب : (٣٥٨) .
ليبيـــا	:	طرابلس الغرب : دار الفرجانى ــ ص.ب : (١٣٢) . بنغــازى : مكتبة الخــراز ــ ص.ب : (٢٨٠) .
المغــرب	:	الدار البيضاء ــ السيد أحمد عيسى ١٧ شارع الملكى .
تونــس	:	مؤسسات ع بن عبد العزيز ــ ١٧ شــارع فرنســا .
لبنـــان	:	بيروت : الشركة العربية للتوزيع : ص.ب : (٤٢٢٨) .
عـــدن	:	مؤسسة ١٤ اكتوبر للنشر والتوزيع: ص.ب :(٤٢٢٧).
الأردن	:	عمـــان : وكالة التوزيع الأردنيــة : ص.ب : (٣٧٥) .
السعودية	:	جــدة : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٧) . الرياض : مكتبة مكــة ــ ص.ب : (٤٧٢) . الخبر : مكتبة النجاح الثقافية ــ ص.ب : (٧٦) . الطائف : مكتبة الثقافة ــ ص.ب : (٢٢) . مكة المكرمة : مكتبــة الثقافة . المدينة المنورة : مكتبة ومطبعة ضياء .
العــراق	:	بغداد : وزارة الأعلام ــ مكتب التوزيع والنشر .
البحــرين	:	المكتبة الوطنية : شارع بــاب البحرين .
قطـــر	:	الدوحـــة : مؤسسة العروبة ــ ص.ب : (٥٢) .
ابو ظبى	:	شركة المطبوعات للتوزيع والنشر : ص.ب : (٨٥٧) .
دبـــى	:	مطبعة دبى .
الكــويت	:	مكتبة الكــويت المتحـــدة .

ونوجه النظر إلى انه لا يوجد لدينا الآن نسخ من الأعداد السابقة من المجلة

مطابع مؤسسة فهد المرزوق الصحفية ـ الكويت